SPIES WAR

قصص من الواقع أغرب من الخيال

حرب جواسيس القرن الـ21

مجدى كامل



SPIES WAR

■ رغم أن الجاسوسية لعبة قديمة إلا أنها باتت فى القرن الحادى والعشرين أكثر تعقيدا من ذى قبل، بل وأصبح من الصعب للغاية كشفها. فبحلول الألفية الثالثة، راح العالم يشهد نوعاً جديداً من التجسس تمتزج فيه عبقرية العلماء بتكنولوجياتهم المتطورة بعبقرية الجواسيس الجدد بما يحملونه من قدرة فائقة على الاختراق، واحترافية غير مسبوقة فى التخفى، والأخطر هو تواجدهم فى مواقع شديدة الحساسية، تجعل ما يقدمونه من أسرار يسيل له لعاب زبائنهم، فى الوقت الذى تضرب هذه الأسرار أمن الدول القومى فى الصميم!

وفى هذا الكتاب سنتعرض لأخطر الجواسيس، الذين سقطوا فى القرن الواحد والعشرين، بعد أن تم نزع أقنعتهم، وتحديد هوياتهم، وهم ليسوا كجواسيس الماضى، ولكنهم أخطر وأكثر ذكاء وقدرة على الاختراق والتغلغل وانتزاع المعلومات. ومن خلال تتبع سيرة هؤلاء الجواسيس سنكتشف معا كيف شهد القرن الحالى أنواعاً جديدة من الجواسيس مثل (جواسيس القرارات السياسية) و(جواسيس سرقة الشفرات الرئاسية) و(جواسيس الحركات الإسلامية) و(جواسيس المصارف العالمية)، و(جواسيس القاعدة)، و(جواسيس التكنولوجيا)، و(جواسيس الإنترنت) و(جواسيس النووى) وغيرهم، مع بقاء الأسلحة التقليدية للتجسس كالمال والجنس. كما شهد هذا النوع من الجاسوسية ظاهرة جديدة غاية فى الخطورة، وتتمثل فى تتدخل الرؤساء بأنفسهم، وليست أجهزة استخباراتهم، لإعطاء أوامر مباشرة بالتجسس. وظاهرة أخرى هى (التجسس على الأصدقاء) كما فعلت إسرائيل عندما سرق عميلها الكولونيل الأمريكى لارى فرانكلين توجيهات بوش بخط يده وسلمها لها. كما ظهر نوع جديد من الجواسيس يمكن تسميتهم بـ (أوراق الضغط) وهم عبارة عن أفراد يتم اتهامهم بالجاسوسية، لاستخدامهم كأسرى أو سجناء فى صفقات. ولأن السنوات الأولى لهذا القرن شهدت الانتشار الرهيب لاستخدام الكمبيوتر، وشبكة الإنترنت، تلك الشبكة العنكبوتية التى أصبحت الوسيلة الأولى لتبادل المعلومات، فقد ظهر ما عرف بـ (جواسيس الإنترنت). وبسبب الصراعات المحمومة التى شهدها هذا القرن للسيطرة الاقتصادية على العالم وخاصة بين الصين والولايات المتحدة، فقد نشط (جواسيس الاقتصاد) فى هذه الألفية بدرجة غير مسبوقة.

عزيزى القارئ ظواهر وظواهر يتناولها هذا الكتاب من خلال الكشف عن أبرز قصص الجاسوسية فى هذا القرن، وما تمثله من ظواهر جديدة لم نألفها من قبل فى عالم الجاسوسية!!

W.Salama 010 15 17 873


I.S.B.N. 977-376-346-3
9789773763466



حرب الجواسيس في القرن الـ ٢١

أقصص من المواقع أغرب من الخيال



اسم الكتاب: حرب الجواسيس في القرن الـ ٢١
اسم المؤلف: مجدي كامل
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٥٢٧٠/ ٢٠٠٧
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-346-3
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠
دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨
مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤
مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢
مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦
فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



دمشق - القاهرة
سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

حرب الجواسيس

في القرن الـ ٢١

قصص من الواقع أغرب من الخيال

◆

تأليف: مجدي كامل

◆

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تـقـديـم

فتحت عملية اغتيال الجاسوس الروسي المنشق الكسندر ليتفينينكو في لندن بمادة "البولونيوم ٢١٠" المشعة، في أول عملية تستخدم فيها هذه المادة، التي تبلغ قدرة ذرة واحدة منها على الفتك بجسم من يتعرض لها ٢٥٠ ضعف تأثير مادة "السيانيد السامة"، ملف "حرب الجواسيس" من جديد ولكن هذه المرة في القرن الـ٢١، لا سيما وأن الظروف والملابسات التي صاحبته في غاية الخطورة. فقد كشف أحد أصدقاء ليتفينينكو عن رسالة تركها الجاسوس الروسي يتهم فيها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بالمسؤولية عن تسميمه.. قائلا له: " لقد أثبت أنك لا تحمل أي احترام للحياة وللحرية أو أي قيمة متحضرة، لقد أثبت أنك لا تستحق منصبك.. ربما تكون قد نجحت في إسكات شخص واحد، لكن الضجة التي ستسمعها من العالم حولك يا سيد بوتين، سوف تصم أذنيك مدى الحياة " .

وفي الوقت الذي تحدث البعض فيه عن احتمال انتحار ليتفينينكو وتوريط بوتين على سبيل الانتقام، كشفت الأزمة عما هو أخطر من ذلك، وهو احتمالات تورط الروس في السوق النووية السوداء، ومعها احتمالات وصول مادة نووية مثل " البلوتنيوم ٢١٠ " لأيدي جماعات إرهابية .

ورغم أن الجاسوسية لعبة قديمة إلا أنها لا تنتهي .. كانت وستظل أحد أخطر الأسلحة التي تلجأ إليها أجهزة الاستخبارات في العالم لحماية دولها أو أنظمتها السياسية من قوى معادية تتربص بها، بكشف ما تضمره لها من مؤامرات ومخططات فتحتاط، أو لمعرفة مواطن القوة لدى الأعداء والخصوم لضربها، أو حتى لدى الأصدقاء لوضعها في الحسبان عندما تسوء الأمور، أو تكون هناك حاجة لإبرام صفقات، أو عقد مفاوضات .

ولكن بعد نهاية الحرب الباردة باتت الجاسوسية عملية أكثر تعقيداً من ذي قبل، بل وأصبح من الصعب للغاية كشفها . وبحلول الألفية الثالثة، راح العالم يشهد نوعاً جديداً من التجسس تمتزج فيه عبقرية العلماء في القرن الواحد العشرين من خلال ما يقدمونه من تقنيات متطورة بعبقرية جواسيس القرن بما يتمتعون به من قدرة على الاختراق، واحترافية في التخفي، والأخطر تواجدهم في مواقع شديدة الحساسية، تجعل ما يقدمونه من أسرار يسيل له لعاب موكليهم، في الوقت الذي تضرب هذه الأسرار أمنهم القومي في الصميم !

وفي هذا الكتاب سنتعرض لأخطر الجواسيس، الذين سقطوا في القرن الواحد والعشرين، بعد أن تم نزع أقنعتهم، وتحديد هوياتهم، وهم ليسوا كجواسيس الماضي ولكنهم أخطر وأكثر ذكاء وقدرة على الاختراق والتغلغل وانتزاع المعلومات .

رغم وجود أكثر الأقمار الاصطناعية والمراقبة الإلكترونية تطوراً في هذا القرن - الذي نحن الآن في العام السابع من عقده الأول - إلا أنها لم تستطع أن تحل محل العميل الموجود في المكان المناسب القادر على الوصول إلى أدق المعلومات والأسرار الحساسة والمحمية جيداً. كما شهد القرن الحالي أنواعاً جديدة من الجواسيس مثل " جواسيس القرارات السياسية "، "جواسيس التكنولوجيا "، و" وجواسيس الإنترنت" و" جواسيس البنوك "وغيرهم، مع بقاء الأسلحة التقليدية للتجسس كالمال والجنس!

وتكمن المعضلة في أن معظم الجواسيس، الذين سقطوا في بداية هذا القرن، لم يتم اكتشافهم إلا بعد سنوات طويلة من عملهم الشيطاني، وتمريرهم أخطر وأدق الأسرار للأعداء، وغالباً ما تم اكتشافهم نتيجة ارتكابهم أخطاء غير مقصودة، رغم حرصهم الشديد، أووشاية قدمها جاسوس منافس صديق، حيث إن الكثير من عمليات التجسس تمضي دون اكتشاف .

ومعضلة أخرى تتعلق بالكشف عن الجواسيس - إذا حدث - وهي الصدمة التي تسببها لأنظمة الحكم، التي تبدوأمام شعبها في وضعية من قصر في حماية الوطن،

أووضعية السذج الذين لا يستطيعون معرفة الخائن من المخلص في أجهزتهم، عندما يكون الجاسوس من بين عناصرها أوأفراد إحدى إداراتها !

وقبل استعراض أخطر شبكات الجاسوسية، التي تم الكشف عنها خلال السنوات المنصرمة من هذا القرن الحادي والعشرين، يتعين علينا أن نتوقف عند الظروف والملابسات التي غيرت من المفهوم التقليدي للجاسوسية، والذي شهدته الألفية الثانية، وصاحب العالم خلال القرن العشرين، ومن ثم نتعرف على الأشكال الجديدة التي اتخذتها الجاسوسية في هذا القرن.

بدأ هذا القرن بداية ملتهبة حددت بشكل كبير صورة العالم فيما بعد . وتمثلت هذه البداية في ثلاثة أحداث رئيسية من وجهة نظرى هى سر كل ما تواجهه البشرية الآن من كوارث ومصائب . الحدث الأول هوصعود تيار المحافظين الجدد (التيار المسيحي المتصهين) إلى السلطة في أمريكا بزعامة جورج بوش الابن، ومعه أجندة خارجية تقوم على أساسين هما وجوب هيمنة أمريكا على العالم بالقوة المسلحة، واعتبار إسرائيل هى أمريكا، ومن ثم النظر إلى جيرانها العرب ومعهم إيران على أنهم أعداء أمريكا كما هم أعداء إسرائيل، والعمل على تغيير خريطة الشرق الأوسط، لتحويل هؤلاء الجيران إلى كيانات ضعيفة مفتتة تخضع لما يمليه عليها السيد الأمريكي، وحليفه الإسرائيلي .

أما الحدث الثاني فهوهجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، التى أعطت هذا التيار المسيحي المتصهين ما كان ينتظره لكي يبرر ما قد أعده مسبقاً لتنفيذ أجندته الشيطانية، بمعنى أن هذه الهجمات الإرهابية منحت بوش وصقوره الذريعة والحجة، وأطلقت يدهم لفعل كل ما يحلولهم، مستغلين وقوف العالم كله معهم عقب الهجمات، فراحوا يستغلون هذا التعاطف أسوأ استغلال !

أما الحدث الثالث المرتبط بالحدثين السابقين فهوإعلان الحرب على الإرهاب، وهوكلمة حق بمرور الوقت ثبت أن الأمريكيين أرادوا من ورائها باطلاً !!

هذه الأحداث الثلاثة الرئيسية كانت وراء حربين كبيرين شهدتهما السنوات الأولى في القرن الواحد والعشرين .. الحرب على أفغانستان .. ثم الحرب على العراق .. في الحرب الأولى وقف العالم بجانب الأمريكيين باعتبار أن أفغانستان بزعامة حركة طالبان تحتضن تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، ومن أراضيها انطلقت هجمات ١١ سبتمبر .

ولكن بالنسبة لحرب العراق كان الأمر مختلفاً تماماً فقد فطن العالم إلى أن القضية ليست الحرب على الإرهاب - كما يروج بوش وصقوره – وإنما هومخطط أمريكي معد مسبقاً، ويحاول واضعوه جر العالم للاشتراك في مؤامرتهم الشيطانية ضد عرب الشرق الأوسط المسلمين، لاحتلال بلادهم والسيطرة على ثرواتهم، واخضاعهم لإرادة أمريكا وإسرائيل!!

ومن خلال هذين الحدثين الخطيرين تغير مفهوم الجاسوسية تماماً لكي يتوافق مع عالم متغير فظهر ما يمكن أن نسميهم بـ " جواسيس القرارات السياسية " وهم عملاء كل مهمتهم التلصص لمعرفة ما اتخذه أوسوف يتخذه أطراف الأزمات والحروب من قرارات . وهذا النوع من الجواسيس فرضته المرحلة التي يمر بها العالم، فقد كان من الطبيعي – وسط هذه الأجواء ومع افتراض لا أخلاقية الأطراف وانتهازيتها - معرفة ما سيتخذه الرئيس الأمريكي الذي يعد العدة لحروبه، وكان من الطبيعي التجسس على محادثاته السرية مع شريكه في حروبه – آنذاك - رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، وكان من الطبيعي أن يتجسس بوش وبلير على مشاورات واتصالات كوفي آنان الأمين العام للأمم المتحدة، كما كان من الطبيعي التجسس على أعضاء مجلس الأمن للتدخل بسرعة حال تحسسهم رفض دولهم موافقتها على الحرب لتغيير قراراتهم .

كما شهد هذا النوع من الجاسوسية ظاهرة جديدة غاية في الخطورة، وتتمثل في تتدخل الرؤساء بأنفسهم، وليست أجهزة استخباراتهم، لإعطاء أوامر مباشرة

بالتجسس،كما في حالة بلير وأنان أوبمحاولتهم بأنفسهم تجنيد الجواسيس كما حاول الرئيس الأمريكي جورج بوش تجنيد الطبيبة الأمريكية من أصل عراقي سوسن الحداد، التي تعمل بمستشفى كليفلاند للتجسس على صدام حسين قبيل غزوالعراق !!

ويمكن أن نضمن حديثنا عن جواسيس القرارات السياسية نوعاً آخر ارتبط بها، ولكنه سبق هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بقليل – كما سنتناول بالتفصيل في هذا الكتاب – وهو" جواسيس الشفرات الرئاسية " الذين تم الكشف عنهم بعد الهجمات وقيل إنهم سرقوا شفرات الرئاسة الأمريكية وتفاوضوا مع بوش يوم ١١ سبتمبر، بعد أن تمكنوا من اختراق اتصالاته الخاصة السرية وبعثوا إليه برسالة كلامية !!

ولأن الحرب على الإرهاب استهدفت المسلمين بصفة خاصة، لتنفيذ أجندة المحافظين الجدد الشيطانية، ومخططاتهم المعادية للإسلام والمسلمين، والمعدة من قبل دخولهم البيت الأبيض، فقد شهدت هذه الحرب نوعاً جديداً من الجاسوسية يمكن تسميته بـ " جواسيس الحركات الإسلامية " .

بالطبع كان هذا النوع من التجسس موجوداً من قبل ولكنه تبلور كظاهرة بعد هجمات سبتمبر، ليرتبط به نوع آخر جديد من الجاسوسية هو" التجسس على المصارف العالمية " و" حسابات المسلمين " على وجه الخصوص . وهنا أصبح الهدف من التجسس ليس مكافحة الإرهاب، وإنما هوتجسس عام على العالمين العربي والإسلامي تحت دعوى الحرب على الإرهاب !!

وفي إطار نفس هذه الحرب ظهر مصطلح جديد في عالم الجاسوسية هو" جواسيس القاعدة " كعمر ناصري الذي أفردنا لقصته مساحة غير قليلة من هذا الكتاب !!

ووسط هذه المعمعة لم يغب عن بال إسرائيل دخول الساحة بكل ثقلها من خلال جهاز استخباراته " الموساد " .. ولكن الغريب أنها لم تتجسس فقط على الأطراف التقليدية، وإنما راحت تتجسس على أمريكا نفسها، فسرق عميلها الكولونيل الأمريكي لاري فرانكلين توجيهات بوش بخط يده وسلمها لها .. كما اشتركت إسرائيل وأمريكا في التجسس على حليفتهما كندا .. ومن هنا ظهر نوع جديد من الجاسوسية في هذا القرن يمكن أن أسميه هنا بـ " التجسس على الأصدقاء " . ويبين هذا كيف أصبحت الجاسوسية في هذا القرن لا تفرق بين " عدووصديق " !!

ولأن هذا القرن قد شهد في سنواته الأولى ما يمكنني تسميته بـ " البحث المجنون عن السلاح النووي " وما ارتبط به من " سوق النووي السوداء " التي افتتحها العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان، حيث كان يبيع الأسرار والتصميمات النووية لمن يدفع، وفي مقدمة زبائنه كوريا الشمالية وإيران، فقد عاصرنا في السنوات الأولى من هذا القرن نوعاً جديداً من الجاسوسية " جواسيس النووي "، ارتبط بأزمتين عالميين من العيار الثقيل إحديهما تتعلق بكوريا النووية، وانتهت عام ٢٠٠٧ أخيراً بإعلان بيونجيانج وقف برنامجها النووي، بعد أن لبت واشنطون كل شروطها صاغرة، بضخ مساعدات منتظمة وتعهد بعدم الاعتداء . وبقيت أزمة إيران قائمة.

وفي أزمة إيران، ووسط التربص الأمريكي المزمن بها، والذي ارتفعت حدة وتيرته مع وصول بوش للسلطة، ورغبته في قلب نظام الحكم في إيران، ولوبإعلان الحرب عليها، ظهر نوع جديد من الجواسيس يمكن تسميتهم بـ " أوراق الضغط " وهم عبارة عن أفراد يتم اتهامهم بالجاسوسية، لاستخدامهم كأسرى أوسجناء في صفقات . وربما تكون هالة اسفندياري الأمريكية من أصل إيراني نموذجاً لهذا النوع كما سنتابع قصتها في هذا الكتاب !!

ولأن سنوات هذا القرن الأولى قد شهدت الانتشار الرهيب لاستخدام الكمبيوتر، وشبكة الإنترنت، تلك الشبكة العنكبوتية التي أصبحت الوسيلة الأولى لتبادل المعلومات، فقد ظهر ما عرف بـ " جواسيس الإنترنت " .

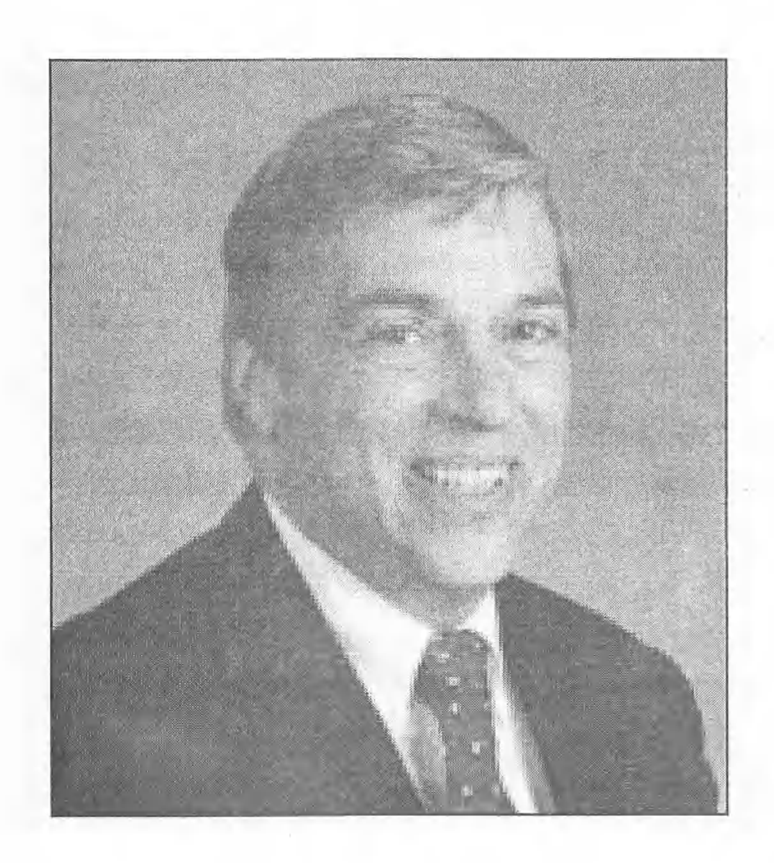
وبسبب الصراعات المحمومة التي شهدها هذا القرن للسيطرة الاقتصادية علي العالم وخاصة بين الصين والولايات المتحدة، فقد نشط " جواسيس الاقتصاد " في هذه الألفية بدرجة غير مسبوقة .

ظاهرة أخرى شهدها هذا القرن وهى الإعلان عن مقتل العملاء والجواسيس كما فعلت وكالة المخابرات الأمريكية " سي . آي . إيه " لأول مرة، حيث جرت العادة على أن تتكتم الأجهزة الاستخباراتية هذه الأنباء !!

ظواهر وظواهر يتناولها هذا الكتاب عزيزي القارئ من خلال الكشف عن أبرز قصص الجاسوسية في هذا القرن، وما تمثله من ظواهر جديدة وخطيرة لم نألفها من قبل في عالم الجاسوسية !!

مجدي حسين كامل

١ - هانسن.. كلفته أمريكا بمراقبة الروس فتجسس عليها لحساب موسكو!!



■ وكان الروس يتركون له أحجاراً ثمينة جدا من "الماس"، وصلت قيمة إحداها إلى ٢٤,٧٤٠ ألف دولار، ونقدا وصل في بعض الأحيان إلى ٥٠ ألف دولار، أوملاحظات مكتوبة، عن وضع عشرات الآلاف من الدولارات في حساب لهانسن في بنك في موسكو.

١ - هانسن .. كلفته أمريكا بمراقبة الروس فتجسس عليها لحساب موسكو!!

نستهل هذا الكتاب بفضيحة تجسس من العيار الثقيل، تفجرت بعد الكشف عن العميل الأمريكي المخضرم لروسيا روبرت فيليب هانسن، والتي اعتبرت أكبر هزيمة نكراء تتعرض لها في تاريخها أجهزة الاستخبارات الأمريكية بوجه عام، ومكتب التحقيقات الفدرالي "إف. بي. آي"، لا سيما أنه قام - علي مدى ١٥ سنة كاملة من فترة عمله بالمكتب، والتي استمرت أكثر من ربع قرن - بتمرير الكثير من المعلومات البالغة الخطورة والسرية، من بينها عدد لا يحصى من الأسرار الدفاعية، إلى جهاز الاستخبارات السوفيتي الذي كان معروفًا باسم " كيه. جي. بي"، ثم جهاز الاستخبارات الروسي المعروف باسم "أس. في. آر" بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.

في صبيحة يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير عام ٢٠٠١، فوجئ الأمريكيون بإعلان مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي "إف بي آي" عن اعتقال ضابط كبير يعمل بالمكتب منذ ما يزيد عن ربع قرن، بالإضافة لعمله كمستشار أمني لوزارة الخارجية الأمريكية، بعد اكتشاف أنه جاسوس يعمل لحساب روسيا على مدى ١٥ سنة، تلقى خلالها ملايين الدولارات، ثمناً لخيانته، وأن عملية اعتقاله تمت في منزله خارج واشنطن، بعد أن تم رصده وهويلقي لفافة بها معلومات سرية في متنزه شمالي ولاية فرجينيا، وأنه أحيل إلى القضاء بتهمة التجسس.

وما إن أذيع الخبر، حتى انقلبت الدنيا في أمريكا رأساً على عقب. وقالت وسائل الإعلام الأمريكية، وهي تنقل النبأ، إن هانسن في أواخر الخمسينيات من عمره، وهوأب لستة أطفال، لكنه يعيش وحيدا بعد أن هجرته زوجته بوني.

وفي قصة أغرب من الخيال تصلح لعمل فيلم سينمائي، بدأت أسرار الجاسوس الكبير - من حيث الصيت والسمعة والتاريخ - تنكشف، ليس لتشعل غضب الأمريكيين فقط، وإنما لتفجر أكبر أزمة بين الولايات المتحدة وروسيا منذ سقوط الاتحاد السوفيتي، كادت تحول صداقة الرئيس الأمريكي جورج بوش، والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، إلى عداء مستعر، بعد حرب التصريحات، وتبادل الاتهامات، وقيامهما بشن ما عرف - وقتها بـ "تبادل طرد الجواسيس بين موسكووواشنطون"، ولولا تغليب العقل في النهاية على الانفعال لتحول الأمر إلى مواجهة غير مأمونة العواقب.

وكشفت الوثائق التي أفرجت عنها المحكمة الأمريكية التي تنظر قضية هانسن ونشرتها صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" الأمريكية في السابع من يوليوعام ٢٠٠١، أن روبرت هانسن موظف مكافحة التجسس في مكتب التحقيقات الفدرالي، كان يتبادل الطرود مع الجواسيس الروس في منطقة العاصمة واشنطن من تحت جسر للمشاة في حديقة "روك كريك" وهي حَديقة أطلقوا عليها اسماً كودياً هو"Vertue"، أي " الفضيلة " أوعبر تقاطع طريق في منطقة "ماكلين" بولاية فرجينيا أطلقوا عليه اسماً كودياً آخر هو"Flue" أي البرد.

وقد كشفت هذه الوثائق عن أن هانسن لجأ إلى إعلانات مزيفة في الصحف الأمريكية ومنها "واشنطون بوست"، بالإضافة إلى أكثر من ١٠ مواقع على الإنترنت، للاتصال بالمخابرات السوفيتية ثم الروسية، وتبين أنه لم يلتق على الإطلاق وجها لوجه مع عملاء جهاز المخابرات لا الروسي ولا السوفيتي من قبله.

وكانت الحقائب الخضراء التي كان هانسن يتركها عبر السنوات تحتوي على أقراص كومبيوتر وآلاف من صفحات الوثائق، التي تتراوح بين أسماء الروس، الذين يعملون لحساب الولايات المتحدة إلى جهود التنصت، التي تقوم بها وكالة الأمن القومي. وكان يترك دائما ورقة عليها اسمه الكودي "رامون".

وكان الروس يتركون له أحجاراً ثمينة جدا من "الماس"، وصلت قيمة إحداها إلى ٢٥ ألف دولارتقريباً، ونقدا وصل في بعض الأحيان إلى ٥٠ ألف دولار، أوملاحظات مكتوبة، عن وضع عشرات الآلاف من الدولارات في حساب لهانسن في بنك في موسكو.

وقد وصفت وزارة العدل الأمريكية نشاطه في مجال التجسس في ٦٩ صفحة، نشرت فيها نسخا من خطاباته ومكالمات هاتفية بينه والشخص الروسي المتعامل معه. وكشفت الوثائق أن الروس كانوا سعداء للغاية من المعلومات القيمة التي حصلوا عليها لدرجة قلقهم من استخدام بعضها، خوفاً من احتمال الكشف عن هانسن، لأنه بصفته من كبار المسؤولين في مكتب التحقيقات الفدرالي، كان مسموحا له الاطلاع على بعض من أهم الأسرار الحكومية.

وبالرغم من ذلك فقد طالب الروس بمزيد من المعلومات. مثلا طالبوه بأسماء الروس الذين يعملون سرا لحساب الولايات المتحدة، وتفاصيل حول خطط الدفاع الصاروخي الأمريكية والغواصات.

وكان هانسن من البداية، يخشى الكشف عن نفسه. فبالإضافة إلى تعدد مواقع تسليم المعلومات المختلفة، كون مجموعة من العناوين المزورة والشفرات لحماية الرسائل الإلكترونية أوتغيير موعد لقاء.

ففي أغسطس عام ١٩٨٦ طالب الروس بوضع إعلان لسيارة دودج موديل ١٩٧١ بصحيفة "واشنطن بوست" مع رقم هاتف، ورد معد حول أسئلته بخصوص السيارة. ثم يتولى هوتقديم رقم هاتف يمكنهم الاتصال به.

وقبل عامين من سقوطه، كان هانسن الذي كان من ضمن مهامه - وقتذاك - تقديم المشورة الأمنية لوزير الخارجية الأمريكية كولين باول، قد أصبح مرتعداً من احتمال كشف مكتب التحقيقات الفدرالي لحياته السرية، وبحث في شبكة كومبيوتر

مكتب التحقيقات لتحديد ما إذا كان رجال المكتب يراقبون مناطق التسليم والتسلم. وتحدث مع الروس حول فتح حساب في مصرف سويسري، ولكن تأكدت له إمكانية الكشف عنه.

ولكن كيف تم اكتشاف هانسن؟! الإجابة - ببساطة - هي عن طريق "الوشاية".. وممن.. من "جاسوس" حاقد اسمى نفسه بـ "المنتقم"!

فقد قدم عميل روسي شهير في عالم الجاسوسية يدعى أولدريتش إيمز لوكالة المخابرات المركزية معلومات عملياتية كافية إلى المحققين، وهذا الجاسوس الذي حمل الاسم الحركي "المنتقم" لجأ فيما بعد إلى الغرب، وكتب في نوفمبر ٢٠٠٠ يقول إنه ساعد في تجنيد مصدر، ما زال يعمل داخل جهاز الاستخبارات السوفييتية، وقد تمكن هذا المصدر الجديد من الحصول على ملف ضخم لجاسوس يعمل في الولايات المتحدة ويتجسس لحساب الاستخبارات الروسية.

وقد قدم المصدر هذا الملف إلى الأمريكيين، ويحتوي كتاب الأمريكي المتخصص في شؤون المخابرات دافيد وايز على هذه التفاصيل الخاصة بالجاسوس الذي كشف عنه "المنتقم" للمخابرات الأمريكية، وهوالذي تم تحديده - فيما بعد في شخص هانسن - وقد حمل وايز، الذي يعد من أكبر المراجع الغربية أيضاً في مكافحة التجسس كتابه عنوان يقرأ: "الجاسوس: قصة خداع روبرت هانسن لأمريكا".

ويقول وايز إنه منذ اليوم الذي ألقي القبض فيه على هانس أصبح معروفا أن الـ "إف.بي. آي" حصل بطريقة ما على ملف الـ "كي. جي. بي"، وكان التحدي الذي واجه كل من كتبوا عن هذه الحالة هوأن يوضحوا كيف تم ذلك؟! وهنا يقول وايز إن مكتب التحقيقات الفدرالي راجع قوائمه، التي تضم عملاء المخابرات الروسية، الذين ربما يعرفون هوية الجاسوس، ثم التقط المكتب واحدا كان قد اعتزل العمل في الاستخبارات، وأقام مشروعا له في موسكو، وعندئذ تم إغراؤه بالسفر إلى أمريكا على أمل الحصول على عقد، وكان المكتب يعرف أن هذا الروسي إما قد

حمل معه الملف، أوأنه في حوزته، وقد اشتراه المكتب منه مقابل ٧ ملايين دولار ووعد بمساعدته في إيجاد وطن بديل، وكان هذا الملف يحتوي على كل شيء ما عدا اسم روبرت هانسن.

فقد خرج جهاز الـ "كي. جي. بي" عن كل التقاليد والأعراف المخابراتية، ووافق على تشغيل هذا الجاسوس الثاني لعقدين من الزمان، من دون أن يعلم الجهاز حقيقته، على أن يتم تبادل المواد المتروكة في مواقع تم ترتيبها من قبل. وكان الجهاز الروسي يعرف العميل الجديد فقط بـ "رامون غارسيا" ولكن محققي المكتب لم يستغرقوا وقتا طويلاً لمعرفته عن طريق قراءة رسائله العديدة إلى الروس، أوعن طريق الاستماع إلى تسجيلات مكالماته الهاتفية، والتعرف على صوت هانسن عندما اكتشفته "بوني"!

واكتشف مسؤولوالمكتب أن روبرت فيليب هانسن، الذي ولد عام ١٩٤٤، لأب يعمل شرطياً في مدينة "شيكاغو"، وكان عميلاً لـ "إف. بي. آي" منذ عام ١٩٧٦، وبدأ تمرير الأسرار للروس في عام ١٩٧٩، كان قد تراجع لبعض الوقت، عندما ضبطته زوجته "بوني"، ثم عاد في عام ١٩٨٥ إلى الاتصال بالروس مرة أخرى، بأن كتب خطابا إلى مدرب جواسيس معروف في السفارة السوفييتية في واشنطن واسمه "فيكتور تشيركاشن" الذي كان قد تولى أيضاً التعامل مع "المنتقم" اولدرتيش إيمز.

وفي منتصف نوفمبر عام ٢٠٠٠، حصل مكتب التحقيقات الفدرالي على الملف الروسي، وفي خلال أسابيع وضع المكتب هانسن تحت المراقبة، وبدأ الجاسوس المحترف يشعر بأنه في خطر، وفي رسالته الأخيرة للروس وكان مقرراً تسليمها في فبراير عام ٢٠٠١ كتب يقول: "حان الوقت لكي أتوقف عن خدماتي.. هناك شيء قد أيقظ النمر النائم.. ربما تعرفون أفضل مني أن الحياة لا تبقى على حال".

وبعد دقائق من تركه كيساً يحتوي على الرسالة وسبع وثائق سرية في إحدى الحدائق بالقرب من منزله، وضع لها الاسم الكودي "إليس" قام عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي الذين كانوا يراقبونه - دون أن يدري - باعتقاله.

وقد كشفت التحقيقات - فيما بعد - أن أكياس القمامة التي كان هانسن قد اعتاد إلقاءها لطالما كانت تمتلئ بأوراق سرية وأن عدد هذه الأوراق بلغ أكثر من ستة آلاف صفحة وكانت تتضمن موضوعات مثل برنامج الاستخبارات القومية لعام ١٩٨٧، ودراسة قام بها موظفووكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي. آي. إيه" عن خطة عمليات الـ "كي. جي. بي" لتجنيد العملاء ضد الوكالة، وكان آخر هذه الوثائق يتناول بالتفصيل وسائل تمكن الولايات المتحدة من الاحتفاظ بقدرتها على اتخاذ القرارات أثناء حرب نووية شاملة.

وقد كان من الممكن أن يتوقف الأمر حتى عند هذا الحد لولا أن ورود اسم "هانسن" - كما كشفت صحيفة "وورلد نايت دايلي" في الـ٢٠ من شهر سبتمبر ٢٠٠١ نقلاً عن مسؤولين مخابراتيين - كأول مشتبه به في تسريب منظومة الرموز التي تستخدمها الرئاسة الأمريكية و"مكتب الاستطلاع القومي" و"استخبارات القوات الجوية والبرية والبحرية" و"إدارتا الاستخبارات بوزارتي الخارجية والطاقة الأمريكيتين"، والتي كشفت تحقيقات هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أن هذه المنظومة كانت مع منفذي الهجمات مما سهل عملية اختراقها بواسطة الحاسوب. وسر اتهام هانسن بتسريبها هوأنه كان واحداً من عدد محدود جداً يعرفها.

وبسبب هانسن، والصدمة التي أحدثها، تساءل الأمريكيون عن الضرر الذي يمكن أن يحدثه تنظيم القاعدة الإرهابي بمساعدة متسلل مثل الجاسوس هانسن.

وبسبب هذا الاكتشاف الخطير أعطى بوش أوامره بطرد خمسين دبلوماسيا روسيا يُعتبَرون عملاء للاستخبارات الروسية، إثر تلقيه توصية من مستشاريه للأمن القومي.

ويعتبر الإجراء الذي اتخذته الولايات المتحدة أول عملية طرد واسعة النطاق لدبلوماسيين روس منذ ١٩٨٦ عندما طالبت الإدارة الأمريكية برئاسة رونالد ريجان باتخاذ خطوات لتقليص الوجود الدبلوماسي الروسي في الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الولايات المتحدة قد طردت دبلوماسيا روسيًّا واحدًا عام ١٩٩٤، وهوالمسؤول عن مكتب الاستخبارات الروسي في واشنطن، بعدما كشفت عن جاسوس يعمل لحساب الروس في الـ "سي.آي. إيه"، وفي المقابل طرد الروس رئيس مركز الـ "سي. آي. إيه" في موسكو.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد خرج الرئيس الروسي بوتين ليعلن إجراءات انتقامية ضد الولايات المتحدة، رداً على طرد دبلوماسييه، على خلفية اعتقال هانسن.

وهكذا فجر سقوط هانسن أزمة هائلة بين موسكووواشنطون، ودفعهما إلى قطع شهر العسل في العلاقات، لا سيما وأن مرحلة ما بعد انتهاء نهاية الحرب الباردة قد شهدت تعاوناً غير مسبوق، حتى في المجال المخابراتي، فقد بدأت وكالة المخابرات المركزية (سي. آي.إيه) وجهاز المخابرات الروسي بإقامة علاقة تعاون رسمية في هذا الصدد حيث افتتح مكتب التحقيقات الفدرالي "إف. بي. آي" مكتباً له في موسكو، وبدأ مسؤولون في عقد لقاءات مع نظرائهم الروس أيضاً، حيث حرص الجانبان على اللقاء بشكل مستمر لمناقشة القضايا التي اعتقدوا بأنهم يستطيعون العمل المشترك بخصوصها، مثل مكافحة الإرهاب وغسيل الأموال وتجارة المخدرات.

وبسبب هانسن، تم تعريض نحو٥٠٠ من العاملين في مكتب التحقيقات الفدرالي ممن يطلعون على معلومات بالغة السرية للفحص بجهاز كشف الكذب في أول إصلاحات أمنية بعد القبض عليه، بينهم نحو١٥٠ من كبار المديرين بمقر المكتب في واشنطن والضباط المسؤولون عن المكاتب الإقليمية وكل من يطلع غير هؤلاء على مواد حساسة، كما قام لويس فريه مدير المكتب بمراجعة كل التحقيقات الحساسة لتحديد ما إذا كان ضباط آخرون قد اطلعوا على معلومات ليست في نطاق المهام المكلفين بها.

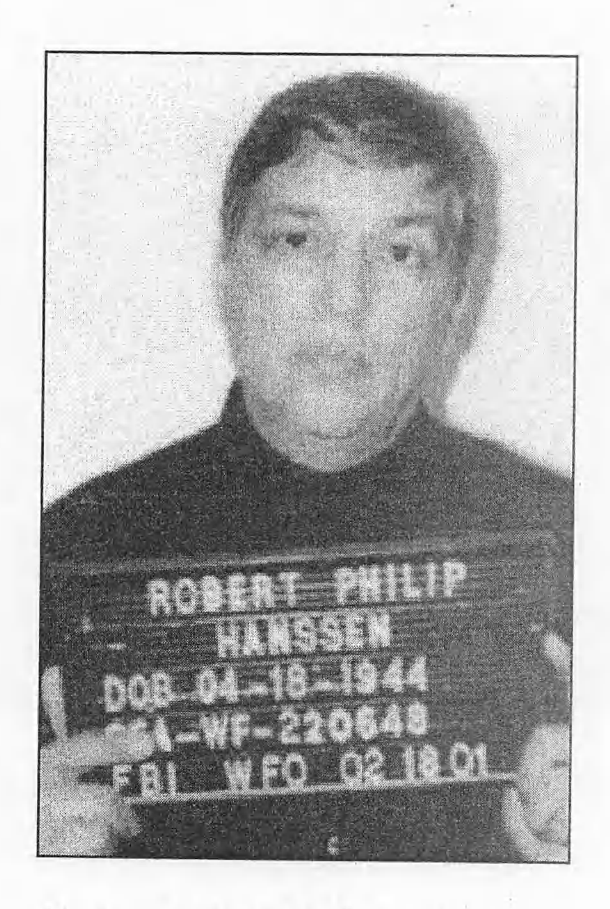
ودافع جون أشكروفت وزير العدل الأمريكي عن استخدام اختبارات كشف الكذب، مضيفاً أنه سيدقق في متابعة تردد العاملين واطلاعهم على المعلومات

المدونة بأجهزة الكومبيوتر وغيرها من مصادر المعلومات، وأضاف - وقتذاك - أنه وفريقه اتفقا على هذه الإجراءات بعد القبض على هانسن.

وعندما علم باحتمال الحكم عليه بالإعدام، اعترف بالذنب وتوسل بأن يحكم عليه بالسجن مدى الحياة مقابل اعترافه هذا، وقد كان، ليسدل الستار على واحدة من أخطر وأغرب قصص الجاسوسية التي تم الكشف عنها في بدايات هذا القرن!

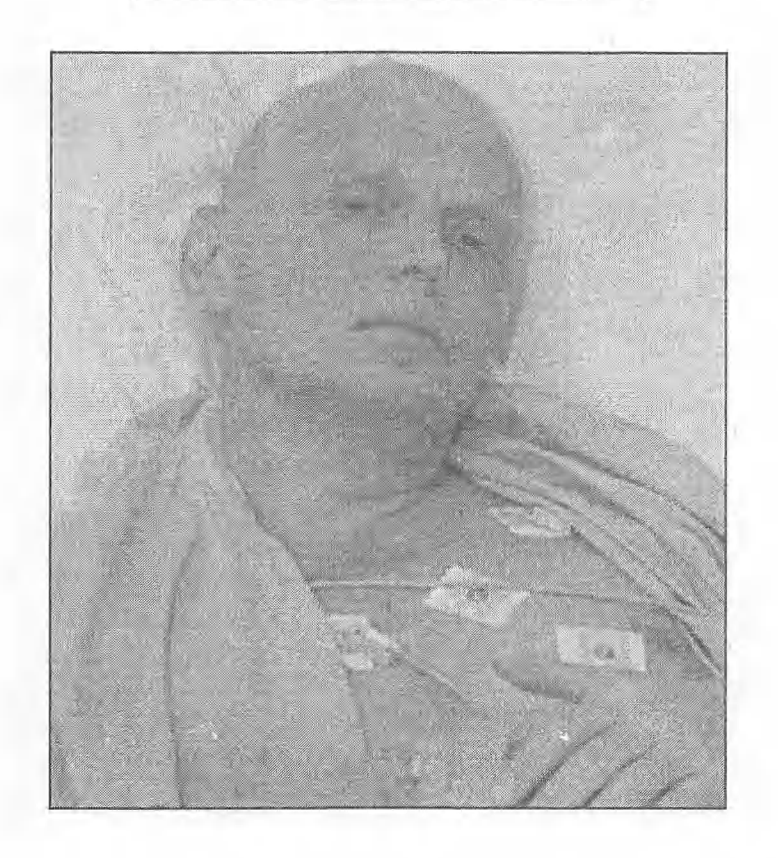


الحديقة التي كان يترك فيها هانسن المعلومات البالغة الخطورة للروس مقاب أحجار الماس التي يضعونها في نفس مكانها!



هانسن الجاسوس الأمريكي لحساب الروس لحظة
دخوله السجن!

٢-العملية " بلونيوم ٢١٠ " !!



■ ومما جعل للفضيحة عواقب وخيمة أقلها تفجير أزمة دبلوماسية بين موسكوولندن انتهت بما اصطلح على تسميته بـ " موسم تبادل طرد الدبلوماسيين بين روسيا وبريطانيا بسبب ليفتينينكو" هوتورط الرئيس بوتين شخصياً فيها، واتهام ليفتينينكوله، وهوعلى فراش الموت بأنه هوالذي أصدر بنفسه الأمر بتسميمه بمادة مشعة !!

٢-العملية " بلونيوم ٢١٠ " !!

جرت العادة أن تجرى أجهزة الاستخبارات عمليات تصفية جسدية للعملاء المنشقين .. السبب ببساطة هوتكميم فمه للأبد .. فالعميل المنشق يظل مصدراً لتهديد جسيم بما لديه من أسرار رهيبة يمكن أن يؤدي كشفه عنها لأزمات لا قبل للنظام في بلاده بمواجهتها، وربما تكون من نتائجها تعريض علاقاتها بدول أخرى لخسائر وأضرار فادحة، أوفرض عقوبات دولية عليها، أوربما الزج بها في حرب ضروس .

ومن ثَمَّ فقد جرى العرف أن تتخلص أجهزة الاستخبارات من جواسيسها وعملائها بمجرد رفعهم راية العصيان أوتهديدهم بكشف أسرار عملياتها القذرة.. ولكن أحيانا يخشى مسئولوهذه الأجهزة رد فعل العالم إذا ما أقدمت على التخلص من عميل أصبح معروفاً وتحت أعين العالم، بعد تمكنه من اختطافها وإيصال صوته للخارج .

ومن هنا يصبح كل ما تفعله هذه الأجهزة معه مرصوداً، ومن ثم تتردد في التخلص منه، ولا تجد أمامها مفراً من الإبقاء عليه حياً قيد الإقامة الجبرية، ومع منعه من مغادرة بيته وبلده، بمعنى إسكات صوته دون إزهاق روحه، وتحمل عواقب ذلك من إدانات دولية وغيرها !!

وهكذا كان الحال مع ألكسندر ليفتينينكوأحد أشهر العملاء الروس في العصر الذهبي لجهاز الاستخبارات السوفيتي " كي . جي . بي " عندما قرر في الألفية الثالثة، وبالتحديد في العام ٢٠٠٦، أن ينشق عن نظام الرئيس فلاديمير بوتين في روسيا بعد سنوات طويلة من تفكك الاتحاد السوفيتي، مع تغيير بسيط، وهوأنه تمكن

من الهرب إلي الخارج فلم يجد نظام بوتين مفراً من تصفيته جسدياً في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر عام ٢٠٠٦، في لندن حيث لجأ، وبأبشع طريقة !!

ومما جعل للفضيحة عواقب وخيمة أقلها تفجير أزمة دبلوماسية بين موسكوولندن انتهت بما اصطلح على تسميته بـ " موسم تبادل طرد الدبلوماسيين بين روسيا وبريطانيا بسبب ليفتينينكو"هوتورط الرئيس بوتين شخصياً فيها، واتهام ليفتينينكوله، وهوعلى فراش الموت بأنه هوالذي أصدر بنفسه الأمر بتسميمه بمادة مشعة !!

ومما زاد الطين بلة أن الرئيس بوتين هونفسه أيضاً الذي رفض تسليم قاتل ليفتنينكوالعميل أيضاً بالاستخبارات الروسية لسلطات التحقيق في لندن، بعد أن فضحته تصريحات آخر شخص التقى ليفتنينكوقبل سقوطه صريع التسمم بالمادة المشعة، وهوالأستاذ الجامعي الإيطالي ماريوسكاراميلا الذي لاقى نفس مصيره وبنفس المادة المشعة !!

ولكن وقبل الحديث عن هذه الصورة من صور حرب الجواسيس التي ازدادت ضراوة في القرن الواحد والعشرين يجدر بنا التوقف عند شخصية ليفتنينكومفجر هذه الحرب الضروس بين موسكوولندن ولا تزال مستمرة !!

ولد ألكساندر في فورونيتش في روسيا (الاتحاد السوفييتي) في الرابع من شهر ديسمبر عام ١٩٦٢ . وتم تجنيده كعميل لدى الاستخبارات الروسية في مجال مكافحة الجرائم المنظمة (التنظيمات المسلحة)، ولكنه انشق عليها . وبعد توقفه عن العمل لدى الاستخبارات الروسية، أصبح مناهضا لها، وقام بفضح بعض العمليات غير المشروعة التي نفذتها تتعلق بالاستخبارات والمليادير الروسي بوريس بيريزوفكسي، حتى تم اعتقاله عام ١٩٩٩، ثم أطلق سراحه - لاحقا - بعد ان وقع على وثيقة يتعهد فيها بعدم مغادرة الأراضي الروسية، ثم هرب بعدها إلى بريطانيا !

وهناك بدأ ليفتيننكومن وجهة نظر الروس الخروج عن النص، حيث بدأ في فتح فمه، والكشف عما بحوزته من أسرار .

فقد أصدر كتابين في غاية الخطورة كشف في أحدهما وهوبعنوان "تفجير روسيا" - Blowing up Russia - " أن المخابرات الروسية قامت بعمليات تفجير في روسيا لتحريض الشعب على الحرب ضد الأقليات المسلمة عبر إلصاق التهم بالمتمردين الشيشان " .

ومن هنا تبدأ المأساة كما كشفت التحقيقات بلقاء ليفتينكومع أحد معارفه الإيطاليين باسم ماريوسكاراميلا الذي قام بتسليم ليتفينينكورسالة تتعلق بالتحقيق في جريمة اغتيال الصحفية آنا بوليتكوفسكيا في موسكومؤخرا . وأنهما التقيا في منتصف النهار في مطعم ياباني .

وسرعان ما شعر ليتفينينكوفي الأيام الأولى من نوفمبر بتردي صحته وغثيان وكان هذا وفقا لأعراضه شبيه بالتسمم، ونقل ضابط دائرة الأمن الفدرالية الروسية السابق إلى أحد مستشفيات لندن . وتردت حالته أكثر على مدى أسبوع وسقط شعر رأسه بالكامل عمليا.

وقال الأطباء أن ليتفينينكولم يتناول أي شيء على مدى ١٨ يوما بعد التسمم وكان يحقن بالمغذي . وتضرر بشكل جدي لدى ليتفينينكونخاع العظم مما تسبب في حرمان الجسد من كريات الدم البيضاء تقريبا. وأظهرت التحاليل والفحص الخاص بالسموم أن نسبة معدن الثاليوم الخطر في جسم ليتفينينكوأكثر من المعدلات المسموحة بثلاثة أضعاف تقريبا.

وأشارت التحقيقات إلى أن ليفتينينكومن أقرب المقربين لرجل الأعمال المعارض لنظام الرئيس الروسي بوتين والهارب إلى لندن بوريس بيريزوفسكي .

والآن يجدر بنا التوقف قليلاً عند المادة المشعة التي فجرت الفضيحة، بعد أن أودت بحياة ليفتنينكو، وقلبت حياة اللندنيين رأساً علي عقب خوفاً من آثارها .

فقدعثر على آثار البولونيوم في ثلاثة مواقع في لندن وهي فندق ميلينيوم في مايفير، حيث التقى الجاسوس السابق روسيين اثنين في الأول من نوفمبر، وفي مطعم ايتسواليباني للسوشي في بيكاديللي، حيث تسلم مستندات من الأستاذ الجامعي الإيطالي ماريوسكاراميلا، وفي منزله في موزويل هيل شمال المدينة.

تعد " البولونيوم ٢١٠ " أحد العناصر الموجودة في الطبيعة، والقادرة على بث إشعاعات من نوع " ألفا " المضرة بالكائنات الحية عموماً، وبينها الإنسان. وتم اكتشافه من قبل ماري كوري البولندية الأصل في أواخر القرن التاسع عشر، وتحديداً في عام ١٨٩٨.

وهومن العناصر النادرة جداً في الطبيعة، ويتم استخراجه اليوم إما مباشرة من الصخور المحتوية على عنصر اليورانيوم، حيث يُعطي كل طن متري من اليورانيوم حوالي ١٠٠ ميكروغرام من البولونيوم، أومن خلال عمليات فصل كيميائي لهذه المادة من مادة اليورانيوم ـ ٢٢٦.

وله أكثر من ٥٠ نظيرا مشعا غير ثابت، أكثرها توفراً هو" بولونيوم–٢١٠ " . ويصدر أشعة " ألفا " بكميات عالية، حيث ينتج مليغرام واحد منه من أشعة ألفا ما تُنتجه ٥ غرامات من مادة الراديوم. لكن من المعروف أن أشعة ط ألفا " يمُكن التحكم في تسربها بصفة سهلة نسبياً، لذا فإنه نظرياً يمُكن وضعها في علبة زجاجية محكمة الإغلاق، مثلا، أومظروف ورقي أوفي داخل قطعة من الطعام، دون أن يتضرر من يحملها أومن حوله طالما لم تُستنشق المادة أوتُبلع. وتوجد هذه المادة المشعة في أجزاء الطبيعة القريبة من الإنسان بكميات ضئيلة، كما في التربة والهواء والمياه، بل تُوجد حتى في لفافات التبغ المزروع في بعض مناطق العالم. ولذا فإن أجسام الناس تحتوي على كميات ضئيلة جدا منها بصفة طبيعية.

وتعتبر مادة " بوليونيم ـ ٢١٠ " عالية الإشعاع والسمّية إذا اُبتلعت أواُستنشقت أوحُقنت في الدم. ومن الخطورة الصحية بمكان حملها أوالتعامل معها دون احتياطات

سلامة. وتعد كمية ١ ميكروغرام (جزء من ألف غرام) خطرة جداً، نتيجة التأثير المباشر لطاقة أشعة ألفا على أنسجة الجسم. وبحساب تقريبي فإن التأثير السمّي لغرام منها يُعتبر أكثر سمّية من غرام من السيانيد، بمقدار ٢٥٠ مليون مرة، ما يعني أن قطعة بحجم ذرة غبار تعد عالية السمّية.

ولا توجد مادة مضادة لعلاج حالات التسمم بالبولونيوم-٢١٠، لكن عندما تتواجد في الجسم بكميات عالية فإنها تتسبب في أضرار بالغة على أعضاء الجسم خصوصاً عند ابتلاعها أواستنشاقها، وربما تُؤدي إلى الوفاة.

ويجد الأطباء صعوبة في اكتشاف وجود المادة عندما يتعرض لها الإنسان، والسبب في ذلك هوطبيعة إشعاعات ألفا التي تصدرها المادة، لأنها ذات مدى قصير في اختراق أنسجة الجسم، وحينما يتم ابتلاعها أواستنشاقها فإنها تتلف الأنسجة المحيطة بمكان تواجدها دون الخروج بشكل كاف الى مناطق خارجية من الجسم، مما يُصعب على الأطباء اكتشاف وجودها. ولهذا فإن الشخص الذي يتعرض للتسميم بالمادة، لا يؤثر بشكل ضار، في الغالب، على من هم حوله من الناس.

ومن هنا يبدواختيارها كوسيلة قتل، فكرة ذكية، ولم يسبق استخدامها لهذه الغاية من قبل، كما تشير بعض المصادر، ولا يمُكن اكتشافها بأجهزة رصد الإشعاعات المعتادة. ولهذا فإن الأطباء عادة لا يكتشفون وجودها حينما تبتلعها الضحية أويستنشقها، حتى حين بدء ظهور الأعراض المرضية عليه، إضافة لعدم تسببها في أذى للمحيطين بالشخص المعني. لكن ثمة آراء طبية تفيد بان الناس الذين يتعرضون لبول أوبراز وربما إفرازات عرق، الشخص المعني، قد يتضررون هم ايضاً بانتقال أجزاء ضئيلة من المادة المشعة الضارة إليهم.

وعند مراجعة المصادر الطبية حول دراسات التسمم، لا يستطيع الانسان العثور سوى على إشارة لهذه المادة في احدى الدراسات الروسية الطبية الصادرة عام ١٩٩٤.

والتأثير المباشر لهذه المادة على جسم الإنسان يحدث نتيجة لأشعة ألفا الصادرة بوفرة عن مادة بولينيوم ـ ٢١٠، حيث تُؤدي الطاقة الناجمة عن الأشعة هذه إلي تفتيت آلية عمل جينات الخلايا، ما يُؤدي إلي قتل الخلايا الحية أوتحويلها إلى خلايا سرطانية. ولذا تظهر الأعراض على مناطق الجسم التي تتميز بوجود خلايا تنقسم بسرعة في العادة، مثل خلايا نخاع العظم أوبصيلات الشعر أوبطانة أجزاء الجهاز الهضمي، أي ظهور حالة أنيميا الدم وضعف جهاز مناعة الجسم وتساقط الشعر وأعراض شتى في الجهاز الهضمي.

وعودة إلى مأساة لفتيننكوالغريبة والعجيبة أيضاً، وبالتحديد صبيحة الوفاة فى ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٦، ظهرت وصيته التى قال عنها صديقه أليكس جولدفارب : الكسندر فالتيروفيتش ليتفينينكوهوالذي أملاها عليَّ بنفسه يوم ٢١ نوفمبر ٢٠٠٦ وهويصارع الموت، أي قبل يومين من وفاته .. هذه الوصية التي غيرت مسار الأحداث، وحولت حكاية العميل السابق إلي أزمة بين موسكوولندن ممتدة وفي تصاعد حتى صدور هذا الكتاب .. ويقرأ نص الوصية :

" أود أن أشكر العديد من الناس .. أطبائي وممرضاتي، طاقم المستشفى الذي يفعل في هذه الأثناء كل ما في وسعه لمساعدتي. أود أن أشكر الشرطة البريطانية التي تحقق في قضيتي بجلد واحترافية، وفي الآن ذاته تؤمنني وتحمي عائلتي. أود أن أشكر الحكومة البريطانية على رعايتي والاهتمام بي. عن حق أفخر أني مواطن بريطاني. أود أن أشكر الشعب البريطاني على رسائل الدعم والمساندة، على الإهتمام الذي أبداه تجاه محنتي.

أشكر زوجتي مارينا التي وقفت دوما بجانبي. فلتعلم أن حبي لها ولابننا لا يعرف حدودا.

ولكنني إذ أرقد هنا، أحسبني أسمع بوضوح تام ويقين دقات أجنحة ملاك الموت. ليتني أفر منه، غير أن ساقي اليوم لن تطيعاني، ولن تعدوا بالسرعة التي أتمناها.

وعلى هذا أظن الوقت قد حان .. لأقول شيئا أوبضع أشياء لهذا الذي يسأل عن وضعي الراهن ..

لربما نجحت أن تسكتني، لربما نجحت أن تخرسني، ولكن للسكوت ثمن .. ثمن يدفع، وقد دفعتموه .. دفعتموه حين ارتديتم ثياب البربرية، ثم دفعتموه مجددا حين دنا بكم للقاع، للمستوى الذي قبعتم فيه قساة متبلدي الإحساس، وأثبتم معه صدق كل كلمة قالها أعداؤكم وناقديكم.

أريتموني والعالم من بعدي أنكم تفتقدون كل إحترام للحياة والحرية، تماما كما تعوزكم قيم الحضارة.

ما قط استحققتم مناصبكم ولا مسؤلياتكم، ولا ثقة المتحضرين والمتحضرات.

لربما نجحتم أن تسكتوا رجلا واحدا، ولكن عواء الثوار والأحرار حول العالم سيدوي، حتما سيدوي، ويزلزل الأرض .. سيدوي أمام عينيك سيد بوتين. غفر الله لك ما اقترفته، في حقي، وفي حق روسيا الحبيبة وشعبها " .. إلى هنا انتهى نص الوصية !

وبدأت خيوط الأزمة تتجمع بفعل الكشف عن مضمون الوصية، وما حملته من اتهامات .. وحاولت الصحف الروسية الموالية للحكومة السبت الدفاع عن الكرملين وقالت صحيفة روسيسكايا غازيتا "أن تسميم ليتفيننكوقد يكون وراءه بوريس بريزوفسكي لإثارة الشبهات في السلطات الروسية".

أما الرئيس الروسي فلاديمير بوتين فقد ندد باستخدام موت العميل الروسي السابق ليتفينينكوفي لندن للتحريض السياسي ضد نظامه " !

وقد هدد العميل الإيطالي الأستاذ الجامعي ماريوسكراميلا الذي كان مصاباً أيضاً بنسبة ضئيلة من مادة البولونيوم المشعة ورقد بأحد مستشفيات لندن لبعض الوقت قبل شفائه ، بالكشف عن ملفات ووثائق تورط عدد من السياسيين والصحفيين

الأوروبيين في قضايا التجسس لصالح جهاز الاستخبارات الروسي . ونقل المحامي سيرجيوراستريللي عن سكراميلا قوله : "قبل أن أودع هذه الحياة سأكشف عن أسماء سياسيين وصحفيين كانوا يمدون جهاز الاستخبارات الروسي بمعلومات عن بعض دول الاتحاد الأوروبي" .

واعتبر ماريوسكاراميلا أن الكرملين أمر بقتل الكولونيل السابق في اف.سي.بي (كي.جي.بي سابقا) لما كان لديه من معلومات" . وقال سكاراميلا في مقابلة مع صحيفة كورييري ديلا سيرا أن "ليتفيننكولم يمت بمرض في بطنه، لقد قتل بسبب ما كان يعلمه، وكل ذلك موجود في وثائق لجنة ميتروخين" .

وكان سكاراميلا وهوأستاذ في جامعة نابولي، مستشارا في تحقيق برلماني إيطالي اجري حول ملف ميتروخين الذي يتعلق بالجواسيس الذين جندهم جهاز الكي. جي.بي في إيطاليا.

وكانت لجنة التحقيق التي شارك فيها ليتفيننكوبرئاسة باولوغوزانتي السناتور في حزب فورتسا إيطاليا حزب رئيس الحكومة السابق سلفيوبرلوسكوني.

وتفيد رسائل إلكترونية نشرت صحيفة الغارديان البريطانية مقتطفات منها أن أجهزة الاستخبارات الروسية كانت تعتزم استخدام القوة ضد الكسندر ليتفيننكووسكاراميلا وغوزانتي ورجل الأعمال الروسي المثير للجدل بوريس بريزوفسكي المعارض الروسي لنظام فلاديمير بوتين المقيم في بريطانيا.

وتشير الوثائق التي يبدوأن سكاراميلا سلمها في الأول من نوفمبر للتفيننكوأيضا إلى أن العملاء المكلفين تحضير عمليات ضدهم كانوا "على الأرجح متورطين في اغتيال آنا بوليتكوفسكايا" الصحافية الروسية المعارضة التي اغتيلت في السابع من أكتوبر في موسكو.

وأضاف أن وجود مادة "البولونيوم ٢١٠" المشعة بجسده لم يأت بمحض الصدفة أوالخطأ، مؤكدا أن جهات روسية وغربية تحاول اغتياله بنفس الطريقة التي اغتالت

بها العميل الروسي ألكسندر ليتفيننكولإسكاته عن كشف الملفات التي بحوزته والتي تورط عدد من كبار السياسيين الروس والغربيين بها.

وقال المحامي راستريللي في حديث لصحيفة "لاستمبا" الإيطالية إن هذا الأخير كشف له عن الأسباب الحقيقية التي جعلت المخابرات الروسية المتعاونة مع بعض السياسيين الغربيين، تقوم بتسميم جسده بالمادة المشعة ، مشيرا إلى أن حصوله على معلومات مهمة أثناء لقائه بالعميل الروسي ليتفيننكوكان كافيا لوضعه ضمن لائحة الأسماء المطلوب تصفيتها .

وفي السياق نفسه، أجرت السلطات الإيطالية تحريات بشأن احتمال هبوط طائرات بوينج ٧٦٧ بأحد مطاراتها قادمة من موسكويعتقد أنها كانت تحمل مواداً إشعاعية مثل "البولونيوم ٢١٠".

وفي تلكم الأثناء اشتعل الموقف بفعل توجيه سلطات سكوتلاند يارد الاتهام إلى عميل سابق لجهاز استخبارات بوتين وهوالروسي اندري لوغوفوي بقتل ليفتنينكو، قبل عودته بسرعة إلى موسكو، ومطالبة حكومة توني بلير رئيس الوزراء البريطاني – آنذاك – للرئيس بوتين بتسليمه للتحقيق معه ومحاكمته في لندن بعد ثبوت تورطه لأن الشرطة البريطانية (سكتلنديارد) تعتبر لوغوفوي الذي تحول الى عالم البيزنس، وأصبح رجل أعمال هوالمشتبه به الرئيسي في وفاة ليتفيننكو!

ولكن الرئيس بوتين رفض تسليم لوغوفوي فطردت بريطانيا في عام ٢٠٠٧، بعد أشهر من تكرار طلبها بتسليمه، أربعة دبلوماسيين روس من سفارة موسكوبلندن .فما كان من نظام بوتين إلا أن رد بطرد أربعة دبلوماسيين بريطانيين وتشتعل الأزمة أكثر فأكثر !!

ويكمن سر رفض بوتين تسليم لوجوفوي في أنه في حال ثبوت إدانته فإن ذلك سوف يفتح الباب على مصراعيه أمام عددٍ من الأسئلة الحساسة مثل : "من بعث

بهذا الشخص لفعل ذلك، ومن أعطاه السم، ومن أين أتى، ومن تحمل نفقات كل ذلك ؟ .. كما أنه في حالة العثور على أدلة تثبت أن لوجوفوي لم يكن يعمل بمفرده، وأنه كان في مهمة، فإن الأمر سيكون "فضيحة كبرى لوثبت تورط الرئيس الروسي فيها كما تشير كافة الدلائل !!

ويتفق المحللون السياسيون على أن قضية "لوجوفوي" من المحتمل أن تزيد العلاقات الباردة بين روسيا والغرب سوءًا، فما بالك لوثبت تورط موسكوفيها !!

وجاءت أزمة ليفتنينكولتسكب البنزين على النار الموقدة بين لندن وموسكوأصلاً بسبب رفض لندن ترحيل كل من رجل الأعمال الروسي "بوريس بريزوفسكي" ، والزعيم الشيشاني "أحمد زاكاييف" لمواجهة اتهامات أمام القضاء الروسي .

ووفقًا للدستور الروسي؛ فإن أي مواطن يتورط في ارتكاب جريمة فوق أراضٍ أجنبية يجب أن تتم مساءلته جنائيًا في روسيا، إلا أنَّ موسكوانضمت عام ٢٠٠١ إلى الاتفاقية الأوروبية بشأن ترحيل المطلوبين، وهوما يعني أنّ السلطات الروسية ليست ملزمة بمحاكمة "لوجوفوي" داخل البلاد، ويمكن لها تسليمه إلى بريطانيا إذا ما أرادت ذلك.

وكان الملياردير المنشق على بوتين بيريزوفسكي قد قرر في تلك الأثناء كسر حاجز الصمت بشأن مقتل صديقه ليتفيننكوليروي للصحفيين في لندن كل ما أطلعه عليه الجاسوس السابق قبل مقتله ليسكب المزيد من النار علي البنزين !!

قال بوريس بيريزوفسكي: عندما ذهبت لزيارة " ساشا " – كنية ينادى بها لفتينينكو- في المستشفى أول مرة بعد تسممه- في ذلك الوقت كما تذكرون كانوا يناقشون بنشاط نظرية أن (المستشار الإيطالي ماريو) سكاراميللا متورط- وقد قال لي" هل تعلم يا بوريس، لدي نظرية لن أعلن عنها للملأ، ولكنها الحقيقة . لقد قابلت لوغوفي يوم مرضي (الأول من نوفمبر). لم أقابله وحده- بل (ديميتري)

كوفتون وشخص آخر كنت أقابله للمرة الأولى، كانوا هناك أيضا. أعتقد أن هؤلاء الأشخاص هم من قاموا بتسميمي."

بصراحة فوجئت من ذلك. فالمعلومات التي شاركها ليتفيننكولم تكن متوقعة. وعدا ذلك، قبل يوم واحد فقط - في ٣١ أكتوبر- جاء لوغوفي لزيارتي في مكتبي. وقد قمنا باقتسام زجاجة من النبيذ الأبيض فيما بيننا. وأقول بيننا نحن الاثنان حرفيا. لأنه لم يكن أحد آخر هناك. لذا ما حدث مع ساشا اليوم التالي، وحقيقة أن ساشا يشك بأن لوغوفي متورط في التسميم- بالطبع بالنسبة لي كان هذا أمرا غير متوقع على الإطلاق.

هل أصدق هذا أم لا؟ بعد كل الصعوبات التي واجهتها خلال السنين الأخيرة، أعرف أنه لايمكن استبعاد الأمر بكل بساطة. وعدا ذلك، بالطبع، زادت شكوكي مؤخرا كثيرا. لأنه توجد طريقة يستطيع فيها لوغوفي إبعاد الشبهات عن نفسه وذلك بأن يستقل طائرة لبريطانيا ويتطوع للذهاب إلى سكوتلانديارد. وحسب خبرتي مع النظام القضائي الإنجليزي فإنه إذا كنت متأكدا أنك على صواب، فلا يوجد أي شك ولوصغير أنك ستتعرض لمقاضاة قانونية، ستصبح فقط ضحية تحكيم قانوني.

ورداً على سؤال حول ما إذا كان ليتفيننكوقد فسر له شكوكه، قال بيريزوفسكي: نعم، لقد قام ساشا بتفسير ذلك. وقد قال من الواضح جدا أنه لا يوجد هناك ما يسمى "بالسابق"- أي عملاء سابقين للمخابرات الروسية الكي جي بي سابقا والأف أس بي حاليا. وقد كان متأكدا أن لوغوفي يتبع الأوامر بكل بساطة. المرحلة الأولى كانت في التقرب من ساشا، ومن ثم إثارة فضوله بمعلومات معينة، ثم المرحلة الثانية كانت في تنفيذ الأوامر بكل بساطة- ألا وهي قتله. بعد أن قام (الرئيس الروسي فلاديمير) بوتين بتوقيع القرار- كان ذلك قبل سبعة أشهر- الذي يسمح للقوات الخاصة بقتل، دون محاكمة أوعواقب، أعداء نظام الحكم في الخارج الذين هم في الواقعة عبارة عن معارضين سياسين، وقد قال لي ساشا مرارا أننا الأوائل على

القائمة- هو(المفوض الشيشاني المنفي في لندن أحمد) زكايف، وأنا. ولم تنتهي "قائمة القتل"هنا، ولكننا كنا الأوائل.

وعندما سئل بيريزوفسكي : إذا كان لوغوفي قادرا على شيء كهذا لماذا لم يحاول تسميمه هوأيضاً بالبولونيوم، طالما كانت لديه فرصة عندما تشاركا زجاجة النبيذ، قال بيريزوفسكي: المخاطر التي واجهها ساشا والتي نواجهها أنا وأحمد زكايف متماثلة. وهذا يطرح بطبيعته التساؤل لماذا قتلوا ساشا وليس أنا. كل ما لدي هوالتكهنات. يجب أن يتم طرح مثل هذه الأسئلة ليس علي بل على الشخص الذي أعطى أوامره للوغوفي. ويجب في البداية إثبات أن لوغوفي هوالذي قام بهذا العمل بالفعل. ساشا صرح بشكوكه. ولغوفي بخوفه من القدوم إلى هنا- وأستخدم تحديدا كلمة "خوف"- بكل بساطة يزيد من هذه الشكوك.

ولكني أعتقد أنه كانت هناك أسباب لكونه ساشا وفي هذا الوقت تحديدا. أخبرني ساشا عن العمليات التي كان مشتركا بها في ذلك الوقت- ليست عمليات فعلية، بل الأشخاص الذين كان يجمع أدلة خطيرة عنهم تدل على اشتراكهم في عمليات إجرامية. وبمعرفتي بساشا علمت أن الأمر في الواقع خطير جدا، لأنه كان فعلا عميلا جيدا جدا.

وحول ملابسات معرفته بلوغوفي، قال بيريزوفسكي: لقد ظهر لوغوفي في الوقت الذي توقف فيه إيغور جايدار عن كونه رئيس وزراء (أواخر عام ١٩٩٢). وكما علمت حتى ذلك الوقت كان لوغوفي رئيس حرس جايدار. وقد كان إيغور جايدار هوالذي أوصى بلوغوفي كشخص صريح صادق قادر على تولي مسؤولية حراستي الشخصي. بعد أن التقيت بأندرية قام ببناء النظام الذي أريده في الواقع. وكان هناك العديد من موظفي الكي جي بي السابقين وأيضا من الدائرة التاسعة (للكي جي بي) (الذين كانوا يحرسون شخصيا المسؤولين المرموقين) من بين حراسي الشخصيين، وكان لوغوفي واحدا منهم.

بعدها قام بدري (باتاركاتيشفيلي، صديقي القديم وشريكي) بعرض منصب رئيس حرس (تلفزيون) الأوآر تي عليه في تلك المنظمة الهائلة. وقد كان لوغوفي هومن نظم الأمن في الأوآر تي. وبعد توليه ذلك المنصب ضعفت صلاتنا نوعا ما، ولكنه كان موجودا دائما. وكنا نتحدث من وقت لآخر، بأمور منتجة.

لذا تحدثت معه عندما جاء في البداية إلى لندن، قبل ثلاثة أشهر (من هذه الأحداث). كانت إبنتي على وشك الذهاب إلى روسيا، وقد طلبت من لوغوفي أن ينظم الحراسة لها. وقد فعل ذلك. وطبعا عندما حضر إلى لندن في (المرة الأخيرة) عند لقائنا في ٣١ أكتوبر، أردت أن أشكره لتنظيم الحراسة لإبنتي.

وحول هدف مكتب المدعي العام الروسي من الإصرار على استجواب أكثر من ١٠٠ شخص في لندن ؟

رد بيريزوفسكي قائلاً : لنبدأ من البداية. أولا، من الواضح أن مكتب المدعي العام منظمة إجرامية عصابات تخدم كوسيلة لاضطهاد الناس الذين لهم جوهريا عقلية مثل بوتين وآخرون الذين يجلسون في الكريملين. هذا بالتحديد سيساعدك على فهم الهدف من وراء هذا الطلب.

لننظر إلى الأمر من هذه الناحية. نعرف أن السكوتلانديارد أتمت تحقيقاتها. ومن الواضح أن التحقيقات قد تمت بطريقة مسؤولة وغير متحيزة .

ووفق معلومات تم تسريبها إلى الصحافة عندي انطباع بأن السكوتلاند يارد تعرف مرتكب الجريمة ويعرفون بالتحديد من وراءه- ألا وهي الدولة الروسية. مكتب المدعي العام (الروسي) يعرف هذا أيضا، لذا فإن أعمالهم تكتيكات للتمويه. يعرفون من تولى العمل في الجريمة. يعرفون أكثر من محققي سكوتلانديارد بكثير، لأنهم هم الذين كانت عندهم المعلومات أولا.

موقفي بسيط جدا. سأساعد السكوتلانديارد بأية وسيلة ممكنة، حتى لوتعرضت شخصيا للخطر من جراء ذلك. لذا فقد قلت إنني مستعد للقاء ممثلين عن مكتب

المدعي العام الروسي إذا كان ذلك يساعد السكوتلانديارد في تحقيقاتهم. روسيا تبتز السكوتلانديارد في هذه الحالة. يقول (المسؤولون الروس أنهم سيسمحون الإستجواب (في روسيا) إذا سمحت (بريطانيا) (روسيا) أن تستجوب الناس في بريطانيا. وقد قلت لا بأس يمكن أن يستجوبوني إذا ساعد الموضوع بالإمساك بقاتل صديقي.

ولا يختلف موقفي في هذا الصدد عن موقف زوجة ألكسندر ليتفيننكو، مارينا. لن نسمح بتوقف الإستجواب، وسنذهب إلى النهاية للإيقاع بالمجرمين.

بقي أن نعرف أن والد ليتفينينكوكان قد فجر مفاجأة من العيار الثقيل، عندما كشف عقب مقتله عن أن نجله، المولود لعائلة مسيحية أرثوذكسية، والذي توفّي مسموما في لندن طلب قبل وفاته أن توارى جثته وفق التقاليد الإسلامية . وقال فالتر ليتفينينكووالد الجاسوس الراحل " قلت له في مستشفى يونيفرسيتي كوليج "،، بُنيّ لقد أشعلت من أجلك شمعة في كنيسة سانت سيرج في رادونيج، وصليت من أجلك، وردّ علي، أبي أريد أن أُدفن وفق الشعائر الإسلامية . "

وكان موقع إلكتروني للمقاتلين الشيشان قد أشار بُعيد وفاة الجاسوس إلى أن ليتفينينكوقد اعتنق الإسلام، حيث قال ممثل المقاتلين الشيشان اللاجئ في لندن أحمد زكاييف لصحيفة "ديلي تلغراف" السبت الماضي، "قمنا بتلاوة آيات من القرآن عليه قبل وفاته". وأضاف زكاييف "لقد قال ليتفينينكو لزوجته وأسرته بأنه يريد أن يدفن وفق التقاليد الإسلامية ".

واتهم والد الجاسوس السابق روسيا بالضلوع في عملية تسميم ابنه، قائلا " لا يساورني أدنى شك في ضلوع الأجهزة الروسية الخاصة التي فعلت ذلك بتصريح من الرئيس فلادمير بوتين" .

وردا على سؤال بشأن معلومات تداولتها الصحف البريطانية عن احتمال مقتل الكسندر ليتفينينكوبأيدي عملاء سابقين في المخابرات الروسية، اعتبر والد القتيل

أن ذلك "غير صحيح". وأضاف بأن أي منظمة لمقاتلين سابقين لا تجرؤ على قتل عميل سابق لأجهزة المخابرات، مؤكدا بأن المسألة لا تزيد عن أمر صادر من أعلى مستوى".

ونشرت "ديلي تلغراف" وثيقة تتهم الأجهزة السرية الروسية ومجموعة محاربين قدامى أطلق عليها اسم "كرامة وشرف" يقودها الجنرال الروسي فالنتين فليتشكوبأنها سعت إلى قتل العديد من الأشخاص الذين اعتُبروا مضرين بالمصالح الروسية.

وأكد والد الجاسوس ليتفينينكوأن نجله "يعرف من قتل آنا بوليتكوفسكايا" الصحافية الروسية المعارضة التي اغتيلت في ٧ أكتوبر في موسكو، قائلا "كان بإمكانه تقديم شهادته عن جرائم أخرى للأجهزة السرية الروسية، خصوصا في شمال القوقاز".

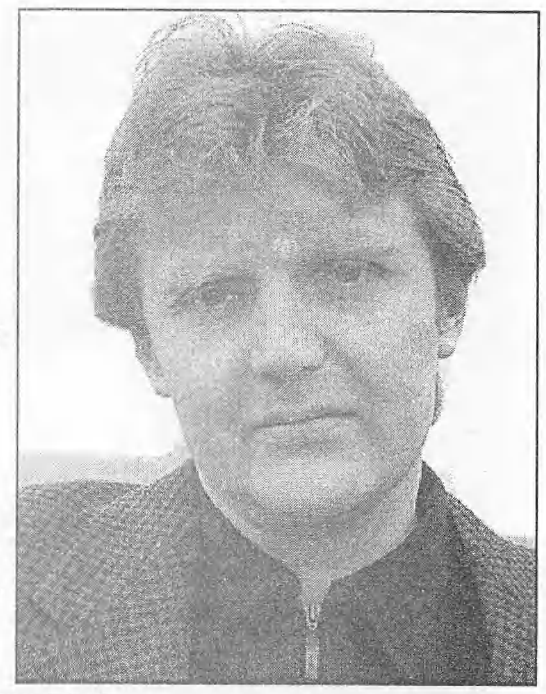
على صعيد آخر، رفضت السلطات الروسية السماح لمحققي الشرطة البريطانية سكوتلنديارد باستجواب الجاسوس الروسي السابق المقدّم ميخائيل تراباشكين الذي تحتجزه السلطات الروسية في سجن "نيجني تاغيل" منذ العام ٢٠٠٤ والذي تتهمه بتسريب معلومات سرية إلى جهات أجنبية. وقد انتقلت سكوتلنديارد إلى بريطانيا، للتحقيق مع تراباشكين بشأن وفاة ليتفينينكو، حيث كان هذا الأخير قد وجّه رسالة إلى ليتفينينكويقول له فيها بأن معلومات بلغتّه تفيد بوجود فريق روسي خاص مهمته تصفية ليتفينينكواللاجئ في لندن!!

وفي موضوع ذي صلة، نفى الأطباء الإيرلنديون الذين أشرفوا على معالجة رئيس الوزراء الروسي الأسبق "إيغور غيدار" أن يكون المرض الذي يعانيه هونتيجة لتسممات من مواد مشعة، في محاولة للفصل بين وفاة ليتفينينكوومرض غيدار، حيث كان غيدار قد سقط مريضا في إيرلندا يوما بعد وفاة ليتفينينكو، وقد أوضحت السلطات الصحية الإيرلندية بأنه لا توجد أية آثار لمواد مشعة في الناحية التي زارها غيدار، مما ينفي وجود علاقة بين الحادثين.

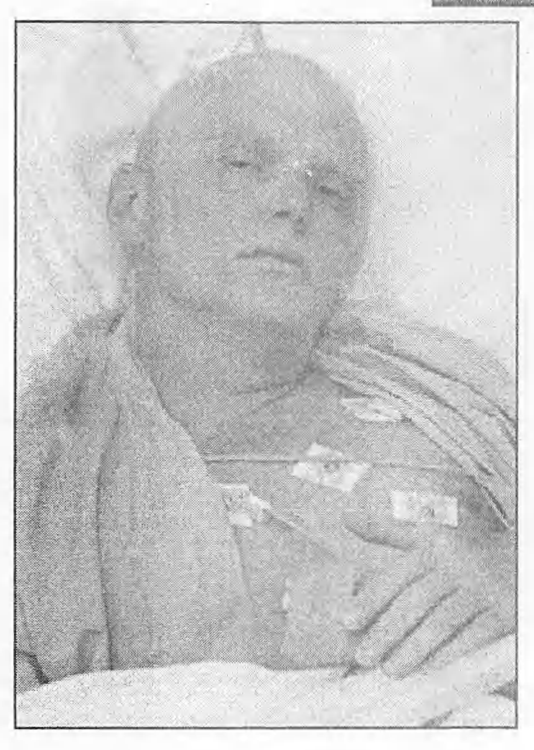
ولاتزال شرطة سكوتلنديارد – حتى صدور هذا الكتاب - تجري مساع كبيرة من أجل استجواب تراباشكين، الذي تقول محاميته بأن السلطات الروسية كانت قد وعدت بالتعاون مع البريطانيين في التحقيق، لكنها تراجعت عن وعدها، معتبرة هذا اللقاء "أمرا غير ممكن أبدا".

وقد جاء الإعلان عن خبر إسلام ليتفينينكوليعطي القضية أبعادا أخرى، إذ من المحتمل أن يكون ليتفينينكوقد تعاون مع المقاتلين الشيشان الذين يسعون إلى استقلال بلادهم عن روسيا، وهو الأمر الذي سيجعل من مسألة اغتياله قضية تستحق المتابعة في وجود معطيات جديدة !!

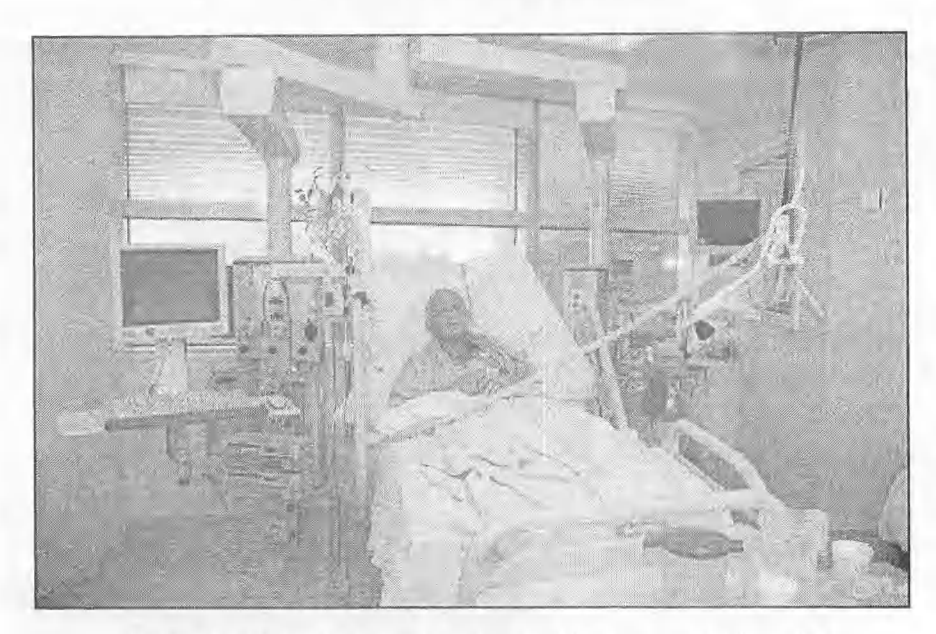
وكانت بريطانيا قد منحت ليتفينينكوحق اللجوء السياسي على أراضيها وسلم في أكتوبر من عام ٢٠٠٦ بطاقة هويته الشخصية البريطانية.



العميل الروسي السابق قبل قبل
تسميمه و قتله بالمادة المشعة بلونيوم
٢١٠ في عملية اغتيال مدبرة !



يرقد في فراشه بالمستشفى ينتظر
الموت و قد كان !



هكذا بدت الصورة بعد فشل علاجه .. استسلام تام للنهاية المحتومة !!



والده يبكي بحرقة بعد إعلان وفاته في أسوأ عملية مخابراتية لاغتيال عميل سابق يخشى من أن يبوح بما لديه من أسرار !!

STATEMENT BY
ALEXANDER LITVINENKO

I would like to thank many people. My doctors, nurses and hospital staff who are doing all they can for me; the British Police who are pursuing my case with rigour and professionalism and are watching over me and my family. I would like to thank the British Government for taking me under their care. I am honoured to be a British citizen.

I would like to thank the British public for their messages of support and for the interest they have shown in my plight.

I thank my wife, Marina, who has stood by me. My love for her and our son knows no bounds.

But as I lie here I can distinctly hear the beating of wings of the angel of death. I may be able to give him the slip but I have to say my legs do not run as fast as I would like. I think, therefore, that this may be the time to say one or two things to the person responsible for my present condition.

You may succeed in silencing me but that silence comes at a price. You have shown yourself to be as barbaric and ruthless as your most hostile critics have claimed.

You have shown yourself to have no respect for life, liberty or any civilised value.

You have shown yourself to be unworthy of your office, to be unworthy of the trust of civilised men and women.

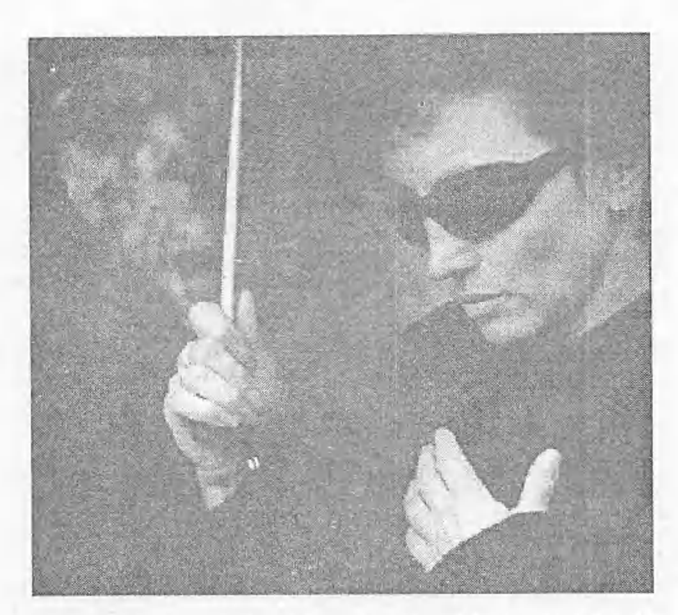
You may succeed in silencing one man but the howl of protest from around the world will reverberate, Mr Putin, in your ears for the rest of your life. May God forgive you for what you have done, not only to me but to beloved Russia and its people.

....

Alexander Litvinenko

21 November 2006

وصية ليفتينينكو الأخيرة التي كتبها من علي فراش الموت و فضحت قاتليه وجعلت نظام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في مصاف القتلة و المجرمين !!



أرملة ليفتينيكو أثناء الجنازة في ذهول لا تصدق ما حدث!!



سيارة الموت تحمل القتيل إلى مثواه الأخير!!

٣- هالة اسفندياري..
جاسوسة أم ورقة ضغط!!



■ وفي عام ٢٠٠٧، وبعد ثلاثة أشهر تقريباً من تهدئة طهران من تشددها مع الأمريكيين، عندما تأكد لها نيتهم المبيتة لشن حرب ضدها، وقررت فجأة التعاون مع مفتشي النووي الدوليين، ودخلت في حوار مع الأمريكيين حول سبل استعادة الأمن في العراق، كانت هالة بمثابة جزء من صفقة غير معلنة بين الإيرانيين والأمريكيين !!

٣- هالة اسفندياري ..

جاسوسة أم ورقة ضغط !!

في السادس عشر من شهر يوليومن العام ٢٠٠٧، بث التلفزيون الايراني في برنامجه "باسم الديمقراطيه" اعترافات ثلاثه إيرانيين يحملون الجنسية الأميركية متهمين بالتجسس ضد ايران والمساس بالأمن القومي الإيراني، وهم هاله اسفندياري ويحيي كيان تاجبخش، ورامين جهابغلو.

وقد سبق عرض البرنامج إذاعة تحذير للمرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي من " ثورة مخملية " مدعومة من الولايات المتحدة تستخدم المفكرين وآخرين لقلب نظام الحكم في إيران .

وجاء البرنامج في وقت دخلت الدولتان اللتان لا توجد بينهما علاقات دبلوماسية منذ فترة قصيرة بعد الثورة الاسلامية في عام ١٩٧٩ في أزمة متصاعدة أيضا حول البرنامج النووي الايراني. ويشك الغرب في إن إيران تهدف الى صنع قنابل ذرية وهي تهمة تنفيها ايران.

وتزامن اعتقال الامريكيين من أصل إيراني مع ما قالت جماعات حقوق الإنسان والدبلوماسيون إنها حملة جديدة ضد المعارضين في إيران مع استهداف السلطات لناشطي الدفاع عن حقوق المرأة والطلبة والصحفيين والشخصيات العمالية. وترفض إيران الاتهام بانها تنتهك حقوق الإنسان.

وكان ثلاثة اشخاص قد تعرضوا لاسفندياري عندما كانت في طريقها الى مطار طهران بقصد العودة إلى الولايات المتحدة في شهر ديسمبر الماضي، وسرقوا كل ما

كانت تحمله من ممتلكات بما في ذلك جوازي سفرها الامريكي والايراني. وعند محاولتها استصدار جواز سفر بديل، احيلت اسفندياري الى جهاز المخابرات الايراني، حيث اخضعت للاستجواب حول عملها في مركز وودروولسون، مؤسسة الأبحاث الامريكية المعنية بالشؤون الدولية. وبعد منعها من مغادرة ايران لاربعة اشهر، احيلت اسفندياري الى سجن ايفين في طهران.

واتهمت صحيفة كيهان الايرانية اسفندياري بالتجسس على ايران لصالح الولايات المتحدة واسرائيل، وبالتحريض ضد نظام الحكم القائم في البلاد.

وقد نفى شاؤول بخاش زوج اسفندياري هذه التهم قائلا "إنها لتهم كاذبة وغير ذات محتوى ان توصف هالة اسفندياري بالعمالة لجهاز الموساد في تطبيق ستراتيجية للقيام بثورة مخملية في ايران."

ومضى زوج الباحثة المعتقلة للقول: " إن الادعاء بأن هالة اسفندياري كانت تقوم بمهمة سرية اوانها جاسوسة محض كذب."

وكانت وزاره الامن الإيرانية قد قدمت ايضاحات حول اعتقال هاله اسفندياري. وقالت انه: " قد تبين من خلال المتابعات الاستخباريه بخصوص محاولات بعض الموسسات والمنظمات الامريكيه للتاثير في الجمهوريه الاسلاميه الايرانيه بان هذه الموسسات تحاول تحت غطاء عناوين مثل بناء الديمقراطيه وحقوق الانسان والاضطلاع بالدور الذي كانت تقوم به اجهزتها الامنيه والاستخباراتيه في الاعوام الماضيه ضد الدول المستهدفه ".

واضافت انه : "فيما يخص السيده هاله اسفندياري فإن المشار إليها هي مدير وموسس برنامج الشرق الأوسط بمركز "ويلسون" الذي يموله الكونغرس الامريكي".

واوضحت الوزارة : "ان هذا المركز يشكل همزه الوصل بين الإيرانيين والمنظمات والمؤسسات الأمريكيه باتجاه تحقيق مآرب الاجانب . فعلي سبيل المثال

كان رامين جهانبغلواحد من وجه هذا المركز دعوه اليهم وتم اجتذابه عن طريق موسسه" "NEDوقام من خلال التعاون مع سائر المنظمات والموسسات الامريكيه بوضع نظريه حول نموذج انهيار اوروبا الشرقيه ودور المثقفين هناك ومطابقته مع ايران وكان يتابعه كمشروع " .

وتابع وزاره الامن : " إن التحقيقات اظهرت بان السيده هاله اسفندياري ذكرت بان النشاطات والبرامج المتعلقه بايران في برنامج الشرق الاوسط بهذا المركز تدعم وتمول من قبل موسسه سوروس الامريكيه الشهيره (إن هذه الموسسه الأمريكيه تعود إلي جورج سوروس الذي لعب دورا أساسيا في الثورات الملونة في الأعوام الأخيرة في عدد من الدول) " .

واوضحت : " انه تم بالتعاون مع السيده اسفندياري التعرف على مدير وممثل موسسة سوروس الأمريكيه في إيران وملاحقته قضائيا بحيث تتواصل التحقيقات بهذا الخصوص " .

واعلنت وزاره الامن انه : " اعلن في التحقيقات الاوليه بان موسسه سوروس ومن خلال ايجاد شبكه اتصال غير رسميه والعمل علي توسيعها وتطويرها كانت تتابع مآربها للإطاحة بالحكم " .

واضافت : "ان بعض هذه الموسسات كانت تحاول من خلال دعوه الاشخاص لالقاء محاضره والمشاركه في الموتمرات ومنح المشروعات البحثيه وزمالات دراسية اجتذاب العناصر الموثره في البلاد وجعلها مرتبطة بالموسسات والمنظمات صانعة القرار في أميركا. وفي هذا المجال فان الدور الخفي لبعض عناصرها الاستخباريه في هذه العملية وتحت هذا الغطاء كان موثرا ورئيسيا " .

وقالت وزاره الأمن : " انه علي الرغم من ان الاهداف القصيره الامد للموسسات المذكورة تعود بشكل رئيسي الي نشاطاتها الظاهريه لكن اهدافها المتوسطه الامد

تتمثل في بناء الثقافة والموسسات والشبكات في البلاد والذي يودي تدريجيا الي ايجاد شبكه غير رسميه ومرتبطه بهم في داخل البلاد ويضعون علي جدول اعمالهم تطويرها وتوسيعها " .

وخلصت الوزاره الي القول بان : "الهدف النهائي والبعيد الامد للموسسات المذكورة هوتمكين هذه الشبكات في الميادين المستهدفه والافاده منها في التوقيت المحدد لمواجهه الحكم وهذا النموذج المصمم اميركيا يتابع من خلال لوحته الظاهريه والخادعه عمليه الاطاحه المبرمجه في البلاد ".

في الوقت نفسه، قال وزير المخابرات الايراني محسني آزهي : ان المتهمة (هالة اسفندياري التي تحمل الجنسية الامريكية اعترفت بقيادتها لشبكة (سوروس) التخريبية حيث تهدف هذه الشبكة الى ايجاد ارتباط في داخل ايران والقيام بعمل تخريبي ضد النظام الايراني) وان المدعوة هالة اسفندياري التي ألقي القبض عليها في ٨ مايوالحالي تقود شبكة تخريبية داخل ايران وقد أرسلت من قبل احدى الشبكات الأمريكية لأجل ايجاد ترابط في الداخل الإيراني حيث يأخذ العمل عناوين مختلفة مثل توسيع الديمقراطية وحقوق الإنسان " .

وأضاف: (ان شخصا أمريكيا يدعى (ويلسون) رئيس مركز الشرق الأوسط يقوم بتهيئة ميزانية خاصة لمؤسسة (هالة اسفندياري) ويقوم الشخص الامريكي المذكور بحلقة الوصل بين شبكة هالة اسفندياري ومجلس الشيوخ الأمريكي) .

وقال : "إن مهمة مركز هالة (مركز سوروس) هواستقطاب النخب الإيرانية العلمانية والمتحررة حيث تقوم تلك الشخصيات بإلقاء محاضرات في المركز، ويعود مركز سوروس إلى شخص امريكي يدعى جورج سوروس الذي له دور كبير في الانقلابات التي تحصل في المنطقة " .

ويقول بعض المحللين شؤون الشرق الاوسط في بي بي سي روجر هاردي إنه يبدوان السلطات الايرانية تنظر بعين الريبة الى محاولات ادارة بوش تشجيع التغيير الديمقراطي في ايران.

فقد منعت السلطت الايرانية عددا آخر من الايرانيين الحاملين للجنسية الامريكية من مغادرة البلاد مؤخرا، بينهم الصحفي بارناز ازيما الذي يعمل لصالح اذاعة راديوفاردا الممول من قبل الولايات المتحدة. كما اختفى في شهر مارس آذار الماضي روبرت ليفنسون - وهوعميل سابق لمكتب التحقيقات الفدرالي الامريكي - اثناء قيامه بزيارة لجزيرة كيش الايرانية.

وظهرت الباحثة في مؤسسة (وودروويلسون) الامريكية هالة اسفندياري (٦٧ عاما) في مشهد قالت فيه انها كانت تعمل مع زميلها عالم الاجتماع كيان تاج بخش لصالح مؤسسة امريكية تسعى الى تنظيم "انقلاب مخملي" في ايران عن طريق استقطاب العناصر المثقفة واساتذة الجامعات.

واوضحت اسفندياري المعتقلة بتهمة العمل ضد الامن القومي الايراني انها كانت تجري اتصالات مع شخصيات من داخل ايران وتوجه دعوات لهم لحضور ندوات تحت اسم الديمقراطية في الولايات المتحدة.

واضافت اسفندياري ان مهمتي الرئيسية كانت "تحديد الشخصيات التي تلقي خطابا في مثل هذه الندوات".

واشارت هاله اسفندياري (٦٧؟عاما) والتي تعيش في اميركا منذ العام ؟ ؟الي ان دورها كان التعرف علي الناشطين السياسيين الايرانيين الذين كانوا يتوجهون الي اميركا للتحدث في مراكز البحوث ومنها مركز "ويلسون" وقالت، بما انني كنت بعيدا عن ايران فقد تشاورت في المرحله الاولي مع باحثين ايرانيين موجودين في واشنطن وخبراء اواساتذه ايرانيين في الجامعات والمراكز العلميه في اميركا وكنت اطلب منهم ان يعطوني اسماء ناشطين ايرانيين فيما اذا كانوا يعرفونهم.

واضافت إن الطريقه الثانيه كانت عبر الاتصال مع بعض الأفراد عندما كنت ازور ايران في بعض الاحيان.

وقالت ان جامعه "يوسي ال اي" التي تعقد موتمر الشرق الأوسط منذ اعوام في دول اوروبيه ومنها في العاصمه اليونانية اثينا بالتعاون مع وزاره الدفاع اليونانيه تقوم بتوجيه الدعوه الي نحو؟ شخصا من دول المنطقه ومنها ايران ومصر من اساتذه الجامعات والنخب السياسيه والذين كانوا ضمن اجهزه استخباريه ويقومون الان بالتدريس في الجامعات احيانا وناشطين في مجال الديمقراطيه والموسسات المدنيه.

واوضحت بان الشيء المهم من وراء هذا الموتمر هوشبكه الاتصال التي تشكل بين الحاضرين واشارت الي انها شاركت في الموتمر مرتين وطلب منها تشكيل مجموعه نسويه وقالت إن من بين الافراد المشاركين من اميركا " اشتيغل " منظم الموتمر والسيده جودي كياوست الاستاذه في جامعه الدفاع الوطني في اميركا وكانت محلله في جهاز الاستخبارات الاميركيه ال"سي آي اي" ومسؤول كبير في وزاره الدفاع اليونانية وسفير كندا السابق في مصر ومسوول من وزاره الخارجيه السويديه مندوبا عن الاتحاد الاوروبي ومن اسرائيل الاستاذ الجامعي ديفيد منشلري ويوسي الفه ضابط الاستخبارات السابق ومن لبنان ضابط متقاعد ومن الأردن وزير متقاعد.

وأضافت أن برنامج قسم الشرق الاوسط في مركز "ويلسون" كان طريقا لاستقطاب المتحدثين من ايران وتعريفهم علي المراكز البحثيه كي يتعرفوا علي صناع السياسه لدعوتهم للمراكز البحثيه والحصول علي الزمالات البحثيه وهوما حدث بالفعل مع السيد جهانبغلو.

وقالت اسفندياري إن الحكومه الأميركية تلعب دورين فيما يخص ايران، احدهما الاستفاده من التحليلات، التي تجري في مثل هذه الموتمرات حول ايران والثاني إقامه الاتصال مع افراد ياتون من ايران ويشاركون في موتمرات داخل اميركا وخارجها، وتخصيص مساعدات مالية لمراكز بحثيه وافراد .

واضافت ان الهدف من وراء كل ذلك هوايجاد بعض التغيير في هيئات اتخاذ القرار داخل ايران اي ايجاد نوع من التغيير من الداخل والذي هوبطبيعه الحال موثر علي صناع القرار في اميركا.

وقالت إن موسسه "سوروس" تنشط في مختلف المجالات ومنها تقويه الموسسات المدنيه النسويه ووسائل الاعلام في الداخل والخارج المعارضه للحكومه. وكشفت بانها مع مجموعتها في موسسه "سوروس" تلقت ثلاث ميزانيات فيما يتعلق ببرنامج ايران.

وقالت إن الهدف الاساس من وراء انشطه المركز هوالتعرف علي افراد النخبه ودعوتهم للتحدث في الجلسات والموتمرات اي ربطهم بهذه الشبكه الواسعه داخل وخارج البلاد.

كما بث التلفزيون اعترافات لعالم الاجتماع الايراني كيان تاج بخش (٤٥ عاما) المستشار في معهد " المجتمع المفتوح " الذي يديره الملياردير الامريكي جورج سوروس في نيويورك والاكاديمي الايراني كندي الجنسية رامين جهانبغلوالمعتقل ايضا منذ شهرين للتهم نفسه . ويذكر ان ايران لا تعترف بالجنسية المزدوجة .

وقد أبدت الولايات المتحدة انزعاجها من معاملة طهران لهؤلاء المواطنين اللذين يحملان الجنسيتين الإيرانية والامريكية بعد هذا العرض التلفزيوني .. وقالت إن الاعترافات بالعمل ضد الأمن القومي للجمهورية الإسلامية والتجسس جاء تحت الضغط .

وقال شون مكورماك المتحدث باسم الخارجية الامريكية : " نحن غاضبون من ان تعرض حكومة الجمهورية الاسلامية مواطنين أمريكيين على التلفزيون المملوك للدولة في ١٦ يوليوتظهر فيه الدكتورة اسفندياري والسيد تاجبخش يقران فيما يبدوببيانات انتزعت منهما قسرا."

وأضاف مكورماك في بيان "الولايات المتحدة منزعجة لسوء المعاملة."

وحث المتحدث باسم الخارجية الامريكية ايران على الإفراج فورا عن الأكاديميين وأيضا عن علي شاكري الذي يعمل في جامعة كاليفورنيا. كما منعت بارناز عظيمة وهي امريكية ايرانية أيضا تعمل مراسلة إذاعية للراديوالناطق بالفارسية التابع لإذاعة اوروبا الحرة من مغادرة ايران.

وقال مكورماك في بيانه "ندعوالمرشد الأعلى علي خامنئي لمعاملة هؤلاء الناس بالاحترام الذي يستحقونه ووضع حد لإذاعة أي شيء آخر والإفراج فورا عن الأمريكيين المحتجزين حاليا بتهم لا أساس لها من الصحة." وأدان البث التلفزيوني ووصفه بأنه : عمل غير مشروع، وتم عن طريق الاكراه " .

وذكر ماكورماك بفقد أمريكي آخر هوروبرت ليفنسون وهوضابط سابق في مكتب التحقيقات الاتحادي الامريكي ومن سكان فلوريدا أثناء رحلة لايران في مارس، ولم يسمع عنه شيء منذ ذلك الحين .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد تسارعت وتيرة الأحداث، لتدخل أطراف أخرى على الخط كان أبرزها المحامية الايرانية الحائزة جائزة نوبل للسلام شيرين عبادي ومريم رجوي رئيسة الجمهورية المنتخبة من قبل المعارضة الايرانية .

عبادي رفعت شكوى ضد ايران بشأن اعتقال المعارضة هالة اسفندياري الى مجلس حقوق الانسان التابع للأمم المتحدة .

وقالت عبادي التي تتولى الدفاع عن اسفندياري انه تم نقل موكلتها الى زنزانة فردية منذ الثامن من شهر مايو٢٠٠٧، ولا يسمح لأحد بزيارتها، كما انها لا تتمتع بأي حق من حقوق السجناء حسب ما تنص عليه القوانين في ايران.

وطالبت عبادي باتخاذ التدابير اللازمة للافراج العاجل عن موكلتها وان يتم محاكمتها بشكل يتسم بالعدالة والحرية. واعتبرت اعتقال اسفندياري لمدة ٣ أشهر بتهمة تهديد الأمن القومي، نموذجاً بارزاً للاعتقالات العشوائية في ايران.

كما نددت مريم رجوي، رئيسة الجمهورية المنتخبة من قبل المعارضة الايرانية بقوة، باعتقال هاله اسفندياري، وعدد آخر من الأمريكيين، من أصل ايراني . ووصفت التهم الموجهة بـ : " الواهية والمثيرة للشجب، التي أطلقتها الديكتاتورية الارهابية الحاكمة باسم الدين في ايران ضد السيدة اسفندياري " .

وأكدت رجوي أن : "هذه الاعتقالات أثبتت مرة أخرى أن التفاوض والمساومة مع النظام الفاشي الحاكم باسم الدين في ايران وتعليق الآمال الواهية على تعديل النظام لم تجد نفعاً، وأدعوالمنظمات المدافعة عن حقوق الانسان والهيئات الدولية الأخرى الى الضغط على النظام الايراني من أجل اطلاق سراح فوري للسيدة اسفندياري والمعتقلين الآخرين" .

ثم دخلت الصحف الأمريكية على الخط، لتشن حملة شرسة على إيران .. وقالت صحيفة شيكاغوتربيون في العنوان الرئيسي بصدر صفحتها الأولى (المانشيت) : "إيران تمارس القمع خوفا من ترويج الديمقراطية " !!

وقالت : إن العالمة هالة إسفنداري الأميركية من أصول إيرانيه والمتزوجة من يهودي ايراني في اميركا، زارت إيران لتوديع أمها المريضة المسنة، لكن (سلطات الملالي) حسب تسمية الصحيفة سجنتها، لتتظاهر بـ "القوة". ووصفت هذا التصرف بأنه "خوف" مؤكد من التحولات السياسية التي (يتململ) المجتمع الإيراني من أجل تحقيقها.

وقبل أكثر من سنة، كشفت (كونداليزا رايس) وزيرة الخارجية الأميركية عن خطط لصرف ٧٥ مليون دولار للترويج للديمقراطية في إيران. ومعظم تلك المبالغ كان مصمماً لها أنّ تصرف لتطوير برامج شبكتي الإذاعة والتلفزيون التي توجّه الى الإيرانيين، وكذلك للزمالات الدراسية للطلبة الإيرانيين لـ "لتأهيلهم" ديمقراطياً على طريقة ما جرى مع اندونيسيا قبل إسقاط سوهارتو.

وقالت صحيفة " شيكاغوتربيون " إن كل هذه الأشياء تتبدد (٧٥ مليون دورلار ليست مبلغاً مهماً) لكن المهم هوالنية التي تكمن وراءه لمساعدة الديمقراطية الحقيقية في إيران. و(المهازل) –على حد قول الصحيفة- التي يرتكبها (الملالي) الذين يديرون الحكم في البلد، هي التي جعلت النظام المذعور أكثر ذعراً.

والمثال الذي يتطابق مع هذه الحالة –تقول الصحيفة- هي (هاله اسفندياري) الأكاديمية الأميركية -الإيرانية التي تدير برنامج الشرق الأوسط في معهد

وودروولسون الدولي للعلماء في واشنطن. لقد سافرت (اسفندياري) السنة الماضية الى طهران لزيارة أمها المريضة التي تبلغ من العمر ٩٣ سنة. كانت قد سافرت الى إيران من قبل. لكنْ في هذه المرة، لم يسمح لها بمغادرة البلد. ولأربعة أشهر، يُحقق معها بشكل متكرر من قبل السلطات الإيرانية. طالبوها بالإعتراف أنها تشرف على النشاطات الهدامة. حسب (لي هاملتون) مدير مركز ولسون.

وتؤكد صحيفة شيكاغوتربيون أنها رفضت في النهاية، ورميت في أحد السجون الإيرانية سيئة السمعة بسبب عدم تعاونها، أولإنها لا تعترف بالأشياء التي لم تفعلها. ويوم الثلاثاء الماضي، قال القضاء الإيراني كلمته : لقد أجريت معها تحقيقات بشأن ارتكابها "جرائم ضد الأمن القومي الإيراني" وبعد أيام قليلة، كانت صحيفة إيرانية متشددة واضحة أكثر عندما اتهمت (إسفندياري) بالتجسس لصالح الولايات المتحدة الأميركية واسرائيل ومحاولة تدبير ثورة وإثارة الرأي العام ضد السلطة الإسلامية.

وتقول شيكاغوتربيون: هناك عدة نظريات بشأن أسر (إسفندياري) وسجنها. أحدها قد يكون صراعا على السلطة بين الرئيس محمود أحمدي نجاد والرئيس الأسبق لإيران (هاشمي رفسنجاني). والنظرية الثانية: أن الحكومة مفزوعة من تصريح رايس بتخصيص ٧٥ مليون دولار للترويج للديمقراطية في إيران، وهذا ما صعّد الشكوك بالأكاديميين الذين تتشكل منهم قيادات الحركة الديمقراطية.

وإنّ (إسفندياري) —تقول الصحيفة- كان لديها اهتمامات خاصة في تطوير المرأة في إيران وفي العراق وفي جيمع منطقة الشرق الأوسط. كانت تشجع على تنظيم مؤتمرات حول البرنامج النووي في إيران ومستقبل حركة الإصلاحات. والقبض كما ترى صحيفة شيكاغوتربيون ربما يكون تحذيراً للآخرين بأن أي أكاديمي يشجع الديمقراطية أوحرية الكلام في إيران، حتى لوكانوا يعملون ذلك من مكان بعيد عن البلد فإن النتائج لن تكون آمنة بالنسبة لهم سوف يواجهون بالعقوبة عاجلاً أم آجلاً .

وتقول الصحيفة: إنه الربيع في إيران، الوقت الذي تتجه فيه أفكار الإسلاميين المتشددين الى الإضطهاد وممارسة القمع. فهذه الأيام —كما تؤكد شيكاغوتربيون-

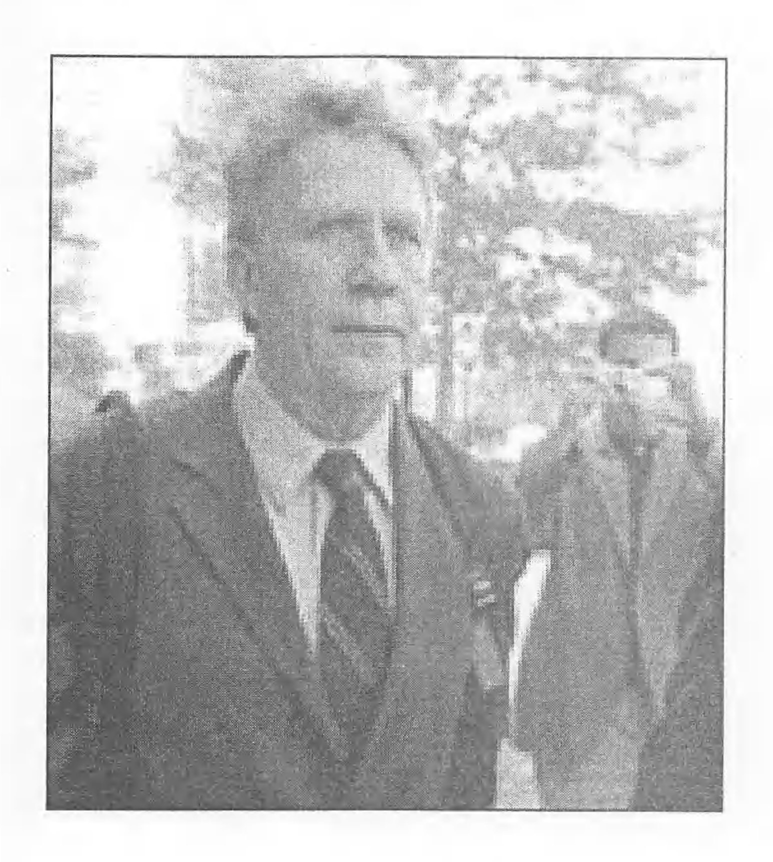
تجوب شرطة (الاحتشام) شوارع العاصمة طهران، لتوقف المرأة التي ترتدي لباساً غير محتشم أومناسب. وأهدافهم من ذلك: أن النساء اللاتي يرتدين أوشحة رأس صغيرة نسبياً، أوقمصاناً أوجاكيتات ضيقة، أويستخدمن مستحضرات التجميل أويصبغن أظافرهن، أويرتدين نظارات شمسية كبيرة الحجم، أويلبسن جوارب قصيرة فقط أي شيء يبدوعلى المرأة غير متناسب مع الاعتبارات الإسلامية. غالباً يتم الآن تحذير معظمهن، وهذا يعني أنّ الظروف أحسن مما كانت عليه في الوقت المبكر للثورة الإسلامية. حيث كانت المرأة تسجن أوتجلد أوتغرّم لإنها خالفت (القيم التي تشيعها الثورة).

وتقول الصحيفة: نستطيع أن نفهم أسباب حساسية الأحكام الإيرانية. إنّ حكامها يدفعون البلد (عميقاً عميقاً) الى العزلة (بنمطين من العقوبات الأممية التي صدرت ضد إيران، واحتمالات عقوبات أكبر، كما هددت بذلك الأمم المتحدة) كلها للاستمرار في البرنامج النووي غير الشرعي (حسب وصف الصحيفة الأميركية). فعلى الرغم من أن البلد ثري نفطياً، فإن الاقتصاد الإيراني واهن وضعيف، والأوقات الجيدة التي وعدها بها أحمدي نجاد لم تتحقق، ولن تتحقق ما لم يجر النظام سلسلة من المتغيرات والإصلاحات الجدية في سياسات البلد الاقتصادية وحرية السوق.

وأكدت الصحيفة إن الملايين من الإيرانيين متململين جدا. وقد يعتقد الملالي أن رمي عالمة بارعة –جاءت تزور أمها المريضة المسنة- في السجن علامة على القوة. من هنا نرى جميعاً أنه خوف !

بقي عزيزي القارئ أن تعرف أنه تم إطلاق سراح هالة اسفندياري في شهر أغسطس عام ٢٠٠٧، بعد شهرين من تهدئة طهران من تشددها مع الأمريكيين، عندما تأكد لها نيتهم المبيتة لشن حرب ضدها، وقررت فجأة التعاون مع مفتشي النووي الدوليين، ودخلت في حوار مع الأمريكيين حول سبل استعادة الأمن في العراق، وكانت هالة بمثابة جزء من صفقة غير معلنة مع الأمريكان !!

٤- الكولونيل فرانكلين سرق توجيهات بوش بخط يده !!



■ تسبب لورانس فرانكلين، في أكثر من فضيحة وليس فضيحة واحدة، أخطر ما فعله هوفضح النشاط التجسسي للمحافظين الجدد في أمريكا لحساب إسرائيل، فموظف البنتاجون الكبير، الذي دأب على تقديم معلومات سرية إلى ستيفن روزين وكيث فايسمان العاملين في لجنة العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية " إيباك " لكي يمرراانها إلى جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد" !!

٤ - الكولونيل فرانكلين سرق
توجيهات بوش بخط يده!!

ما أقسى أن تضبط متلبساً بخيانة حليفك !!

بعد أن استعرضنا قصة روبرت هانسن، الذي كلفته المباحث الفدرالية الأمريكية " إف. بي. آي" بمراقبة الدبلوماسيين الروس في واشنطن فتجسس لحساب موسكو، في أكبر عملية تجسس على الأسرار العسكرية في القرن الجديد، نتابع هنا في هذا الفصل نوعاً آخر من حرب الجاسوسية.

هذا النوع الذي يبدوأنه سيكون طابع الأنشطة التجسسية في القرن الجديد هو" جواسيس القرارات السياسية " بمعنى معرفة أسرار القرارات التي تنوي القيادة السياسية اتخاذها بهدف التأثير عليها، وإعادة تشكيلها بما يخدم مصلحة الجهة أوالدولة التي يعمل الجاسوس لحسابها.

وفي هذه الحلقة سنتناول فضيحة تجسس تفجرت في أمريكا عام ٢٠٠٢، ليست لحساب الروس كالعادة، أوحتى الصينيين، وإنما لحساب إسرائيل الحليف الموثق، والصديق المقرب لواشنطن.

ومما جعل الفضيحة بهذا القدر من الضجة هوتورط مقربين من الرئيس الأمريكي جورج بوش ومن بينهم نائبا وزير دفاعه دونالد رامسفيلد.

وتأتي فضيحة تجسس الكولونيل لورانس أنتوني فرانكلين محلّل الشؤون الإيرانية في وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون " والذي حكم عليه بالسجن ١٢ سنة وسبعة أشهر بتهمة تمرير معلومات استخبارية سريّة إلى إسرائيل عن طريق عميلين في

لجنة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية " إيباك " هما ستيفن روزين،وكيث وايسمان. تأتي أيضاً في إطار ما يعرف الآن بـ"الحرب المعلوماتية" والتي يتنبأ الكثيرون وفي مقدمتهم البروفيسور الأمريكي "فريد ليفين" المؤسس والأب الروحي لهذه الحرب " بأن تكون أخطر مهمة يقوم بها الجاسوس في القرن الواحد والعشرين، لأن الجواسيس هم الأصل في حرب المعلومات، وأنها من الممكن أن تسهم في تفجير صراعات هائلة، أوالدفع باتجاه شن حروب طاحنة.

تسبب لورانس فرانكلين، في أكثر من فضيحة وليس فضيحة واحدة، أخطر ما فعله هوفضح النشاط التجسسي للمحافظين الجدد في أمريكا لحساب إسرائيل، فموظف البنتاجون الكبير، الذي دأب على تقديم معلومات سرية إلى ستيفن روزين وكيث فايسمان العاملين في لجنة العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية " إيباك " لكي يمررانها إلى جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد".

وقد عمل روزن منذ عام ١٩٨٢ كمدير لشؤون السياسات الخارجية في "إيباك" أقوى مؤسسات اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة. أما وايزمان عمل منذ عام ١٩٩٣ في منصب كبير محللي شؤون الشرق الأوسط في "إيباك".

ذكر مسؤولون استخباراتيون أمريكيون لمجلة " إكزكتف إنتلجنس ريفيو" أن قضية "إيباك- فرانكلين" أوفرانكلين - جيت" تكشف عن أسلوب جديد في العمليات التجسسية اتبعته الاستخبارات الإسرائيلية في أعقاب فضيحة تجسس جوناثان بولارد الكارثية في منتصف الثمانينيات.

وكان بولارد يعمل محللا في استخبارات البحرية الأمريكية حين تم اعتقاله وهويهرب آلاف الوثائق السرية من وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" ليمررها إلى وحدة استخبارات إسرائيلية يقودها مدير العمليات الأوروبية في الموساد الإسرائيلي رافي أيتان، الذي كان من أقرب المقربين لرئيس الوزراء السابق أرييل شارون.

وتذكر المصادر الاستخباراتية الأمريكية أنه كنتيجة للنكسة التي أوقعتها فضيحة بولارد، فإن إسرائيل حولت عملياتها التجسسية، التي تستهدف الولايات المتحدة إلى مراكز البحث ومنظمات اللوبي الإسرائيلي مثل "إيباك" التي لا تزال لديها ارتباطات موثقة بالمسؤولين في الحكومة الأمريكية.

لكن ما لم يتوقعه الإسرائيليون وعملاؤهم في إيباك هوأن عملياتهم ستكون تحت مراقبة دقيقة من قبل مكتب المباحث الفدرالي "إف. بي. آي" وأجهزة حكومية أخرى على الأقل خلال السنوات الست الأولى من القرن الواحد والعشرين.

فعلى مدى سنوات طويلة، ظل مسؤولومكتب التحقيق الفدرالي "إ ف. بي. آي" يلهثون لتحديد مصدر تسرب وثائق أمريكية سرية لإسرائيل عن طريق وسيط هو"إيباك"! وانتهت رحلة البحث بفضيحة من العيار الثقيل أطلق عليها الأمريكيون فرانكلين - جيت" نسبة إلى لورانس فرانكلين، الذي فجر قضية التجسس الإسرائيلي على أمريكا.

وأخطر ما كشفت عنه التحقيقات، هوأن هذا الرجل لم يكن وحده، وأن هناك شخصيات أمريكية ذات حيثيات، أوبمعنى آخر رؤوس كبيرة من المقربين للرئيس بوش نفسه متورطة في الأمر.

كما أعادت قضية فرانكلين إلى الأذهان قضية "جوناثان بولارد" اليهودي الأمريكي الذي حكم عليه عام ١٩٨٧ في الولايات المتحدة بالسجن المؤبد بتهمة التجسس لحساب إسرائيل.

وبولارد المحلل السابق في البحرية الأمريكية كان قد قدم لإسرائيل - فيما بين شهر مايوعام ١٩٨٤ واعتقاله في شهر نوفمبر عام ١٩٨٥ - آلاف الوثائق الدفاعية السرية المرتبطة بنشاطات تجسسية للولايات المتحدة، خصوصا في الدول العربية. وأثارت هذه الفضيحة أزمة خطيرة بين تل أبيب وواشنطن. وتعهدت إسرائيل - وقتذاك - بوقف التجسس على الولايات المتحدة.

وفتحت قضية " فرانكلين – جيت " ملفا أكثر من شائك يتعلق بحدود العلاقة بين تل أبيب وحليفتها واشنطن، دفعت الأمريكيين - كما ذكرت صحيفة " لوس أنجلس تايمز " الأمريكية وقتها – للتساؤل : " هل هذه العلاقة - رغم خصوصيتها - تسمح بأن يتجسس الحلفاء على أقرب حلفائهم ؟ وهل يمكن أن نسمح كأمريكيين بأن تأتينا الضربة من صديق ؟ وهل التجسس لحساب إسرائيل أقل أهمية من حماية أسرار الولايات المتحدة ؟

وحذرت صحيفة أمريكية أخرى هي "نيويورك تايمز" من طمس الجريمة. وقالت: "إن العشرات من عمليات التجسس لصالح إسرائيل، التي حولها مكتب التحقيق الفدرالي إلى وزارة العدل، حفظت في الأدراج " .

الغريب أن أقطاب المحافظين الجدد حاولوا جاهدين طمس معالم الجريمة، ولكنهم عجزوا عن بلوغ ذلك بعد تفجر الفضيحة على الملأ، وتوريط إدارة بوش فيها. فمثلاً، دافع مايكل ليدين أحد منظري المحافظين الجدد، وأكبر دعاة الحرب على العراق محاولاً وقف التحقيقات في البداية زاعماً أنه" لا يوجد أساس للتهمة". رغم أن فرانكلين سرب كل أنواع الأسرار حتى المقدسة مثل "مسودات توجيهات الرئيس" و"التقارير السرية لوكالة الأمن القومي الأمريكي" .

وقد اتسعت التحقيقات لتشمل نائبي دونالد رامسفيلد وزير الدفاع بول وولفوفيتز ودوغلاس فايث بالإضافة إلى ريتشارد بيرل وستيفن براين وعاملين آخرين في مكتب الخطط الخاصة في البنتاجون ممن ينتمون للمحافظين الجدد. ففرانكلين من المقربين لدوجلاس فيث، كما تربطه علاقات وثيقة ببول وولفويتز، وهما مهندسا الحرب على العراق.

ولعل هذا هوما دفع كبير محققي الـ " إف. بي. آي " في القضية " ديف زادي " إلي أن يقول - وقتها - في برنامج " ٦٠ دقيقة " الشهير، والذي تقدمه محطة تلفاز "سي. بي. إس": إن ما أراه أغرب من الخيال.. إنني لم أر جاسوساً في حياتي تمكن من سرقة رئيس دولة عظمى رغم أنه ليس من طاقم الرئاسة" .

وجاء الكشف عن فرانكلين بالصدفة، عندما كانت عناصر مكتب التحقيقات الاتحادي الفدرالي ترصد "ناؤور غيلون" المستشار السياسي للسفارة الإسرائيلية، وأحد أعضاء "إيباك" خلال تناولهما الغداء، ولاحظت توجه فرانكلين فجأة إلى مائدتهما ومشاركتهما الطعام، مما جعله هدفاً للمراقبة.

وأشارت مجلة "نيوزويك" الأسبوعية الأمريكية - التي كشفت وقتذاك بعض تفاصيل الفضيحة - إلى أن مكتب التحقيقات الفدرالي كان يراقب الإسرائيليين، بعد أن اشتبه بأن السفارة الإسرائيلية في واشنطن حصلت على معلومات سرية من مسؤولين بالبنتاجون بشأن محاولات طهران الحصول على أسلحة نووية. وكشفت التحقيقات التي أجراها المكتب أن فرانكلين حاول نقل وثيقة سرية لأحد الشخصين، اللذين تناول معهما وجبة الغداء ورفض هذا الشخص تسلم الوثيقة وطلب من فرانكلين أن يوضح له فحواها شفهيّاً.

وقام مكتب المباحث الفدرالي في يونيو٢٠٠٤، بمواجهة فرانكلين بالأدلة الدامغة حول نشاطاته التجسسية، ووافق فرانكلين على التعاون مع الحكومة. ومنذ ذلك الحين أصبحت جميع اجتماعاته اللاحقة مع المسؤولين في "إيباك" مراقبة من قبل "أف. بي. آي"، حتى أغسطس ٢٠٠٤، حينما زارت المباحث الفدرالية كلاً من روزن ووايزمان. واستمر روزن ووايزمان بتمرير المعلومات السرية، التي يحصلان عليها من فرانكلين، إلى صحفيين أمريكيين بعينهم، وموظفين في السفارة الإسرائيلية.

وقد كانت لدى فرانكلين مشاكله وسوابقه، بسبب تعاونه مع مسؤولي "الموساد" الإسرائيلي، حتى قبل أن يبدأ العمل في "البنتاجون". ففي بداية عام ٢٠٠١، كضابط في القسم الخاص بإيران في مكتب سياسات الشرق الأدنى وجنوب آسيا في "البنتاجون"، تحت إمرة مساعد وزير الدفاع دوجلاس فايث ونائب مساعد وزير الدفاع وليام لوتي، الذي تم نقله وزرعه هناك من مكتب نائب الرئيس ديك تشيني.

وكان فرانكلين قد قام في التسعينيات بجولتين في الشرق الأوسط، باعتباره ضابط احتياط في القوة الجوية الأمريكية كجزء من خدمته في السفارة الأمريكية

في إسرائيل في مكتب الملحق الجوي. في جولته الثانية تم طرد فرانكلين من قبل الملحق الجوي بعد بضعة شهور بسبب تكرر حالات قيامه بعقد اجتماعات غير مرخص بها مع ضباط في الاستخبارات الإسرائيلية. كان فرانكلين أيضا مرافقاً مايكل ليدين الذي تورط في فضيحة إيران جيت.

وعلى الفور قام مكتب التحقيقات الفدرالي "أف بي آي" بتفتيش مكاتب اللوبي الإسرائيلي "إيباك" وصادر وثائق تكشف تورط اللوبي في نقل معلومات أمريكية سرية إلى جهات إسرائيلية منذ عامين، أي قبل فترة طويلة من تفجر الفضيحة الأخيرة. وحسب الصحيفة، فقد بدأ مكتب "أف بي آي" التحقيق في محاولة لفحص ماهية المعلومات التي تم نقلها من وكالة الأمن القومي الأمريكي لإسرائيل عن طريق "إيباك".

وقد أشار الصحفي الأمريكي بجريدة " نيويوركر " سيمور هيرش، الذي كشف فضيحة " تعذيب المعتقلين بسجن أبوغريب " إلى أن مكتب التحقيق الفدرالي، الذي اكتشف علاقة فرانكلين بريتشارد بيرل، ودوجلاس فايث، وبول وولفويتز، كان قد ضبط من قبل بيرل أبرز دعاة الحرب على العراق في أوائل السبعينيات، وهويجري اتصالات بالسفارة الإسرائيلية في واشنطن.

وأضاف أن بيرل كان قد تعاون أيضاً في عام ١٩٩٦ مع كل من دوجلاس فيث و"ديفيد ورمسور"، في إعداد تقرير لبنيامين نتنياهوالذي كان يتولى منصب رئيس الوزراء الإسرائيلي وقتها، تحت عنوان "نحواستراتيجية جديدة لأمن المنطقة ". وكان الثلاثة قد حثوا نتنياهوعلى شجب اتفاقات "أوسلو"، وتبني إستراتيجية جديدة تضمن السيطرة الإقليمية لإسرائيل على المنطقة.

أما وولفوفيتز والذي كان يعمل في سنة ١٩٧٨ لصالح وكالة السيطرة على السلاح والحد من التسلح، فقد تعرض لتحقيق معه بتهمة تمرير وثيقة سرية عن بيع أسلحة أمريكية لبلد عربي إلى الحكومة الإسرائيلية عبر وسيط من إيباك". وكرر وولفوفيتز

هذا عام ١٩٩٠ وهووكيل وزارة الدفاع مع الوزير ديك تشيني آنذاك، فقد جرى تحقيق أظهر أن وولفوفيتز بذل جهداً محموماً داخل الوزارة لبيع إسرائيل صواريخ من طراز إي. آي. ام-٩-إم.

وفي التاسع من يوني و٢٠٠٥، أقر لورانس فرانكلين أمام المحكمة بذنبه في التهم الموجهة إليه، وهي تسريب معلومات سرية إلي دبلوماسي إسرائيلي ومسؤولين اثنين في مجموعة ضغط موالية لإسرائيل، ونقل عدة مرات معلومات سرية تتعلق بدولة في الشرق الأوسط لم تحدد قد تكون إيران، وحول القوات الأمريكية في العراق إلى مسؤولين اثنين في "إيباك" ولمستشار سياسي في السفارة الإسرائيلية في واشنطن، وحيازة وثائق سرية بشكل غير شرعي في منزله في كيرنيسفيل غرب فيرجينيا.

وحين سأله القاضي "تي. إس. ايليس" في محكمة الكسندريا غرب فيرجينيا ما إذا كان سيدفع ببراءته، أوسيقر بذنبه، في التهم الموجهة إليه، رد لورنس فرانكلين بكلمة واحدة "مذنب".. وبرر فرانكلين أمام المحكمة تجسسه بـ "استيائه" من سياسة الحكومة الأمريكية في الشرق الأوسط.

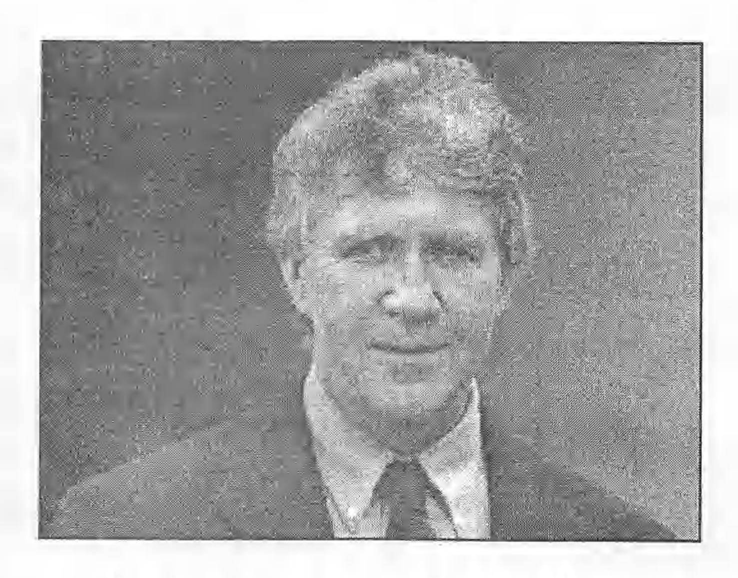
وقال إنه كان يأمل في أن يتمكن المسؤولون في "إيباك" من التأثير على هذه السياسة بفضل اتصالاتهم مع مجلس الأمن القومي وأقر بأنه كان يعلم بأن هذين الشخصين، اللذين كان على اتصال معهما بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٤ لم يكونا مخولين تسلم معلومات سرية.

وبخصوص الدبلوماسي الإسرائيلي، أقر فرانكلين بأنه كان يعلم بأن هذا الرجل يعمل في سفارة إسرائيل. وقد التقى الرجلان عدة مرات بين ٢٠٠٢ و٢٠٠٤ في مطعم ومرة في ناد رياضي يرتاده الدبلوماسي. وأقر لورنس فرانكلين بأنه سلمه معلومات سرية لكنه اعتبر أنه تلقى في المقابل معلومات كان لها قيمة أكثر!

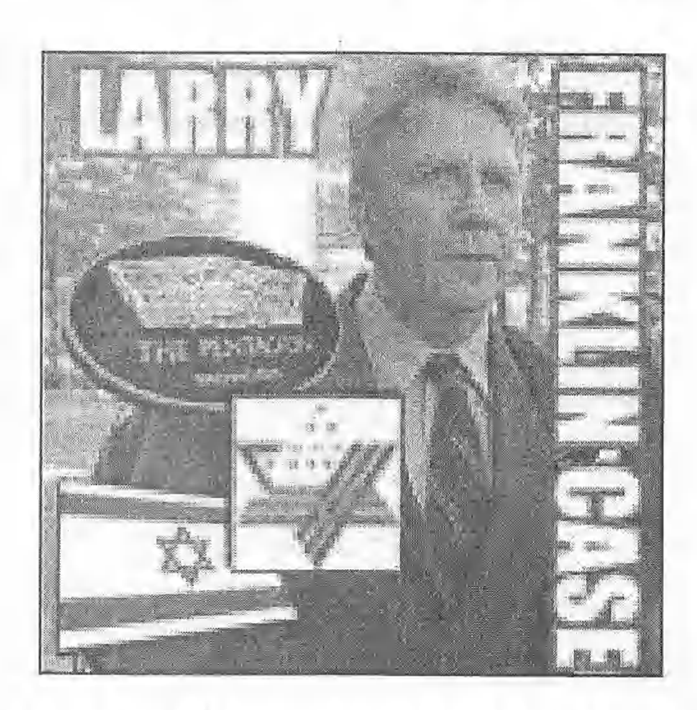
وحدد القاضي موعد جلسة النطق بالحكم في العشرين من يناير هذا العام ٢٠٠٦. بتهمة "التآمر بهدف نقل معلومات متعلقة بالدفاع الوطني إلى أشخاص غير مخولين تسلمها".

وفي هذه الجلسة، التي حملت نهاية القصة المثيرة، حكم على الكولونيل لورنس فرانكلين محلل الشؤون الإيرانية في البنتاجون، بالسجن لمدة اثني عشر عاماً وسبعة أشهر، بتهمة تسليم معلومات استخبارات سرّية إلى عميلي "إيباك".

وجاءت حيثيات الحكم في ٢٦ صفحة، ووفقا للإدانة الرسمية فإن المكالمات الهاتفية التي كان يقوم بها روزن وهو في طريقه إلى لقائه مع فرانكلين كانت مراقبة من قبل مكتب المباحث الفدرالي، خلال الفترة من الثاني عشر من شهر فبراير عام ٢٠٠٣ إلى التاسع من شهر يوليوعام ٢٠٠٤، حيث أجرى فرانكلين عشرات المكالمات الهاتفية مع عميلي "إيباك" وقام مرة واحدة على الأقل بإرسال وثيقة عبر الفاكس من مكتبه في البنتاجون إلى منزل روزن.



الكولونيل الأمريكي فرانكلين عميل الموساد قبل افتضاح أمره !!



هكذا صورته الصحافة الأمريكية الجاسوس الأمريكي فرانكلين مع نجمة داوود لتقول أنه خائن تنكر لبلده أمريكا و باع نفسه لإسرائيل !!

FILED IN OPEN COURT AUG 4 2005 CLERK, U.S. DISTRICT COURT ALEXANDRIA, VIRGINIA

IN THE UNITED STATES DISTRICT COURT FOR THE

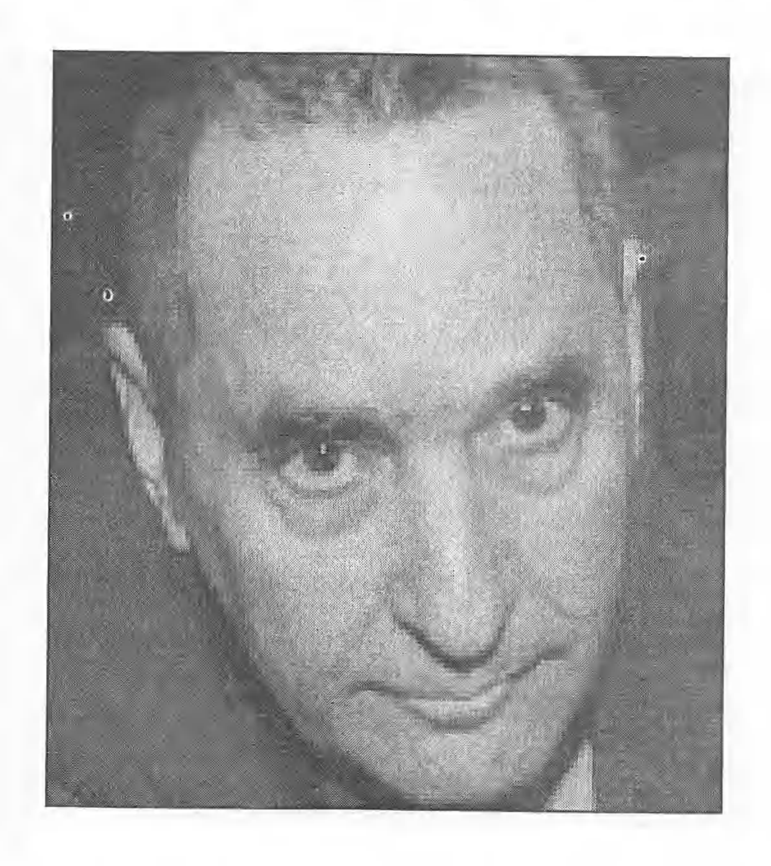
EASTERN DISTRICT OF VIRGINIA

Alexandria Division

UNITED STATES OF AMERICA	)	CRIMINAL NO. 1:05CR225
v.	)	Count 1: Conspiracy to communicate national defense information to persons not entitled to receive it, 18 U.S.C. §§ 793(d), (e) and (g)
LAWRENCE ANTHONY FRANKLIN, (Counts 1 through 5)	)	Counts 2-4: Communication of national defense information to persons not entitled to receive it, 18 U.S.C. § 793(d)
STEVEN J. ROSEN, (Counts 1 and 3)	)	Count 5: Conspiracy to communicate classified information to agent of foreign government, 50 U.S.C. § 783, 18 U.S.C. § 371
KEITH WEISSMAN, (Count 1)	)	
Defendants.	)	

صحيفة اتهام فرانكلين بعد سقوطه بتهمة العمالة لإسرائيل !!

٥-عقيد الموساد الحنان تننباوم..
كيف استدرجه حزب الله لبيروت؟!



■ وقد عادت قصة ضابط الموساد الإسرائيلي الحنان تننباوم مرة أخرى للأضواء مع حرب حزب الله وإسرائيل صيف عام ٢٠٠٦ . فمن خلال تطورات الحرب، قدرت مصادر امنية إسرائيلية أن الاسير الإسرائيلي السابق لدى حزب الله " الحنان تننباوم" قد سلم حزب الله معلومات سرية. وتساءلت تلك المصادر عن مدى خطورة المعلومات، وما إذا اقتصرت فقط على معلومات عسكرية عادية، أم من النوع الخطير جّداً الذي ساعد الحزب في الحرب الاخيرة ؟!

٥- عقيد الموساد الحنان تننباوم ..

كيف استدرجه حزب الله لبيروت ؟!

في عاشوراء من عام ٢٠٠٠، وقبل الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، قال الأمين العام لحزب الله اللبنان حسن نصر الله فيما بدا عهداً يقطعه الحزب على نفسه : " نحن قوم لا نترك أسرانا ومعتقلينا في سجون إسرائيل، وسنفعل أي شيء لإطلاقهم " . وفي نوفمبر ٢٠٠٠، فاجأ رجال المقاومة الإسرائيليين بعملية نوعية في مزارع شبعا اللبنانية المحتلة حيث تمكنوا فيها من أسر ثلاثة جنود .

وبعد أسبوع فاجأ نصر الله العالم بنبأ أسر ضابط كبير من جهاز الاستخبارات الإسرائيلي "الموساد" هوالعقيد الحنان تننباوم، لتوجه المقاومة اللبنانية ضربة قاصمة، تدفع حكومة إرييل شارون – رئيس الوزراء آنذاك - إلى الرضوخ لضغوط قيادة حزب الله، وموافقتها على تبادل الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية، وبذلك تمت أشهر عملية تبادل، وعاد الأسرى والمعتقلون إلى ديارهم رغم أنف الصهاينة .

وجاء تنفيذ صفقة تبادل الأسرى بعد ثلاث سنوات وشهور من المفاوضات المضنية، وتم إجبار إسرائيل على الأخذ بغالبية شروط ومطالب حزب الله، التي شملت للمرة الأولى منذ عام ١٩٩١ إطلاق سراح فلسطينيين وعرب، ولم يقتصر على اللبنانيين، وذلك مقابل عودة الحنان تننباوم وجثث الجنود المخطوفين الثلاثة.

وهكذا شهد يوم الخميس ٢٩ يناير ٢٠٠٤ أهم صفقة لتبادل الأسرى بين حزب الله وبين إسرائيل أشرف عليها الوسيط الألماني أرنسيت أورلاو، وفي مدينة

فرانكفورت بألمانيا جرت عملية التسليم والتسلم الكبرى، حيث تسلم الإسرائيليون أحد رؤوس جهاز استخباراتهم الرهيب "الموساد" وهوالعقيد ألحنان تننباوم ومعه جثث الجنود الثلاثة عدي أفيطان وعمر سواعد وبيني أفراهام، الذين تم أسرهم عام ٢٠٠٠.

وبالمقابل، سلمت إسرائيل ٤٣٥ معتقلا عربيا أغلبهم فلسطينيون. كما سلمت جثث ٥٩ مقاتلا وجنديا لبنانيا، بالإضافة إلى معلومات عن ٢٤ مفقودا لبنانيا آخرين، وقدمت خرائط لمناطق بجنوب لبنان كانت قد زرعت فيها ألغام خلال احتلالها للشريط الحدودي قبل أن تنسحب منه في مايوعام ٢٠٠٠.

ومن أبرز الأسرى اللبنانيين : × الحاج مصطفى ديراني الذي أسس حركة "أمل المؤمنة" بعدما انشق عن حركة "أمل" الشيعية بزعامة نبيه بري، وكانت إسرائيل قد اختطفت ديراني في مايو١٩٩٤، واتهمته بأسر الطيار رون أراد عام ١٩٨٦ وحجزه في منزله في البقاع. وكثيرا ما ربطت إسرائيل بين الإفراج عن الديراني، وبين الكشف عن مصير الطيار الإسرائيلي رون.

– الشيخ عبد الكريم عبيد، الذي اختطفه الإسرائيليون من منزله في بلدة جبشيت يوم الجمعة ٢٨ يوليو١٩٨٩، وقدم معه مرافقاه أحمد عبيد وهشام فحص.

– أنور ياسين الذي تم أسره اعتقل يوم ١٦ مارس ١٩٨٧ أثناء قيامه بعملية هجوم على كمين إسرائيلي في جنوب لبنان، وحكم عليه بالسجن ٣٠ عاما، وقد تنقل بين معتقلات عسقلان وبئر السبع ونفحة والرملة ومعتقل هواريم.

– حسن العنقوني واعتقل في إبريل ١٩٨٨ إثر معركة ميدون بين المقاومة اللبنانية والجيش الإسرائيلي.

كما تسلم لبنان ٥٩ جثة ظلت مدفونة في مقبرة جسر بنات يعقوب (عميعاد حسب التسمية الإسرائيلية) من بينهم : ٣١ من الحزب الشيوعي، ٥ من المقاومة

المؤمنة، ٥ من الحزب السوري القومي الاجتماعي ، ٢ من الجماعة الإسلامية ، وبعض الشهداء الآخرين .

وقد أصر حزب الله على أن تتجاوز هذه الصفقة الطابع اللبناني لتكون صفقة عربية ولذلك فقد شملت : ٥ سوريين و٣ مغاربة، و٣ سودانيين، وليبي، وشملت كذلك المستشرق الألماني ستيفين سميرك الذي كانت إسرائيل تتهمه بالعمل لحساب حزب الله .

وكان إصرار حزب الله علي عروبة الصفقة يؤكد عدم انعزال الحزب في الاتجاهين: اللبناني والمذهبي، فهولم يحصر المطالبة بأسراه الـ٢٣ ولا بالرفات الـ٦٠ ولا بكشف مصير الـ٢٤ المفقودين وإنما ساوى بين اللبنانيين هؤلاء وبين الأربعمائة فلسطيني والخمسة سوريين والثلاثة مغاربة والثلاثة سودانيين والليبي الواحد.. وبذلك أظهر نوعاً من الشهامة كان عدم الأخذ بها سيشكل علامة سيئة في سجله المتخم بالتضحيات. كما أن هذه الشهامة المشار إليها شملت الإصرار على مساواة الأسير الألماني بالأسرى العرب وبذلك يكون موضع تقدير الرأي العام الألماني، إضافة إلى أنه من غير الجائز ومن غير اللائق أن تكون ألمانيا هي الوسيط وفرانكفورت هي الساحة التي سيتم التسلم والتسليم فيها ولا يكون الأسير الالماني من ضمن الذين شملتهم الصفقة.

وذكر الشيخ حسن نصر الله – آنذاك - أن هناك مرحلة ثانية من صفقة تبادل الأسرى ستجري - فيما بعد - وستتركز على شخصيتين هما الأسير اللبناني سمير القنطار والطيار الإسرائيلي الأسير رون أراد، وأن سمير القنطار سيبقى موضوعا هاما في المستقبل، وإن لم تشمله المرحلة الأولى من الصفقة، وأنه سيكون العنصر البارز في المرحلة الثانية، التي سيقدم فيها حزب الله معلومات عن الطيار الإسرائيلي رون أراد مقابل الإفراج عن القنطار .

وكان القنطار المولود عام ١٩٦٢ قد نفذ عملية عرفت باسم عملية " نهاريا" في ٢٢ أبريل ١٩٧٩ مع ثلاثة من رفاقه في محاولة لاختطاف رهائن من الجيش

الإسرائيلي لمبادلتهم بأسرى في السجون الإسرائيلية . وقد قتل في العملية اثنان هما عبد المجيد أصلان ومهنا المؤيد، فيما اعتقل سمير القنطار وأحمد الأبرص وأطلق سراح الأخير عام ١٩٨٦. ومع أن القنطار مصاب بالربوفهويتابع دراسته داخل السجون الإسرائيلية، وقد حكم عليه بالسجن لمدة ٥٤٢ سنة.

أما رون أراد الذي يوصف عادة بأنه مربط الفرس، فقد أسقطت المقاومة اللبنانية في خريف عام ١٩٨٧ طائرته قرب مدينة صيدا في جنوب لبنان، وبقي قيد أسر مصطفى الديراني العضوالسابق في حركة أمل الشيعية، في منزله بالبقاع مدة عامين . وتذكر بعض التقارير أن عناصر من الحرس الثوري الإيراني استلمته عام ١٩٩١ ، بعدما باعه لها الديراني مقابل مبلغ مليون دولار، وهوما نفاه الديراني مرارا أثناء التحقيق معه . وقد تضاربت الأنباء عن مصير رون أراد منذ ذلك التاريخ، ونفى الشيخ حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله وجوده في إيران أوفي سوريا مما يرجح كونه في لبنان .

واعتبر الإسرائيليون – على اختلاف انتماءاتهم – الصفقة ثمناً باهظاً اضطروا لدفعه، ويتمثل في قبول إطلاق سراح مئات الأسرى من الفلسطينيين، والتخلي عن ورقتي ضغط، ومساومة مهمتين للحصول على معلومات تتعلق بمصير الطيار الإسرائيلي المفقود رون أراد، واللتين يمثلهما إطلاق سراح الشيخ عبد الكريم عبيد ومصطفى الديراني .

كما اعتبر الإسرائيليون أن الصفقة انتصار جديد لحزب الله ولزعيمه حسن نصرالله . ورغم أن قرار الموافقة على الصفقة أقره ١٤ وزيراً في حكومة شارون – آنذاك – فإن هناك ثلاثة وزراء عارضوه هم إبراهام بوراز وأفيغدور ليبرمان من حزب الاتحاد القومي اليميني المتشدد، ونتان شارانكسي من حزب " إسرائيل بعليا "

ومع إتمام صفقة تبادل الأسرى بين حزب الله اللبناني وإسرائيل، أثيرت مجدداً قضية اختفاء المواطن الإسرائيلي سابقاً قيس عبيد من الطيبة بالمثلث والمتهم من

قبل الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بالانضمام إلى حزب الله. وتنسب المخابرات الإسرائيلية لقيس عبيد بأنه قام باستدراج الضابط الإسرائيلي الحنان تننباوم إلى الأراضي اللبنانية وتسليمه إلى حزب الله ليصبح ورقة مساومة بيد الحزب في المفاوضات بينه وبين إسرائيل.

ولا يزال اختفاء عبيد يشكل مصدر قلق للأجهزة الأمنية الإسرائيلية التي وصفته عبر وسائل الإعلام بأنه الذراع الأيمن لزعيم حزب الله الشيخ حسن نصر الله. وحسب التقارير الإسرائيلية فإن عبيد متواجد الآن في لبنان ويعمل لصالح حزب الله الذي أوكل إليه مهمة اختطاف إسرائيليين أواستدراجهم إلى لبنان.

وقد ولد قيس عبيد، - ٣٠ عاماً - وترعرع في مدينة الطيبة داخل الخط الأخضر وعمل حتى مغادرته إسرائيل في تجارة المجوهرات، وهوحفيد عضوالكنيست عن حزب العمل في مطلع سنوات السبعينيات ذياب عبيد، أي أنه ترعرع في بيت "غير متطرف" كما كتبت بعض الصحف الإسرائيلية.

وبعد تسليمه لتل أبيب، تم اعتقال الحنان تننباوم في إسرائيل، للتحقيق معه لمعرفة الأسرار، التي يمكن أن يكون قد قدمها لحزب الله أثناء أسره . وبعد إطلاق سراحه، بعد أن وقعت صفقة بينه وبين النيابة العامة في إسرائيل، تفتح الباب عمليا امام إطلاق سراحه وحصوله على عفوعام، واغلاق ملفه حتى قبل ان يصل الى المحكمة، راح يروي قصته لاول مرة .

وكان تننباوم قد روى للمحققين، حال اطلاق سراحه، انه وصل الى لبنان بطريق الخداع، وذلك عندما اقنعه احد رجالات حزب الله الذي يعرفه من قبل (قيس عبيد وهومن فلسطينيي ٤٨)، بأن يصل الى لبنان . ووعده باعطائه معلومات عن الطيار الاسرائيلي الاسير، رون أراد، يستطيع بيعها للحكومة الاسرائيلية بأموال طائلة، فوافق على ذلك، لكنه وجد نفسه في اسر حزب الله . وقال تننباوم انه لم يفش اسرارا عسكرية حساسة الى حزب الله اوالسوريين والايرانيين .

لكن هذه الرواية لم تقنع المؤسسة الامنية والعسكرية الاسرائيلية . وكان فيها من يشك في ان تننباوم لم يخطف، ولم يرغم على الوصول الى لبنان . بل سافر من اسرائيل الى بلجيكا ثم الى الامارات العربية، ولبنان بارادته الحرة، وهويعرف ان لديه ما يبيعه من معلومات بأموال طائلة، وان الحديث عن خطفه لم يكن سوى تمثيلية نفذها بالاشراك مع حزب الله، وانه في الحقيقة افشى بكل ما يعرفه من اسرار، بوصفه قائدا كبيرا لاحدى وحدات المدرعات في الشمال العاملة في مواجهة سورية والمقاومة اللبنانية . ثم اصبح جاسوسا لصالح حزب الله وربما لصالح سورية وايران . وأنه امضى سنوات الأسر الثلاث مرفها، وانه عاد الى اسرائيل في اطار الصفقة مع حزب الله، ليواصل عمله التجسسي .

ومع ذلك، فقد عمل شارون، والمقربون منه في اجهزة المخابرات ومكتب المستشار القضائي للحكومة، على الاسراع في لفلفة الموضوع . وجاءت الترجمة العملية لهذا الموقف بتوقيع صفقة بين النيابة وتننباوم، هذا مضمونها :

- تننباوم يظل في معتقل مرفه (هوالمنتجع الخاص برجال الشرطة على شاطئ البحر شمال تل ابيب)، في ظروف مريحة، حتى انتهاء التحقيق معه ولا ينقل الى معتقل عادي .

- تننباوم يروي قصته الحقيقية مع حزب الله، منذ ان تلقى العرض من قيس عبيد، الفلسطيني الاسرائيلي وحتى اطلاق سراحه، وهل بدأ التعاون هناك بينهما؟ وهل اقتصر التعاون على تجارة المخدرات ولعب القمار ام تعدى ذلك الى تجارة السلاح ؟

- تننباوم يوضح بالتفصيل ما هي الاقوال التي ادلى بها خلال التحقيق .

- تننباوم يروي كل هذه الامور شفهيا، ثم يبدأ بكتابتها بشكل مفصل.

- محققوالمخابرات الاسرائيلية يخضعونه الى جهاز كشف الكذب، فاذا تبين

انه صادق، ولم يخالف القانون الى حد التجسس والخيانة، فانه سيفرج عنه ويغلق ملفه، وتكتفي الدولة بالفترة التي امضاها في اسر حزب الله (وتحسب له عقابا في السجن) وفي المعتقل الحالي . اما اذا تبين انه ارتكب تلك المخالفة الخطيرة، فان الصفقة المذكورة ستلغى، وسينتقل الى معتقل عادي، ويقدم الى المحاكمة بالتهمة التي ترسوعليه من خلال التحقيق .

وصدقت توقعات المراقبين – آنذاك – من ان تكون هذه الصفقة مقدمة لدفن هذه القضية ولفلفتها وانزالها بسرعة عن جدول البحث، خصوصا في اسرائيل وفي العالم العربي . فقد تلاقت المصالح، الشخصية والعامة، لدى اصحاب القرار في الموضوع خصوصا شارون، الذي كان يعتبر اكبر المتحمسين لاطلاق سراح تننباوم من اسر حزب الله، والمخابرات التي تعتبر المتضرر الأساس من النشر حول فشلها.

ولهذا، فان خصوصم شارون السياسيين كانوا يعارضون هذه الصفقة. ويعتبرونها عملية خداع للرأي العام في اسرائيل، ويطالبون باستكمال التحقيق بشكل طبيعي حتى تتضح الصورة .

اما رجال القانون، من الباحثين الاكاديميين بشكل خاص، فاعتبروا الصفقة، غير قانونية وغير اخلاقية، ومحاولة لتجيير القانون لمصالح خاصة عند شارون وقادة الجيش والمخابرات . وشكك هؤلاء في فعالية جهاز الكذب الذي سيعرض عليه تننباوم . ويرون ان النتيجة معروفة سلفا، فهم يسعون للفلفة الموضوع وطمسه بأي شكل، غير آبهين بالأبعاد القانونين والامنية لذلك .

ونفى رئيس الحكومة – آنذاك – شارون أن يكون قد دفع الحكومة للمصادقة على صفقة الإفراج عن مئات السجناء الفلسطينيين وغيرهم، مقابل إعادة الحنان تننباوم وجثث الجنود الثلاثة من الجيش الإسرائيلي بتأثير اعتبارات خارجية وبضمنها علاقته الشخصية بعائلة تننباوم . وحسب ادعاءات شارون، ورغم علاقاته التجارية التي تمتد على ثلاثة عقود مع حمي تننباوم، وعلاقاته الدورية والمنتظمة مع هذه العائلة، فقد نفي وجود أي علاقة معها.

وقد أحدثت صفق التبادل بين إسرائيل وحزب الله جدلا كبيرا في الأوساط الإسرائيلية، واعتبرها كثير من المحللين بأنها بمثابة ضربة كبيرة وموجعة لإسرائيل، فيما اعتبرت انتصارا كبيرا لحزب الله و"أثبتت إسرائيل حيال حزب الله أنها لا تفهم أساسا سوى لغة القوة .

ففي المفاوضات مع إسرائيل كما تبين، فإن الاختطاف والقتل هما وسيلة مجدية ونافعة"، بهذا التعليق وصف الصحفي الإسرائيلي سيفر بلوتسكر الأسلوب الأمثل للتعامل مع حكومته، واعتبر أن صفقة التبادل مع حزب الله كانت سيئة ومهينة . وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لزاما تنفيذها. وفي إسرائيل أثبتوا بأنهم لا يدفعون إلا مقابل ثمن حتى في موضوع الأسرى !!

أما جاكي خوجي فقد كتب في معاريف : في هذه الصفقة وضع حزب الله المسدس في رقبة إسرائيل وانتصر، والعالم رأى وفهم مرة أخرى بأن الإسرائيليين لا يفهمون سوى لغة القوة .

وفي هذا الصدد اعتبر عضوالبرلمان الإسرائيلي يولي إدلشتاين من حزب "ليكود" الحاكم أن هذه الصفقة مع "حزب الله" من شأنها أن تزيد من العمليات التي تستهدف أسر وقتل جنود ومستوطنين يهود وقال : " إن الثمن الباهظ واللامعقول الذي دفعته الحكومة الإسرائيلية سيفتح الشهية لتنفيذ عمليات اختطاف أخرى .

وقد عادت قصة ضابط الموساد الإسرائيلي الحنان تننباوم مرة أخرى للأضواء مع حرب حزب الله وإسرائيل صيف عام ٢٠٠٦ .

فمن خلال تطورات الحرب، قدرت مصادر امنية اسرائيلية ان الاسير الاسرائيلي السابق لدى حزب الله " الحنان تننباوم" قد سلم حزب الله معلومات سرية. وتساءلت تلك المصادر عن مدى خطورة المعلومات ، وما اذا اقتصرت فقط على معلومات عسكرية عادية، أم من النوع الخطير جداً الذي ساعد الحزب في الحرب الاخيرة ؟

وقالت مصادر في الاستخبارات الاسرائيلية ان حزب الله تصرف خلال الحرب الأخيرة كمن يعرف تفاصيل بعض الخطط والقدرات السرية الاسرائيلية، التي اطلع عليها تننباوم ضمن وظيفته السابقة في الجيش خاصة خطوات المعركة، التي خاضها الجيش ضد حزب الله والقدرة العالية، التي اظهرها الحزب في التعامل مع منصات اطلاق صواريخ الكاتيوشا .

وأكدت صحيفة " يديعوت احرونوت " الاسرائيلية ان "تننباوم" كان قبل خمسة ايام من اسره احد الضباط المسؤولين عن اهم تدريب عسكري اسرائيلي خلال السنوات الماضية والمتعلق بالقتال ضد سوريا وحزب الله، وهوالتدريب الذي يعتبر من اهم الاسرار العسكرية، والذي جرى بناء عليه تشكيل القوات الاسرائيلية خلال الحرب، إضافة الى مسؤولية تننباوم المباشرة عن انظمة القتال المتطورة، التي كانت معدة لتشكل أساس القتال المستقبلي ضد سوريا وحزب الله .

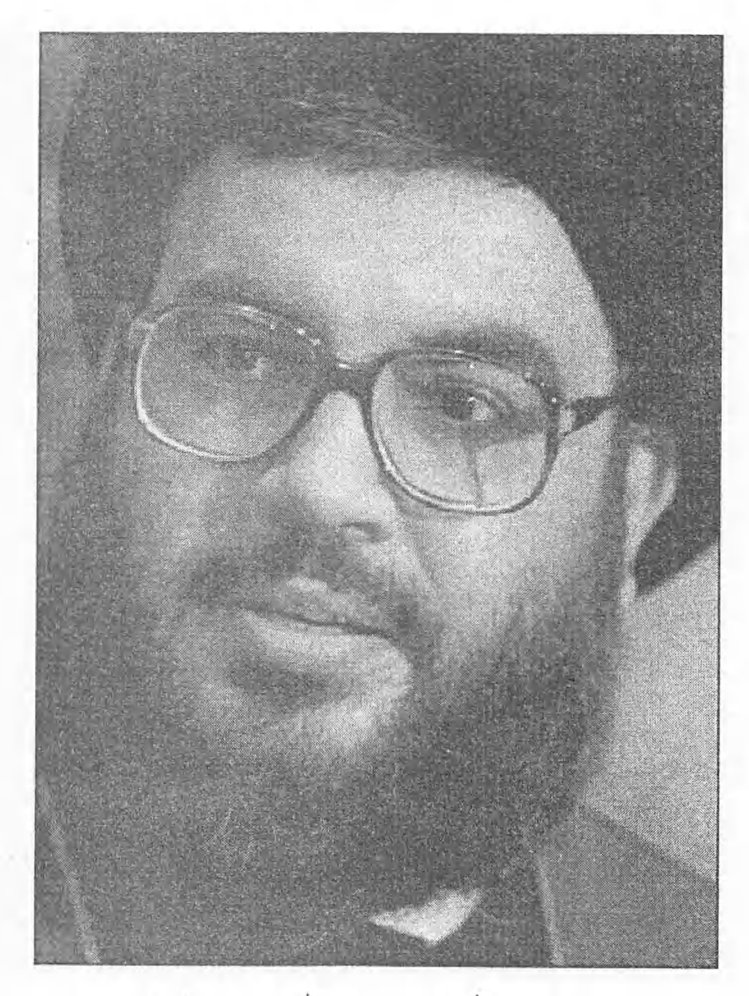
وأوضحت الصحيفة أن تننباوم أمضى خلال التدريب المذكور الذي اطلق عليه اسم " ديري هتسفون " وقتا طويلة جدا في مقر القيادة العليا بالقرب من مدينة صفد، حيث كان مسؤولا عن ادارة قوة النيران بواسطة أجهزة غاية في التعقيد، وكان مسؤولا عن تخطيط وتنفيذ اجزاء كبيرة من خطة التدريب .

وقال ضابط العمليات في المناورات والتدريب في الجش الاسرائيلي، الذي كان مسؤولا عن التدريب المذكور الجنرال موشيه كوهين : " لقد عملنا مع تننباوم على إعداد التدريب لمدة ثلاثة اشهر متواصلة، وكان مشتركا معنا في جميع مراحل وتفاصيل التدريب، واطلع على مسار العمليات ومستوى القدرات وجميع ما يتعلق بالتدريب، وحتى قدرات العدوالمتوقعه وما نعرفه عن حزب الله، وهذه معلومات مصنفه تحت اطار سري للغاية، وحساسة جدا " .

وقال كوهين في معرض رده على سؤال يتعلق بشعوره لوكان ضابطا سوريا ووقع ملف التدريب بين يديه " سأكون في غاية السعادة ليس فقط في اطار ضابط التدريب

وانما على مستوى رئاسة الاركان السورية، واذا كان العدويعرف مثل هذه المعلومات، فأنا استطيع ان اصنف الضرر المتأتي منها بانه ضرر غير قابل للاصلاح، وحتى اسوأ من الضرر، الذي الحقه فعنونوبامن دولة اسرائيل ".

وعن شعوره حال سماع نبأ اسر "تننباوم" قال ضابط التدريبات موشيه كوهن " لقد شعرت بالصدمة كمن تلقى ضربه قوية في بطنه وكان واضحا لي ان المعلومات التي يعرفها لن تبقى ملكه وحده وليس لدي ادنى شك بان "تننباوم" زود العدوبمعلومات تسببت بضرر كبير للامن الاسرائيلي مؤكدا بانه لوكان مكان "تننباوم" وشعر بانه لا يستطيع الحفاظ على تلك المعلومات لاقدم على الانتحار !!



الشيخ حسن نصر الله زعيم حزب الله اللبناني أوفى بعهده
الذي قطعه على نفسه و حرر الأسرى في صفقة ضابط الموساد
الإسرائيلي الحنان تتنانباوم !!

٦- كاترينا "خادمة الصالون"!!



■ وتم الاتفاق مع كاترينا على إيهام المخابرات الصينية بانها بدأت بالفعل العمل لحسابها .. ولكن مع الوقت اكتشف الأمريكيون أنها أصلاً عميلة لبكين .. وأن الصينيين هم الذين رتبوا لزرعها في مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي لتنقل لهم أخطر الأسرار !!

٦- كاترينا "خادمة الصالون" !!

لأن الإغراء كان ولا يزال أحد أخطر أسلحة الجاسوسية، فقد شهد القرن الواحد والعشرين تفجر فضائح تجسس لعبت الحسناوات الفاتنات دور البطولة المطلقة فيها.. ومن هؤلاء كانت كاترينا.. شباب وحيويه .. فاتنة وساحرة .. وجمالها لا يقاوم!!

حكاية كاترينا ليونج الصينية الفاتنة أغرب من الخيال .. أطلق عليها رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي " أف . بي . آي " اسماً كودياً خلال اتصالاتهم الخاصة بمراقبة تحركاتها .. هذا الاسم هو" خادمة الصالون " !!

كانت كاترينا – التي ولدت في الولايات المتحدة لأبوين صينيين هاجرا من وطنهما في السبعينيات، قد عادت من زيارة لبكين حين اتصلت بمكتب التحقيقات الفيدرالي في سان فرانسيسكو.

ولم تكن تلك هي الزيارة الأولى التي تقوم بها كاترينا إلى وطن أجدادها لرؤية أقاربها وللتعرف على جذورها وتراثها . إلا أن تلك الزيارة كانت مختلفة بعض الشيء. وحين تحدثت كاترينا مع أحد ضباط المكتب شرحت له أنها عادت توا من الصين وأنها تريد مقابلة أحد المسؤولين في المكتب " لأمر مهم " .

وحدد لها الضابط موعدا مع مسئول بالمكتب، وحين التقت به هذه المرأة الساحرة قالت له بصوت مضطرب إن المخابرات الصينية طلبت منها العمل لحسابها في الولايات المتحدة .

على الفور تم تشكيل فريق خاص من الضباط ترأسه واحد من أقدر المتخصصين في مكافحة التجسس الصيني وهومسؤول مهم بالمكتب يدعى وليام كليفلاند الذي

عمل – آنذاك – مسؤولا عن مكافحة التجسس في كل منطقة الساحل الغربي بالولايات المتحدة.

وبدأ تطبيق الإجراءات التقليدية وأهمها التحقق من أن خادمة الصالون ليست عميلة مزدوجة، أي أنها ليست بالفعل جاسوسة صينية " فبركت " قصة محاولة المخابرات الصينية تجنيدها لتخترق مكتب التحقيقات الفيدرالي، وكان اول هذه الاجراءات هوتعريض كاترينا لاختبار كشف الكذب، وبعد ذلك تم استجوابها عشرات المرات – على فترات متباعدة – حول ما حدث لها خلال زيارتها الاخيرة لموطن أجدادها، وصولاً الى أدق التفصيلات، لون قميص من جندها وماذا فعل ودقائق ما حدث لحظة بعد الأخرى.

واجتازت خادمة الصالون كل تلك الاختبارات بنسبة ١٠٠٪ فقد تحالف ذكاؤها وجمالها وبراءة تصرفاتها لنقلها من اختبار الى الآخر بسلاسة دون عقبات، وتم الاتفاق مع كاترينا على ايهام المخابرات الصينية بانها بدأت بالفعل العمل لحسابها، وكان ذلك يعني ان على المكتب ان يقدم لها على نحومنتظم معلومات لارسالها الى بكين، وهي معلومات ينبغي ان يكون بعضها صحيحا حتى يتضح للمخابرات الصينية عند اختبار صحة تلك المعلومات ان جاسوستهم الفاتنة ناجحة في اداء عملها، اما المعلومات الباقية فقد كانت حشواً فارغاً لا يمكن لبكين أن تتحقق من انه كذلك. وكلف المكتب ضابطا يدعى جاي سميث بالاشراف المباشر على كاترينا، فيما كلف كليفلاند بتولي مسؤولية هذا الملف باكمله.

وخلال ذلك ارتبطت كاترينا بعلاقة حميمة مع كليفلاند، واتفق الاثنان على أن يلتقيا بصورة أسبوعية في غرفة بأحد الفنادق على تخوم سان فرانسيسكو، وواصلت كاترينا مهمتها في خداع المخابرات الصينية عبر " تلقيمها " المعلومات التي يقدمها لها سميث.

ويبدوأن كليفلاند أحب كاترينا، إذ أنه اصطحبها ذات مرة إلى اجتماع ضيق لضباط مكافحة التجسس، وقدمها بزهوقائلاً: إنها نموذج لعملية خداع بالغة

الفعالية، وفي خلال تلك العلاقة لاحظ كليفلاند أن العلاقة بين كاترينا وسميث بدت ودية أكثر مما ينبغي، فقرر مراقبة الاثنين، إلى أن تبين أنهما يلتقيان - أسبوعيا ايضا، ولكن في غرفة فندق آخر.

ويقول كليفلاند بعد ذلك إنه شعر بالتمزق لأنه كان قد تجاوز الخمسين من العمر فيما كانت كاترينا قد تجاوزت - بقليل - نصف ذلك، وهكذا قرر مواصلة علاقته بها رغم علمه بعلاقتها مع سميث، واستمرت الأمور على هذا المنوال، وأقنع كليفلاند نفسه أن أمر العلاقة بين سميث وكاترينا قد تكون نزوة عابرة.

إلا أن كليفلاند لاحظ أن عدداً من أهم مصادر مكتب التحقيقات عن انشطة المخابرات الصينية، سواء كانت تلك المصادر في الصين أو في الولايات المتحدة قد اسكتت فجأة ويقول كليفلاند في ذلك انه احصى تسعة مصادر للمعلومات توقفت عن العمل تماما أواختفت من شاشة رادار مكتب التحقيقات في غضون ستة أشهر.

وشعر الضابط المخضرم بحيرة شديدة، فاذا قام بابلاغ رؤسائه فان التحقيقات ستكشف لابد عن تورطه في علاقة غرامية مع الصينية اللعوب، وان لاذ بالصمت فان هذا " الثقب " الامني في عمل المكتب لابد ان يتسع، فضلا عن آثاره المدمرة على أمن الولايات المتحدة.

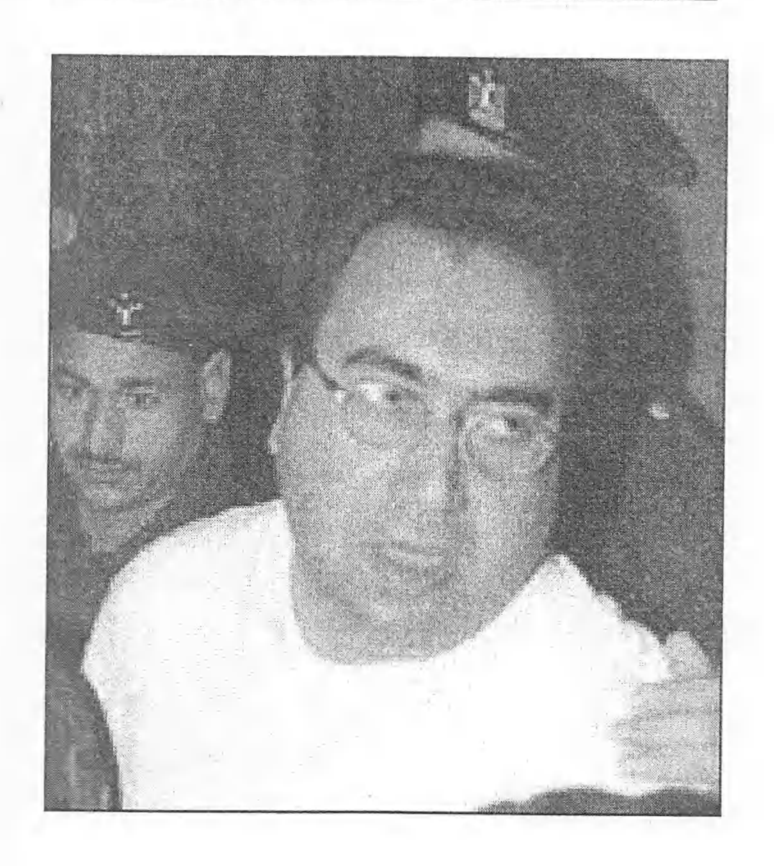
وبعد تردد قرر كليفلاند ان يبلغ رؤساءه، فجلس مع واحد منهم يعرفه جيدا، واخبره بالقصة كاملة، وعقد هذا المسؤول اجتماعا طارئا مع مسؤولين آخرين، ووضعت كاترينا وسميث تحت المراقبة الدقيقة، واخفيت في الغرفة التي يلتقيان بها كاميرات فيديووميكروفونات، ووضعت ميكروفونات اخرى في سيارتها ومنزلها كما وضع هاتفها تحت المراقبة.

وبعد فترة تبين بالفعل ان كاترينا «جندت» سميث للعمل لحساب المخابرات الصينية، وانها كانت تحصل منه على المعلومات لترسلها إلى بكين وصدر الامر

بالقبض على كاترينا وسميث وبوقف كليفلاند عن العمل حتى انتهاء التحقيق واعترف سميث بجريمته، وحصل على عرض من المدعى في المقابل بالاستمرار في تقاضي معاشه التقاعدي، وتلقى حكماً بالسجن عشرة أعوام، اما كاترينا فقد اضطر الادعاء إلى الافراج عنها بعد ان ارتكب المحققون اخطاء قانونية تمكن الدفاع من استخدامها للطعن في المحاكمة على أسس شكلية وفاز الدفاع، ولا يعرف أحد السبب الذي ادى بالتحقيق إلى ارتكاب تلك الاخطاء وما إذا كان " سحر " خادمة الصالون تدخل في الأمر.

غير ان جيرتز لم يكن يعرض هذه القصة من باب التشويق والاثارة بل كان يقدمها في سياق سرد مداخلة مترابطة مفادها ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تحمي اسرارها، وان الاسرار التي تتسرب إلى خارج البلاد - لاسيما في مجال تطوير التكنولوجيا العسكرية - تقدر قيمتها بمليارات الدولارات من حيث ما انفق لتطوير هذه التكنولوجيا، فضلاً عن الاحتياج لتطوير تكنولوجيا معاكسة تحبط تأثير ما وصل إلى ايدي الخصوم والذي صنعه الأمريكيون انفسهم ثم ما لبث الجواسيس ان نقلوه إلى دول اخرى لتقوم باستنساخه ويبرهن جيرتز على ذلك بمسلسل من الوقائع التي استخرجها من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالي.

٧- شريف الفلالي سقط في فخ الموساد!



■ وصباح يوم الإجازة انطلقت مع 'إيمانويل'.. وفوجئت بها تقودني إلي شقة أحد أصدقائها قالت إنه عازف كمان، وبمجرد أن دخلت الشقة حتي توقفت مذهولا عندما شاهدت علم إسرائيل معلقا على الحائط !!

٧- شريف الفيلالي سقط في فخ الموساد !

حا أقول.. كل حاجة.. حا اعترف !!

أنا شاب مصري من أسرة عادية، تعلمت في المدارس المصرية، أبي كان يعمل طوال عمره في مجال البنوك، وأمي سيدة مصرية مثل أي ربة بيت عادية لاتعمل، لم يكن لي سوي أخت تصغرني بسبع سنوات .

في البداية كانت أسرتي تعيش في شقة بحي الزيتون، ثم حصل أبي علي عقد عمل في أحد البنوك بالمملكة العربية السعودية، وهذا ما مكننا من شراء شقة جديدة هي التي تعيش فيها أسرتي حتي اليوم أذكر أننا اشترينا هذه الشقة في نفس السنة التي التحقت فيها بكلية الهندسة بجامعة عين شمس، وبعد خمس سنوات بالتمام تخرجت في كلية الهندسة بتقدير عام جيد .

وفي هذه الفترة كان والدي يقيم بمفرده في السعودية بينما كنت وأمي وأختي في مصر.. وبعد التخرج بدأت رحلة البحث عن عمل.. لكني كنت كلما تقدمت بطلب للعمل في أي شركة أجنبية كانوا يرفضون طلبي، لانهم كانوا يفضلون خريجي الجامعة الامريكية، كنا في ذلك الوقت في بداية سنة١٩٨٩ .

وكان لي خال يعمل مديرا لادارة الزراعة في مدينة العبور، وعندما عرف أنني أبحث عن عمل، تمكن من أن يحصل لي علي وظيفة في ادارة التعاونيات بجهاز مدينة العبور، كمهندس اشرافي من طرف الحكومة، وبدأت العمل فعلا وظللت فيه حوالي ٨ أشهر.

لكني بصراحة كنت أشعر بالضيق والتبرم.. هذا العمل الحكومي لم يكن سيحقق طموحاتي.. ولم أجد نفسي فيه يوما.. ناهيك عن ضعف المرتب، وتدهورت

حالتي النفسية، وكنت أنام وأحلم بأنني هربت من هذا كله وسافرت للخارج، وكانت المانيا دائما في خيالي، لماذا لأنني أثناء إحدي اجازات الصيف في الكلية كنت قد سافرت إليها كان لي صديق اسمه محمد، وفكر والده في أن يرفه عنه، وكان يعلم أننا لانفترق فقام بتدبير رحلة سياحية لنا إلي ألمانيا، ولم أدفع مليما واحدا من ثمن تذاكر السفر أوالفنادق التي عشنا فيها في ألمانيا.

يتنهد الجاسوس الشاب وهويتذكر: هناك أنبهرت بألمانيا وباسلوب الحياة الاوربي، هذه الحياة الرائعة والثقافة والرقي.. وعدت من الرحلة لكن المانيا ظلت دائما. في خيالي وظل حلم العودة إليها لايفارقني.. وذات يوم ذهبت إلي أبن عمي.. وهومهندس حاصل علي درجة الدكتوراه ويعمل في مركز مرموق بوزارة الزراعة.. وقلت له: أريد أن أستكمل دراستي العليا في ألمانيا.. هل يمكن أن تساعدني؟

وقال لي: هناك جامعات ألمانية كثيرة.. وسوف أعطيك رقم تليفون الملحق الثقافي في سفارة ألمانيا بالقاهرة وهوسوف يعطيك اسماء هذه الجامعات وعناوينها، ويمكنك أن تراسلها، ربما توافق احدي هذه الجامعات علي إعطائك منحة للدراسة بها..

وقابلت الملحق الثقافي الالماني وأعطاني أسماء وعناوين الجامعات الالمانية، وبدأت بالفعل في مراسلة هذه الجامعات، لكن اليأس كان يتولاني كلما وصلني الرد نأسف.. لعدم الموافقة علي طلبك منحة..!

وكنت أعلم أنهم يرفضون طلبي،بسبب زيادة عدد الطلاب المصريين الذين يدرسون بالجامعات الالمانية في ذلك الوقت، وأنه لاحل أمامي سوي أن أسافر بنفسي إلي ألمانيا، وأتعلم اللغة الالمانية أولا، ثم أحاول بعد ذلك الالتحاق بأي جامعة ألمانية.

وفاتحت أبي في الموضوع.

فقال لي: أنا ما عنديش مانع يا ابني.. وأنت عارف أي حاجة ـ في مصلحتك حا أعملها.. توكل علي الله.. وبدأت أراسل معهد جوتة لتعليم اللغة الالمانية ـ في ألمانيا..

وجاءني الرد بأن الكورس الواحد هناك بالاضافة إلي السكن يتكلف حوالي ٤ الاف جنيه، ويستغرق هذا الكورس حوالي الشهرين، وبدأت اتخاذ إجراءات السفر، ومنها الحصول علي شهادة بإيداعات أبي ـ في البنوك وذلك لكي أحصل علي تأشيرة دخول ألمانيا.

وـ في شهر مارس ١٩٩٠ حصلت علي تأشيرة دخول ألمانيا. وأسرعت أبلغ الخبر بالتليفون لابي، الذي كان لايزال ـ في السعودية، لكن والدتي وأختي ذهبتا للإقامة معه.

قلت له : بارك لي يابابا.. معهد جوتة قبلني وأنا خلصت إجراءات السفر..

قال ليَ أبي: مبروك.. لكن لاتسافر إلي ألمانيا مباشرة.. تعال عندي ـ في السعودية أولا، تعمل عمرة عشان ربنا يبارك لك ـ في سفرك وفعلا سافرت أديت العمرة.. وعدت إلي مصر ـ في نفس الشهر، ثم ركبت الطائرة متوجها إلي ألمانيا، بالتحديد كان ذلك يوم أول مايوسنة ١٩٩٠، واتجهت إلي مدينة مورناد ـ في جنوب ميونيخ حيث مكان المعهد، وكان والدي قد سدد لي ثمن كورسين بالمعهد، كما أعطاني مبلغا لابأس به لمصروفاتي الشخصية، تقريبا حوالي ٢٠٠٠ مارك ألماني..

وبدأت الدراسة ـ في معهد جوتة بألمانيا.. وسكنت ـ في حجرة مشتركة تابعة لسكن المعهد، وكان رفيقي ـ في الحجرة شابا تركيا اسمه حسن، أما ـ في الحجرة المجاورة فقد تعرفت علي شاب فلسطيني من غزة، وهوشخصية استفزازية وكان دائما يدعي الفقر، مع أنه كان يتلقي نقودا كثيرة من سويسرا، حتي أننا شككنا ـ في أنه.. يعمل مع الموساد..!

وسارت أموري علي ما يرام.وبسرعة انتهت مدة الدراسة التي استغرقت ٤ شهور، وكانت نقودي قد نفدت، فاتصلت بوالدي لابلغه بذلك وبرغبتي ـ في استكمال

دراسة اللغة الالمانية، من خلال الكورس الثالث الذي سيؤهلني للدراسة بالجامعات الالمانية، وبدلا من أن يرسل لي نقودا حضر إلي أبي وأمي في زيارة بألمانيا، وسدد لي مصروفات الكورس الثالث، ثم غادر مع أمي ألمانيا..

وبدأت دراسة الكورس الأخير.. لكن ذات يوم حدث شيء. اقتربت مني احدي زميلاتي بالمعهد.. وهي سويسرية تدعي إيمانويل. كنت ألاحظ أنها تحاول التقرب مني، وقدمت نفسها لي وتعارفنا. وسألتني إيمانويل ببساطة: تحب تقضي اجازة نهاية الاسبوع معي؟

سألتها: أين؟

قالت: في ميونيخ.. ورغم أنني كنت أعلم أنه لايوجد لديها سكن في ميونيخ إلا أنني وافقت، أنا في الحقيقة خلال ٣ شهور كنت قد تغيرت دون أن أشعر، لم أعد نفس الشاب الملتزم الذي يعرفه الأهل والجيران في مصر، خلاص أنا عايش في أوروبا، تعودت علي السهر في الحفلات مع البنات، وبدأت أشرب البيرة، كل شيء لم أكن أفعله في مصر أصبح الآن.. مباحا.

وصباح يوم الاجازة انطلقت مع إيمانويل.. وفوجئت بها تقودني إلي شقة أحد أصدقائها قالت انه عازف كمان، وبمجرد أن دخلت الشقة حتي توقفت مذهولا عندما شاهدت علم اسرائيل معلقا علي الحائط.

سألتها: ما علاقتك بإسرائيل يا إيمانويل؟

هزت كتفيها قائلة: أنا سويسرية لكني يهودية.. إنت ما تعرفش؟!

وبدأت ايمانويل تحدثني عن السلام بين مصر وإسرائيل، وقالت ان اليهود والعرب أولاد عم وان السلام لابد أن يعم المنطقة في النهاية.

والحقيقة انني لم أعط هذا الحديث أي اهتمام. كنت مهتما بشيء آخر لكني بعد تلك الواقعة بدأت آخذ حرصي من إيمانويل السويسرية اليهودية!

وانتهت دراستي للغة الالمانية.. ورغم أن والدتي كانت ترسل لي نقودا كل فترة، إلا أنها لم تكن تكفي.. وكان لابد لي من البحث عن عمل، وسافرت إلي مدينة شتوتجارت الصناعية بحثا عن هذا العمل، ووجدت وظيفة في شركة مرسيدس بأجر يومي وسرعان ما تركتها لاعمل كمساعد كهربائي في فندق شتوتجارت. وكنت لا أزال أسكن وحدي في غرفة تابعة لسكن الجامعة. كان ايجارها ٤٥٠ ماركاً شهرياً وهوايجار مرتفع بالنسبة لي .

كان والدي قد ترك العمل في البنك في السعودية. وعاد ليستقر مع الاسرة في مصر، واتصل بي ليبلغني أنه لن يستطيع بعد الآن أن يرسل لي المزيد من النقود.. وأيضا قبل أن يغادر السعودية نهائيا طلب مني أن أطير إلي السعودية لأداء العمرة، وسافرت له فعلا وأديت العمرة. ومكثت عنده حوالي شهر، ثم عدت إلي ألمانيا مرة أخري لاستكمال دراستي في جامعة شتوتجارت.

وكان لابد لي من العثور علي عمل جديد . كنت قد تعرفت علي شاب مصري اسمه عوني كان صديقا لمصري آخر من بورسعيد اسمه أشرف يعمل معيدا في قسم هندسة المرور بجامعة شتوتجارت. وعرض علي عوني أن أعمل مساعدا لاشرف مقابل ٨٠٠ مارك شهريا. كنت أدفع منها ٤٥٠ ماركاً للحجرة التي كنت أقيم بها. وأما أشرف هذا فقد كان شخصية غريبة بالفعل!

بالرغم من أنه مصري لكنه كان حاقدا علي مصر والمصريين بشكل فظيع، كان دائما يحاول تسفيه المصريين أمام الالمان، وكان دائما يردد أن مصر بلد متخلف. وأن جميع الشهادات الجامعية في مصر لاتزيد قيمتها عن ثمن الورق الذي كتبت عليه!

ولم أكن أستطيع مجادلة هذا الشخص الحاقد!

وبصراحة.. لأني كنت محتاجا لوظيفتي كمساعد له، وهوأيضا كان يعلم ظروفي المادية الصعبة. وفي أحد الأيام قال لي: لماذا لاتنضم إلي حزب الليبراليين الصغار F.D.P هنا في ألمانيا؟ .. سألته: وماذا سأستفيد من ذلك؟

قال: انضمامك لهذا الحزب سوف يعطيك فرصة هائلة للحصول علي منحة دراسة مجانية في جامعة شتوتجارت. قلت لنفسي: وماله!

وفعلا تقدمت بطلب للالتحاق بهذا الحزب الذي يعد وسطا بين أحزاب اليمين واليسار في ألمانيا، وبينما كنت أقدم الطلب تعرفت علي شابين مصريين كانا أيضا يريدان الانضمام للحزب بحثا عن المنحة الجامعية! الأول اسمه سعيد وهوشاب لديه خلفية عن الحياة السياسية في مصر. وكان عضوا في حزب العمل المصري. والثاني اسمه عواد وهومن أرض النعام بعين شمس.

وحضرت اجتماعا للتعارف في الحزب. ثم بدأت أحضر الاجتماعات العادية، وبدأوا يسألونني بوصفي مصريا عن مصر، وعن ظروفها السياسية وأحزابها، وكنت أرد عليهم بأن لدينا في مصر الحزب الوطني وحزب الوفد الذي كنت أتصور وقتها أنه يساوي حزب الليبراليين الالمان الذي انضممت إليه كما سألوني عن عملية السلام بين مصر وإسرائيل.

وسألوني : ما هوتأثير عملية السلام علي الشعب المصري؟.. هل يتقبل الشعب المصري اتفاقية السلام مع اسرائيل؟.. وما هومدي استعداد للمصريين للتطبيع مع إسرائيل؟ .. وكنت أرد عليهم : أصلا المصريين بطبيعتهم بيكرهوا اليهود. ومهما حصل من اتفاق سلام بين مصر واسرائيل سيظل حاجز الكراهية النفسي.. وأي مصري بيسافر اسرائيل يعتبره المصريون شخصا مشبوها .. فكانوا يقولون لي:عدم تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل يعتبر نوعا من انواع الهروب من المصريين. هذا يعد من جانب المصريين.. عدم ثقة في الاسرائيليين!

لكن أغرب سؤال وجهوه لي كان: هل لوقام الحزب بعمل زيارة لاسرائيل.. توافق علي الذهاب إلي هناك.. وهل لوزرنا الكنيسست تقدر تقف في نفس المكان الذي وقف فيه أنورالسادات؟!

واعترف.. بأن هذه الأسئلة صدمتني، لكني أعترف أيضا بأنني قبلت هذه الاسئلة.

بل وجدت نفسي أقول لهم: أنا موافق.. لاني بطبيعتي عندي الرغبة في التعرف علي أي جديد. وأعترف أيضا بأنهم عرضوا الفكرة نفسها علي الشاب المصري سعيد.. لكنه رفض تماما!

وانتظرت أياما حتي يعلنوني بموعد الزيارة لاسرائيل، لكني فوجئت أنهم يبلغونني بأن اسمي لم ينزل ضمن كشف أعضاء الحزب الذين سوف يسافرون إلي اسرائيل.

بل إنني بعد شهر من انضمامي للحزب وبعد حضوري حوالي ٦ اجتماعات معهم، فوجئت برفض المنحة الجامعية التي التحقت أساسا بالحزب من أجلها. بينما تمت الموافقة لزميلي المصري عواد علي منحته، وقد جعلني هذا أفكر في الابتعاد عن الحزب واجتماعاته.. طالما مافيش فايدة ولامنحة.

لكني في الفترة دي لاحظت حاجة غريبة. ان كل البنات في الحزب كانوا بيميلوا بصورة واضحة لليهود والإسرائيليين!

لكن بقيت مشكلتي الكبيرة: الإقامة في ألمانيا!

وكان لابد لي من ايجاد أي وسيلة للحصول علي إقامة دائمة في ألمانيا، وهوالشيء الذي لم يكن سيحدث إلا بوسيلة وحيدة، وهي أن اتعرف علي أية أمرأة ألمانية وأتزوجها. دي الفكرة اللي كانت عند معظم المصريين في ألمانيا!

أما أنا.. فكانت لي خطتي .. كان تركيزي كله هوالعثور علي أمرأة ألمانية كبيرة في السن ولايكون عندها رغبة ولاقدرة علي الإنجاب، حتي أتزوجها بدون أن يكون لي بعد ذلك أي ذيول في ألمانيا.. واحدة كبيرة في السن تعطيني الإقامة القانونية. وما فيش مانع إنها تساعدني علي ظروفي المادية الصعبة!

وقابلت.. دوريس فانكليرا .. وكان فيها كل المواصفات التي أبحث عنها كانت مطلقة ألمانية في السادسة والاربعين من عمرها عندها طفل في التاسعة، وكانت تعمل كسكرتيرة في معهد دراسات التربة والطرق التابع لجامعة شتوتجارت.

ولاحظت في البداية أنها معجبة بي.. بل أنها عرضت علي وظيفة في المعهد، أفضل كثيرا في المرتب من وظيفتي كمساعد لأشرف في الجامعة. كانت دوريس متيسرة ماديا. وتوطدت علاقتي بها بسرعة وبشدة. حتي أصبحنا بعد أيام نعيش وكأننا.. زوجان! وعندما فكرت في قضاء أجازة سريعة في مصر.. طلبت من دوريس أن تأتي إلي مصر بعد وصولي إليها وأقامت معي في شقة كنت أملكها بطريق مطار القاهرة، وقضت دوريس معي في مصر أسبوعين، زرنا خلالها سيناء ودير سانت كاترين ووادي الراحة.

لكني لاحظت شيئا غريبا!

كانت دوريس في كل الأماكن التي ذهبت إليها، حريصة علي تصوير كل المواقع طوال الوقت كانت الكاميرا في يدها وتقوم بالتصوير!

وعدنا إلي ألمانيا.. وفاتحتها في رغبتي بالزواج منها.. لكني فوجئت بها تقول: موافقة.. بشرط واحد!

سألتها: ما هو؟

قالت: أن تترك ديانتك الإسلامية.. وتصبح مسيحيا!

ورفضت هذا الشرط. لكن صلتي بدوريس لم تنقطع. كنا نتصل تليفونيا. وأحيانا كنت أزورها في عطلة نهاية الأسبوع.

ثم كانت.. الالمانية الثانية في حياتي! .. آنا روزا فوجل..

كنت أتجول في الشارع يوم اجازتي.. وتوقفت لأرتاح قليلا في شلوت بلاتس أوميدان القصر.. عندما لمحتها!

شابة ألمانية رائعة الجمال..نظرت في اتجاهها.. ووجدت نفسي ابتسم لها.

وفوجئت بها تبتسم. ولم أتردد.. سرت نحوها وعرفتها بنفسي.. وبسرعة تعرفت عليها كانت في الرابعة والثلاثين من عمرها. موظفة في شركة لوفتهانزا، ولأول مرة في حياتي أشعر أنني أحب من أول نظرة! وعشت أجمل شهرين مع آنا.. لكن فجأة حدث ما لم يكن يخطر لي علي بال.. فجأة أصيبت آنا بحالة نفسية لا أعرف لها سببا. حالة اكتئاب واحباط جعلتها تعزف عن الحياة، وعني، حتي أنها قدمت استقالتها من عملها، وأختفت!

وكانت صدمة كبيرة لي.. فجأة وجدت نفسي أنا الآخر في حالة اكتئاب، لاني اكتشفت أنني بالفعل كنت أحبها.

وفكرت في أن أترك عملي.. بل وأترك مدينة شتوتجارت كلها. وهوما حدث.. بالفعل!

كنا في نهاية عام ١٩٩٤وقررت الانتقال إلي مدينة ديرم شتات التي تبعد حوالي ٤٠ كيلومترا عن فرانكفورت، وقررت أن أنقل أوراقي إلي جامعتها، وكنت قبلها أعمل في مصنع مناشير واستطعت ادخار حوالي ٥ آلاف مارك.. لابدأ حياتي من جديد في فرانكفورت.

وكنت أعرف شابا مصريا يدعي مصطفي درويش يقيم في فرانكفورت، تعرفت عليه في شتوتجارت، وهوشاب من مدينة نصر، وكان يدرس السياسة والاعلام في جامعة فرانكفورت.

وكان مصطفي درويش يقيم في شقة صغيرة.. أقرب إلي ما يطلقون عليه في الغرب اسم الاستديو في منطقة تدعي فوجل سايل، وعرض علي مصطفي أن أقيم معه في شقته. كنت قد اشتريت سيارة مرسيدس موديل قديم بمبلغ ٨٠٠ مارك.. وخلال إقامتي مع مصطفي لاحظت انه ينفق ببذخ، وأن كثيرا من الفتيات الالمانيات يترددن عليه في شقته. ومن بين هؤلاء تعرفت علي .. إيرينا!

كانت إيرينا ألمانية جميلة.. لايمكن لاحد ان يكتشف انها في الخمسين من عمرها!

وعرفت أنها تدرس اللغة العبرية في جامعة فرانكفورت ومن خلال ترددها علي شفة مصطفي بدأت تتقرب مني، وعندما عرفت انني أبحث عن سكن، وانني ضيف علي مصطفى . عرضت علي أيضا أن تساعدني في البحث عن عمل! .. ولم تكن إيرينا تتقرب مني.. من طرف واحد!

أنا أيضا بصراحة كنت أتقرب إليها.. في تلك الفترة كان عندي استعداد لأي حاجة.. لأنني كنت لتوي خارجا من التجربة العاطفية الفاشلة مع آنا فوجل.. وكل جراحي في حاجة إلي تضميد؟ وتوطدت علاقتي بإيرينا.

وبدأت تعطيني نقودا.. مرة ٦٠٠ مارك ومرة أخري ألف مارك، لم أكن أطلب منها لكنها هي التي كانت تعرض علي النقود، ومن ناحيتي لم أكن أعترض، كنت أعيش حالة بوهيمية غريبة، ولا أستطيع التركيز في شيء محدد وكنت بدأت أدمن تعاطي الخمور بشدة .

وأدمنت شيئا آخر.. فراش إيرينا . ولم يستغرق مصطفي وقتا طويلا حتي اكتشف سر علاقتي بصديقته إيرينا، وانتابته ثورة غضب هائلة. رغم انه وقتها كان علي علاقة شديدة بامرأة اسبانية!

وفي يوم.. واجهني مصطفي بانه اكتشف أمر علاقتي مع إيرينا.. وأشار لي نحوباب الشقة. وطردني قائلا: اطلع بره بيتي!

وجدت نفسي مطرودا في الشارع.. وأسرعت نحوأقرب كشك تليفون لاتصل بإيرينا، لكني صدمت عندما اكتشفت أن تليفونها المحمول مغلق، ولم أكن أعرف لها تليفونا آخر.

وعدت لأطلبها وأطلبها من جديد.. ولكن لافائدة.. التليفون مغلق!

ولم يكن أمامي سوي أن أقضي الليلة نائما داخل سيارتي! ومضت أربعة أيام.. علي نفس الحال. وفي اليوم الخامس.. رد تليفون إيرينا. قلت لها: إيرينا.. الحقيني.. مصطفي عرف حكايتنا وطردني من شقته!

ردت قائلة: ولايهمك.. مافيش مشكلة.. إنت فين دلوقت؟

وأسرعت إيرينا لتقابلني. وقالت لي إنها بسرعة دبرت أمر استئجار شقة في منطقة مانيس.. القريبة من فرانكفورت بإيجار شهري ٨٥٠ مارك.

قلت لها: بس ده إيجار غالي.. وإنتي عارفة أنا لسه ما اشتغلتش؟

قالت: ولايهمك.. أنا حادفع ايجار الشقة.

سألتها: والشغل؟

قالت: ولايكون عندك هم.. سوف أحصل لك علي وظيفة في شركة كبيرة اسمها شركة لامير انترناشيونال.. ودي شركة ألمانية عالمية متخصصة في الإنشاءات، ولها أعمال في معظم بلاد العالم.

وصدقت إيرينا وعدها.

انتقلت إلي الشقة التي أستأجرتها لي.. وبعد أيام عرفتني بمن يدعي سلوك جيان الذي يعمل مديرا لقسم عمليات الشرق الأوسط في الشركة.

وكان سلوك رجلا أرمني الأصل يقول عن نفسه إنه لبناني في الأربعينيات من عمره..

وأجري لي مقابلة شخصية قبل بداية العمل.

وسألني: أنت مقيد في السفارة المصرية في ألمانيا؟

قلت له: أيوه.

سألني: لماذا؟

قلت له: أبي نصحني بذلك.. حتي إذا ضاع مني جواز سفري يمكن للسفارة أن تستخرج لي جوازا آخر بسهولة لأن اسمي عندهم.

فوجئت به يسألني: بتشتغل مع أي منظمة عربية؟

قلت: لا.

سألني: بتشتغل مع أي جهاز مخابرات عربي.. بتشتغل مع جهاز المخابرات المصري؟

قلت بدهشة: لا أنا مابشتغلش مع أي جهاز مخابرات.

قال لي: اسمع.. شركتنا عندها جهاز تحري قوي.. ولواكتشفنا أنك بتعمل مع أي جهاز مخابرات تأكد أن الشركة حاتعرف ويكون لها تصرف معاك. عدت لأؤكد له أنني لا أعمل لصالح أي جهاز مخابرات. وحصلت علي الوظيفة.. بعد ذلك!

وكانت وظيفتي: مساعد سلوك جيان نفسه! .. لم يكن سلوك يتحدث سوي اللغة الفرنسية، وكان محتاجا لشخص يعرف الألمانية والعربية، لأنه كان يحتفظ في مكتبه بملفات لجميع الدول التي تتعامل معها الشركة، ومنها دول عربية وافريقية وكانت وظيفتي أن أقرأ أي ورقة أومستند يصل إلي مكتبه، ثم أحدد إلي أي ملف سوف توضع هذه الورقة أوالمستند حسب الدولة المتعلقة بها. ولاحظت شيئين غريبين علي سلوك جيان!

الشيء الأول أنه كان في حديثه عن مصر دائما نوع من أنواع التهكم والسخرية.

وكان يقول لي: عارف إن الملكة كليوباترا اللي المصريين بيفخروا بيها.. دي أصلها أرمني.. وعارف نوبار باشا أول رئيس وزراء محترم في مصر.. كان أصله أرمني!

أما الشيء الثاني فهو.. حرصه الشديد!

لدرجة أنه كان يمنع دخول أي شخص بالشركة إلي مكتبه وهوغير موجود فيه. وفيما بعد وبعد أن وثق في كان يتركني بمفردي في مكتبه. وكانت طبيعة عمله تفرض. أن يسافر إلي دول عربية كثيرة للتمهيد لعقد الصفقات مع الشركة. وكانت فترات زيارته للدول العربية.. فرصة لي!

كنت أغلق باب المكتب.. وأطلع علي الملفات الهامة التي لم يكن مسموحا لأحد سوي سلوك نفسه الاطلاع عليها.

ومن هذه الملفات.. عرفت الكثير..عرفت مثلا أن شركتنا هي التي قامت قبل حرب الخليج الاولي بين العراق وايران ببناء مخابيء سرية اسمنتية ودشم لقواعد الصواريخ والمدرعات في العراق.. واطلعت علي ملف اسرائيل وعرفت أن الشركة تعاقدت مع اسرائيل علي عملية مطار وادي عربة في مكان ما بين اسرائيل والاردن..

وعندما فتحت ملف مصر.. وجدت رؤوس موضوعات عن مناقصات خاصة بمشروع متروالأنفاق.. وذهلت..عثرت علي إحصائيات كثيرة عن مصر.. ودراسة إحصائية عن الدخل القومي المصري من سنة ٦٦ إلي سنة ..١٩٩٥ ودراسة عن الدين العام المصري، وأوراق مناقصة لتطوير ماكينات بالسد العالي.. لكن ما أذهلني أكثر!

كان عثوري علي تقرير صادر من المخابرات المركزية الامريكية. ويتضمن إحصائيات وجداول خطيرة عن جميع دول العالم، بما فيها مصر، وهذا التقرير صادر سنة ١٩٩٥/٩٤، ويشمل نواحي كثيرة مثل الدخل القومي ومعدل النموونسبة البطالة والتضخم ونسب الذكور والإناث ومعدل الانفاق الحكومي!

معلومات كثيرة ومذهلة.. متأكد أنها تفوق بكثير أية معلومات مشابهة علي الإنترنت!

لم يكن قد مضي علي عملي بالشركة أكثر من ٦ شهور. واتضحت لي الصورة، ان سلوك جيان يعتمد في عمله علي جمع أكبر معلومات ممكنة عن كل دولة عربية، سواء من الناحية الاقتصادية أوالسياسية أوالشعبية. ولابد أن للشركة جهازا استخباريا يجمع كل هذه المعلومات. لكن ياتري ما حجم المصروفات الهائلة التي ينفقونها لجمع هذه المعلومات.. لم أستطع الأجابة علي هذا السؤال!

وسؤال آخر لم أستطع الإجابة عليه وهو!

هل الشركة نفسها تتبع جهاز مخابرات احدي الدول؟

أوأن سلوك جيان نفسه.. عميل لجهاز مخابرات؟!

لكن المهم أن كل ورقة أومستند اطلعت عليه أثناء سفر سلوك جيان خارج ألمانيا إلي الدول العربية.. كنت أقوم بتصوير نسخ منه.. ومن هذه المستندات مناقصة متروالأنفاق..وفيما يعد..قمت بتسليم هذه الصور.. لعميل الموساد .. وهذه قصة أخري !!

نسيت أن أقول.. إنني بعد عملي في الشركة بدأت علاقتي مع إيرينا تتواري شيئا فشيئا.. وكانت قد طلبت مني بعد بداية عملي ألا تعطيني المزيد من النقود.. وكان السبب في ذلك أنني فوجئت بصاحب الشقة التي استأجرتها لي يخبرني أن مبلغ الإيجار الذي حولته إيرينا لحسابه في البنك قد تم سحبه. وهددني صاحب البيت بطردي من الشقة. بل وهددني بالدفع أوأنه سيستأجر بعض البلطجية ليضربوني علقة لن أنساها.. ولم يكن أمامي سوي حل من اثنين إما الدفع.. أوالهروب!

واخترت الحل الثاني.. هربت من الشقة وتركت المفتاح داخلها.. بصراحة في تلك الفترة.. كان ضميري ميتا!

واستأجرت حجرة في سكن تابع لجامعة ديرم شتات. وكنت قد تحولت إلي انسان آخر تماما أصبحت عندي رغبة مجنونة في أن يتم تثبيتي في هذه الشركة. أولا لأنها

تتعامل في موضوعات ومعلومات خطيرة جدا. وثانيا لان لها فروعا في جميع أنحاء العالم، وثالثا لأن الشركة عالمية.. ولها برستيج كبير!

وبدأت أحدث سلوك جيان عن رغبتي في التعيين بصفة دائما في الشركة. وفوجئت به يقول لي أحسن فرع ممكن تشتغل فيه بالشركة هواسرائيل!

سألته: لماذا؟ . . قال: لاسباب كثيرة.. أهمها ان اسرائيل بتخطط أنها تكون صاحبة المركز المالي الاول في الشرق الأوسط، وذلك بإنشاء سوق شرق أوسطية مركزها اسرائيل. علي غرار السوق الاوربية المشتركة، وأيضا لأن شركتنا لها مشاريع في اسرائيل مثل مشروع مطار غزة ومطار وادي عربة.. ولابد أن هذا سيحتاج إلي مهندس من الشركة يجمع بين اللغتين العربية والعبرية..ثم سكت قليلا..وقال لي: لماذا لاتدرس اللغة العبرية ياشريف ؟

وعدت إلي بيتي وقد أستقر عزمي.. اتصلت بايرينا لعلمي بأنها تدرس اللغة العبرية.. ورويت لها ما حدث فشجعتني.. وقالت لي: لماذا لا تلتحق بدورة لتعلم اللغة العبرية في المركز الثقافي الاسرائيلي في فرانكفورت، إن مصاريفه رمزية وستكون مناسبة لك.. ولم أكذب الخبر!

وأسرعت أتقدم إلي المركز الثقافي الاسرائيلي في فرانكفورت لاطلب الالتحاق لدورة تعليم اللغة العبرية. وعندما عرفوا أنني مصري.. رحبوا بي جدا.. جدا.. جدا..!

وقال لي أحدهم وأنا أكتب الطلب: باهر شريف.. إنت دلوقت بتعمل عمل بطولي!

ولم يكن صعبا علي من اللحظة الاولي أن أستنتج أن كل العاملين في المركز الثقافي الاسرائيلي.. من الموساد!

وسرعان ما تعرفت في المعهد علي مدرسة اسرائيلية.. اسمها إستر..وعندما علمت مني أنني أعمل في شركة لها نشاط في اسرائيل.، وإني من الممكن أن أذهب من خلال الشركة للعمل هناك، شجعتني..

وقالت لي: أوعي تتردد.. وسافر اسرائيل لوطلبوا منك علي طول!

بل إنها أعطتني رقم تليفون بيتها في اسرائيل لاتصل بها هناك، إذا حدث أنني ذهبت وكانت هي هناك.. لكن المشكلة كانت! صعوبة اللغة العبرية!

وبصراحة أكثر.. أنا كنت متوقعا ان البنات اللاتي سوف أجدهن يدرسن بالمعهد صغيرات السن.. لكني صدمت عندما وجدت أن معظمهن من اليهوديات الشرقيات، اللاتي يتعلمن العبرية للهجرة إلي اسرائيل.. وان معظمهن.. كبيرات في السن!

في هذه الفترة.. عادت علاقتي بإيرينا!وأخذت تحدثني بصراحة عن الصراع العربي الإسرائيلي.. وبالذات عن مصر.. وسألتني: هل الجيل الحالي في مصر قادر علي دخول حرب مع اسرائيل؟

قلت لها: الاجيال تتغير.. والشباب الآن كل ما يهمه هوالحصول علي لقمة العيش.. ولا أعتقد أنه جيل سيحارب.. لأنه توجد حالة لامبالاة..!

كانت اسارير إيرينا نتفرج كلما حدثتها بهذه الطريقة. ووجدت نفسي أقول لها: تعرفي ياإيرينا.. ياريت دولة أجنبية تحتل مصر.. عشان الناس تفوق!

ابتسمت أكثر..وقالت لي: أنا متأكدة ياشريف ان الشباب المصري عندهم قوة خصوبة وذكورة شديدة، لكن ياعيني موش قدرين يتزوجوا.. إيه رأيك لواتيحت لهم فرص الزواج من بنات اسرائيليات!

وقبل أن أرد..عادت لتقول ضاحكة: فكرة جنان.. لوحد في اسرائيل فكر يعملها حايكسب ملايين!

لكني فشلت في تعلم العبرية في المركز الثقافي الاسرائيلي فتركته!

واكتفيت بمحاولة تعلمها في البيت.. لكني في النهاية فشلت.. فعدت إلي سلوك جبان.

وقلت له بصراحة أنا موش قادر علي اللغة العبرية.. إيه رأيك لوالشركة تشغلني في مشروع متروالانفاق في مصر؟

لكني فوجئت به يثور في وجهي.

وبدأ يتحول ضدي بشكل عجيب.. كان هذا في نهاية عام ١٩٦٠.وكانت أختي قد أصبحت شابة. وعلمت من أسرتنا أن شابا تقدم للزواج منها وكان لابد أن أعود إلي القاهرة لحضور حفل زواجها.. وعدت.. وقضيت فترة فكرت فيها في عدم العودة إلي ألمانيا. وأن أبحث عن وظيفة في مصر، لكني سرعان ما تركت الفكرة.. وعدت إلي ألمانيا.. لاتلقي الصدمة الكبيرة.. لقد رفدتني الشركة.. نهائيا!

وحاولت عبثا الاتصال بسلوك جيان ليعيدني إلي العمل.. كما فشلت في نفس المحاولة مع إيرينا. والتي عرفت أخيرا.. أنها يهودية!

وأخذت أبحث كالمجنون في كل ألمانيا عن عمل.. عملت في إحدي الشركات لمدة ١٠ أيام.. ثم وجدت نفسي بعدها في الشارع!

وفي كل عمل كنت ألتحق به كنت أفاجأ بأن الشارع هومصيري في النهاية.. وبدون أسباب منطقية!

وفي النهاية تأكدت من أن نفوذ شركة لاماير أقوي مني.. أوبصورة أخري.. إنه اللوبي اليهودي في ألمانيا كان يضيق الخناق حولي.. وبالتأكيد.. بأوامر من سلوك جيان!

وضاقت ألمانيا في عيني.. فكان قراري بأن أتركها.. إلي أسبانيا .. لماذا.. أسبانيا ؟ .. لأني كنت في احدي الاجازات القصيرة كنت قد سافرت إليها مع إيرينا وبالتحديد سافرنا إلي منطقة بالمادي مايوركا الرائعة الجمال.. وأيامها اكتشفت أنه يوجد الكثير هناك ممن يتكلمون اللغة الالمانية.. ولهذا فكرت في السفر إلي أسبانيا.. للبحث عن فرصة جديدة لابدأ حياتي من جديد.. علي صفحة بيضاء!

ولانني قررت أن أترك ألمانيا.. بلا عودة .. فقد استخدمت بطاقات الإئتمان في سحب مبالغ من البنوك الالمانية وصلت إلي حوالي ١٢ ألف مارك.. دون أن يكون لي رصيد يغطي!

وركبت الطائرة إلي بالمادي مايوركا الجميلة . وتنقلت من فندق إلي آخر.. ووجدت النقود تتسرب من يدي مع الايام دون أن أشعر. ونشرت إعلانا بالصحف الاسبانية يقول مهندس عربي يتحدث العربية والالمانية يبحث عن عمل.. لكن الاعلان لم يأت بأية فائدة؟

كانت نقودي توشك علي التبخر.. ولم يعد أمامي.. سوي الخطة الأولي التي فشلت في تنفيذها في ألمانيا.. خط : البحث . عن عروس كبيرة السن.. مقتدرة ماليا !

كنت جالسا علي مقهي يواجه الشاطيء .. أرقب في شرود الرائحات والغاديات، وعندما وقعت عيناي عليها وهي تسير في دلال، أدركت أنها غايتي المنشودة أسبانية حسناء في النصف الثاني من الأربعينات، ألقت نظرة عابرة في إتجاهي، كانت نظرة تقول كل شيء. ونهضت مسرعا خلفها علي الشاطئ.

لم أعد نفس الشاب الشرقي المتردد، كنت أصبحت أدرك أن الحديث مع امرأة غربية لايحتاج إلي كثير من الشجاعة، وتقدمت منها وألقيت عليها التحية، توقفت وابتسمت وردت التحية..

اسمي شريف.. مصري..هل تقبلين دعوتي لتناول مشروب؟

لا مانع عندي!

هكذا وببساطة تعارفنا.. ولم أضيع الوقت اصطحبتها إلي كازينويطل علي البحر، مكان شاعري ورومانسي. لكن حديثنا لم يكن سهلا.. كانت روز تتحدث الاسبانية فقط.. أما الانجليزية عندها فهي مكسرة.. ومع ذلك فإن لغة العواطف عالية!

لم أفهم الكثير عن عملها سوي أنها تمتلك محلا لبيع الاعشاب الطبيعية.. المهم.. أنها كانت ميسورة الحال!

ولم يكن صعبا علي شاب مثلي أن يجعل امرأة في الثالثة والاربعين من عمرها.. في ذلك الوقت أن ترتبط به عاطفيا.. وانتقلت للإقامة معها في بيتها، وعشت معها كزوج حقيقي، وعرفت أن روز منفصلة عن زوجها الأول، وقد أوشكت إجراءات طلاقها منه علي الانتهاء، وقررت أنها الزوجة المطلوبة، خاصة بعد أن علمت منها أنها لاتستطيع الإنجاب.. لأنها أجرت عملية جراحية لإزالة الرحم!

ومع الايام عرفت شيئا آخر عن روز.. إنها تعمل أيضا كوسيطة روحانية.. وكان الناس يأتون إليها من كل مكان، وتعد جلسات روحانية وهي جالسة وسطهم علي نغمات موسيقي هندية. وتجري اتصالات روحية خفية. وكانت قد تعلمت ذلك أثناء زيارة لها إلي الهند قبل سنوات..

وتم طلاق روز من زوجها الأول.. وبدأت أنهي الأوراق التي أحتاجها للزواج منها، ومن أجل ذلك كان لابد لي من العودة إلي مصر، فحضرت وجاءت روز معي ذهبنا إلي بيت أسرتي مباشرة من المطار. وعندما سألوني عنها : قلت لهم: أقدم لكم زوجتي .. رغم أننا لم نكن قد تزوجنا بعد.

وفي أثناء تلك الزيارة ناقش معي أبي فكرة عودتي نهائيا إلي مصر، وأن أبدأ نشاطا تجاريا ببناء مصنع للملابس الجاهزة في مدينة العبور، لكن الفكرة كانت تحتاج إلي تمويل مالي كبير. فقررنا تأجيلها إلي الوقت المناسب..

وكنت قد أنفقت كل ما عندي من نقود علي روز. هكذا كانت خطتي في البداية علي اعتبار أن كل مبلغ أنفقته عليها هواستثمار للمستقبل، فسوف تكون زوجتي، وستكون ثروتها ثروتي!

وعدت مع روز إلي أسبانيا.

وفكرنا سويا في تنظيم رحلات سياحية للأسبان إلي مصر. وبالفعل قمنا بتنظيم حوالي خمس رحلات وكسبنا منها أموالا لا بأس بها كنا نقتسمها مناصفة بيننا.

وفي تلك الفترة تعرفت علي الملحق التجاري المصري في السفارة المصرية بمدريد. وتوطدت الصداقة بيننا. وفوجئت بأنه وضعني ضمن وفد رجال الاعمال المصريين في أسبانيا الذين سوف يصحبهم الملك خوان كارلوس إلي مصر أثناء زيارته لها!

وهكذا عدت مرة أخري إلي القاهرة..

كانت الساعة قد اقتربت من الثالثة صباحا.. وكانت منافض السجائر في مكتب المحامي العام لنيابات أمن الدولة قد أمتلأت وفرغت أكثر من مرة!

واستبدل محمد سكرتير التحقيق القلم الذي انتهي.. وفي المكتب المواجه للحجرة. كان الرجل صاحب النظارة السوداء مازال جالسا في هدوء ينتظر نهاية التحقيق.. ومضي الجاسوس شريف يكمل حكايته التي اقتربت من ذروة إثارتها.

بعد آخر رحلة سياحية لمصر نظمتها في ديسمبر ١٩٩٨. حدث خلاف بيني وبين روز التي كانت قد أصبحت زوجتي رسميا. وكانت تريد تنظيم الرحلات بطريقتها الخاصة، لكني رفضت وحدثت مشادة كبيرة بيننا، وانتهي الأمر بأنني سحبت مبالغ مالية كبيرة من حسابنا المشترك في أحد بنوك مدريد..

وبدأت أحاول البحث عن عمل في أية شركة هندسية أسبانية من بينها شركة التيرن وهي شركة أسبانية مقرها مدريد. وكانت خلافاتي مع روز قد اشتعلت ووصلت علاقتنا إلي طريق مسدود..

حتي أنني قلت لها في النهاية : لا مفر من طلاقنا.. سأذهب إلي بلدي في زيارة قصيرة وأعود لننهي إجراءات الطلاق!

وعدت بالفعل إلي مصر.. لكن بعد أيام فوجئت بمكالمة تليفونية منها .. قالت لي: يجب أن تعود إلي أسبانيا في أسرع وقت.. لقد اتصلت بك شركة ألتيرن إنهم يقولون أن الوظيفة التي تطلبها موجودة!

وصدقتها.. وبسرعة عدت إلي أسبانيا.. لكن بعد أن فات الأوان عرفت أن روز كانت تريد عودتي في أسرع وقت إلي أسبانيا ليس من أجل الوظيفة.. ولكن حتي لاتكون عندي فرصة للانسحاب من مسرح الأحداث.. هذا المسرح الذي كان يتم إعداده بدهاء دون أن أشعر!

نعم هذا ما أعتقده بل أجزم به الآن لابد أن روز كانت ضالعة في هذه القصة.. ولابد انها علي علاقة بالموساد.. وان المسألة كلها كانت مخططة من البداية وبإحكام شديد!

لكن.. لماذا أسابق الأحداث؟

عدت إلي اسبانيا.. وفي صباح اليوم التالي أسرعت إلي شركة ألتيرن وهناك قابلتني حسناء أسبانية. وطلبت مني بياناتي ورقم تليفوني.. ثم ودعتني قائلة: سوف نتصل بك سنيور شريف!

وكنت قبل عودتي إلي أسبانيا اتصلت باحدي صديقات زوجتي روز وطلبت منها أن ترشح لي اسم فندق لاقيم به. لانه لم يكن بالطبع ممكنا أن أقيم مع روز في بيتها ونحن نستعد للطلاق! ورشحت لي صديقة زوجتي فندقا في مدريد.. وذهبت للإقامة في هذا الفندق..

وبعد يومين تعرفت علي صاحبه.. شخص اسمه رومان كان يعمل قناصا في الجيش الاسباني.. وحدث شيء غريب لم ألتفت إليه وقتها..

وكنت أتحدث مع رومان وذكر لي شيئا عارضا عن صديق له يعمل في تجارة السلاح. قال إن اسمه جريجوري شافيز.

وبعد أيام عدت إلي الشركة لأسأل الحسناء الأسبانية عن أخبار الوظيفة. فطلبت مني الانتظار بضعة أيام، وتبادلنا الحديث وعرفت أنني أقيم في فندق، وعندما سألتها إن كانت تعرف فندقا آخر أرخص ورشحت لي أحد البنسيونات.

وبالتحديد.. بنسيون مدام جلوريا . وأسرعت إلي الفندق أحمل حقيبة ملابسي منه. لأستأجر غرفة في بنسيون مدام جلوريا.

وفي مساء نفس اليوم وبينما كنت أغادر غرفتي.. وجدت نزيل الغرفة المجاورة يستعد لمغادرتها.. التقينا بطريقة عابرة في الردهة تبادلنا التحية.

ولدهشتي وجدته يمد يده نحوي وهويقدم نفسه: أهلا.. أنا أسمي جريجوري شافيز!

لم أسأل نفسي كيف توطدت العلاقة هكذا بمنتهي السرعة بيني وبين جريجوري الذي اخبرني انه روسي. لكنه أوكراني الأصل . وكان يعمل ضابطا في ال كي. جي . بي جهاز مخابرات الاتحاد السوفيتي، وبعد أن تفكك الاتحاد عمل لحساب الموساد.

في المرة الاولي سلمه جريجوري مبلغ ألفي دولار.. وفي المرة الثانية تسلم من ضباط الموساد مبلغ ٣ الاف دولار. وكان عليه أن يسدد الخيانة.. علي دفعات أيضا!

وعاد جريجوري يقول له : احنا عندنا معلومات أن البحرية المصرية قامت بإجراء تعديلات علي بعض القطع البحرية .. وأنت سبق أن أبلغتني أن أحد أقاربك كان ضابطا بحريا والآن يعمل مرشدا في هيئة قناة السويس.. لماذا لاتتصل به وتحاول معرفة هذه التعديلات؟

ويتصل شريف بقريبه المرشد ويسأله ..

فيقول له الأخير: أنا ما أعرفش.. لكن ممكن أدلك علي واحد معرفة، وهولواء بالمعاش يمكن أن يفيدك.

ويتصل شريف باللواء السابق.. ويقول له: أنا ابن عم صديقك فلان المرشد بقناة السويس.

يرد اللواء السابق قائلا: أهلا وسهلا.. أي خدمة ؟

ويقول له شريف: أبدا.. عندي صديق يعمل في تجارة السلاح. وكان يريد شراء بعض المعدات البحرية من موديلات تمتلك البحرية المصرية مثلها. وعلم انه تم إجراء تعديلات عليها، ويريد أن يعرف طبيعة هذه التعديلات قبل أن يتورط في الصفقة ؟

تسود لحظة صمت..ويسمع شريف علي الناحية الأخري من التليفون صوت أنفاس تتسارع.

ويفاجأ باللواء السابق يرد عليه في عنف: ده كلام في منتهي الخطورة اللي انت بتقوله يا أخينا.. أنت عارف انت بتسأل علي ايه !

دي أسرار عسكرية.. ياأبني ما أقدرش أفيدك في أي شيء.. وياريتك تكون بتهزر. مع السلامة !

يعود شريف إلي جريجوري حزينا . لكن الاخير يفهمه بأن عليه العودة إلي مصر. وهويحمل معه أجهزة الاتصال والكمبيوتر.. وأن يبحث عن المعلومات المطلوبة بأي وسيلة. وأن يقوم بتخزينها علي الاجهزة التي يحملها، كما يطلب منه البحث عن معلومات أخري عن بعض الدول العربية.

ويركب شريف الطائرة عائدا إلي القاهرة . وكما حدث تماما عندما هبطت به الطائرة في رحلته الاخيرة إلي مدريد. سار في مطار القاهرة. دون أن ينتبه إلي هذا الشخص الذي هبط خلفه مع بقية الركاب .

وهويرتدي نظارة سوداء.. رغم الظلام!

فجأة.. توقف الجاسوس عن الكلام..عندما صدر صوت غريب من جهاز الاتصال الذي كان قد تم ضبطه في بيته.

ونهض المحامي العام لينظر في شاشة الجهاز. محاولا البحث عن سبب الصوت الغريب.

وكان واضحا أن الجهاز قد تلقي في التورسالة.. لكن ما هي.. ومن أي مكان جاءت؟

نهض المحامي العام من على مكتبه.. فتح الباب.. اتجه مباشرة إلي الحجرة المواجهة التي يجلس فيها الرجل.. صاحب النظارة السوداء!

وقال له: لقد تلقي جهاز الاتصال رسالة غامضة الآن.. هل لك أن تحاول تفسيرها لنا؟

في هدوء نهض صاحب النظارة السوداء الي غرفة المحامي العام. اتجه إلي جهاز الاتصال. وضغط علي بعض الأزرار.

وظهرت الرسالة المجهولة.. كانت موجهة لشريف.. من جريجوري عميل الموساد.

وكانت الرسالة تقول أين أنت.. وماذا حدث لك.. هل وقعت في مشاكل؟ أرجوأن تتصل بي للأهمية!

نظر المحامي العام إلي صاحب النظارة السوداء؟

وسأله، هل سيكون هناك رد علي هذه الرسالة ؟ وابتسم صاحب النظارة السوداء ابتسامة غامضة .. وقال: الرد وصل !

سأله المحامي العام: كيف ؟ قال صاحب النظارة السوداء: هؤلاء يعرفون جيدا.. أنه عندما لا يصل رد علي رسائلهم.. فإن الرد يكون قد وصل بالفعل.. بأنهم فشلوا.. كالعادة!

كان الصبح قد طلع.. عندما انتهي شريف من اعترافه امام المحامي العام لنيابات أمن الدولة العليا، الذي سأله في النهاية السؤال التقليدي: هل لديك أقوال أخري؟

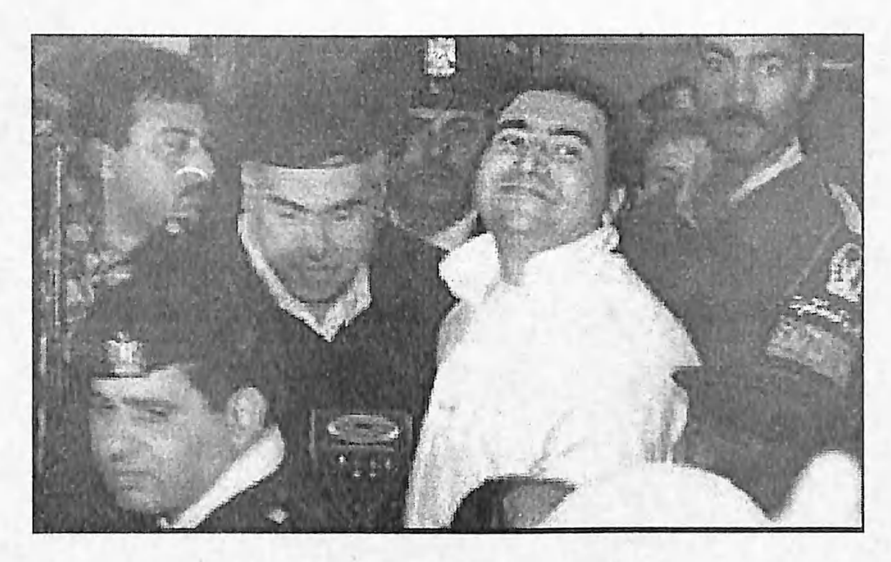
تهالك شريف علي مقعده.. تحسس رقبته في يأس.. وقال بصوت كأنه قادم من الأعماق: أنا بعت نفسي.. وأهلي.. وبلدي.. وأنا معترف بذنبي !

دق المحامي العام علي جرس مكتبه .. دخل الحرس ليقتادوا الجاسوس إلي السجن..

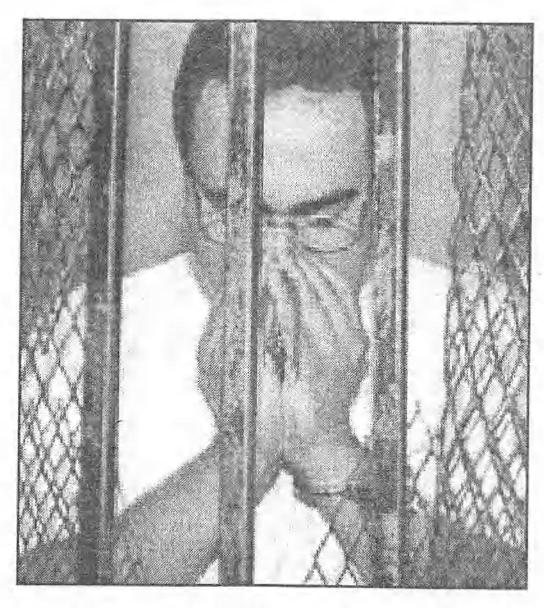
كانت هذه هي اعترافات الجاسوس شريف الفيلالي، الذي توفي داخل زنزانته في ليمان طرة حيث كان يقضي عقوبة السجن ١٥ سنة، والذي أكد تقرير الطب الشرعي ان الوفاة طبيعية نتيجة هبوط حاد بالدورة الدموية والتنفسية، وأن الجثة خالية من آثار أية إصابات ظاهرة.



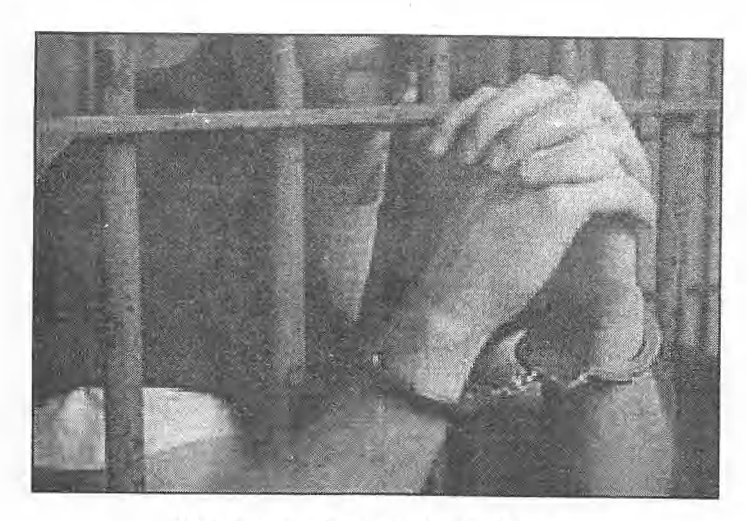
الفيلالي قبل سقوطه .. ثراء و نساء وجاسوسية !!



الفيلاي قبل دخول الجلسة الأخيرة في محاكمنه !!



الفيلالي في القفص ينتظر سماع الحكم عليه بعد إدانته !!



صدمة و ذهول بعد الحكم بإعدامه !!

٨- شورت وبلير وكوفي أنان!!



■ وبالطبع حاول بليردرء الفضيحة بأن كال الاتهامات لوزيرته السابقة، وأهمها اتهامها بتعريض الأمن القومي لبلادها للخطر .. بكشف عملائه وجواسيسه .. ولكنها ردت عليه بأن المسألة مسالة ضمير ولا علاقة لها بالقانون حول الأسرار الرسمية ولا بالأمن القومي.

٨- شورت وبليروكوفي أنان !!

أكثر الظواهر التي ارتبطت بحرب الجاسوسية الجديدة في الألفية الثالثة هوالتحول من التجسس على دولة ما بهدف اختراق خزائن أسرارها في مجال ما، أوفي مجالات شتى، إلي التجسس على المنظمات الأممية، وبالتحديد تلك المتعلقة باتخاذ قرارات دولية من شأنها تغيير مسار التاريخ، أوإعادة تشكيل مصائر الشعوب!!

وقد برزت هذه الظاهرة الجديدة بجلاء مع دق طبول الحرب الأمريكية البريطانية على العراق، في إصرار غريب على احتلال هذا البلد العربي، بعد إسقاط نظامه بأي ثمن !!

ففي غمرة الاستعداد للحرب وما بعدها أخذت هذه الظاهرة تتسع خاصة في ضوء المعارضة العالمية للحرب، والتي تجسدت في مواقف الدول الممثلة في مجلس الأمن، حيث تتخذ أخطر القرارات الواجبة النفاذ في تاريخ الأمم والشعوب !!

وكانت الوزيرة البريطانية كلير شورت المستقيلة من حكومة توني بلير رئيس الوزراء البريطاني، والتي شغلت منصب وزير التنمية الدولية في حكومتي توني بلير بين ١٩٩٧ و٢٠٠٣، أول من كشفت عن هذا التحول الخطير في الأنشطة التجسسية، عندما كشفت النقاب عن تجسس عملاء حكومة بليرعلى اتصالات كوفي أنان الأمين العام للأمم المتحدة.

وقالت شورت التي فجرت فضيحة من العيار الثقيل، ولتحدث ضجة سياسية ضخمة في بريطانيا والعالم .. قالت في حديث مع هيئة الاذاعة البريطانية «بي بي

سي» ان عناصر من الاستخبارات البريطانية تلقوا تعليمات بالتجسس على مسؤولين في الامم المتحدة خصوصا امينها العام كوفي انان.

وربما لوكان هذا الكشف قد جاء على لسان أي شخص آخر غير الوزيرة شورت، لأمكن لبلير ومستشاريه مداواة الفضيحة، أواحتواء تداعياتها، ولكن شورت كانت محل ثقة الشعب البريطاني، وخاصة بعد أن رفضت الاشتراك مع حكومة بلير في الكذب على البريطانيين، وجرهم لحرب العراق، بمبررات ثبت بعد ذلك كذبها وتلفيقها .

كما أن شورت هي الوزيرة الوحيدة التي امتلكت الشجاعة والنزاهة واستقالت في شهرمايو٢٠٠٣ من حكومة توني بلير احتجاجا على شن الحرب الأميركية البريطانية على العراق بدون ضوء أخضر من الامم المتحدة.

والمعروف أن شورت لطالما كانت تلقب بـ " المدفع الذي يصعب التحكم به " بسبب جراتها البالغة وعدم خشيتها من قول رأيها بصراحة حتى لوكان مثيراً للجدل . فقد اجرت مقابلة مع هيئة الاذاعة البريطانية " بي . بي . سي " ليلة الأحد ٩ مارس عام ٢٠٠٣ قبيل الحرب على العراق، لوحت فيها بالاستقالة، ووصفت بلير بأنه " متهور " في ضوء تعاطيه مع الازمة العراقية، وسيره بلا تردد على خطى بوش المتسرعة نحوالكارثة . صحيح أن المقابلة أقامت الدنيا وأقعدتها، ولم يكف هاتفها عن الرنين لبعض الوقت، لأن كبار المسؤولين وفي مقدمتهم بلير نفسه، حرصوا على ابلاغها احتجاجاتهم الصاخبة، لكن رئيس الوزراء تعهد لها مجدداً بتلبية طلباتها، فرضيت ان تبقى في منصبها، ثم استقالت عندما ذهب للحرب !!

ومن هنا فقد نزلت تصريحات شورت كالصاعقة على رأس بلير وأدت إلى زيادة أزمة بلير التي بدأت بشن الحرب على العراق خلافا لرأي الشارع البريطاني، وتزايدت بعد الكشف عن كذب المعلومات الاستخبارية، التي روجتها المخابرات البريطانية والأمريكية للعدوان على العراق .. بل ويؤكد العالمين ببواطن الأمور في

بريطانيا وفي مقدمتهم مقربون من بلير أن ما كشفت عنه شورت كان بداية النهاية لمشوار بلير السياسي، وسبباً رئيسياً في انهيار كل أسهمه لدى الشعب، مما أدى إلى اضطراره لتقديم استقالته في شهر يونيوعام ٢٠٠٧، قبل انتهاء ولايته، ليحل محله مايكل جوردون كرئيس للوزراء !!

وبالطبع حاول بلير درء الفضيحة بأن كال الاتهامات لوزيرته السابقة، وأهمها اتهامها بتعريض الأمن القومي لبلادها للخطر .. فماذا كان رد فعل المرأة الشجاعة؟!

شورت رفضت - وبمنتهى القوة - اتهامات رئيس الوزراء البريطاني توني بلير لها بان تصريحاتها حول قيام بريطانيين بالتجسس على امين عام الامم المتحدة كوفي انان قبل الحرب على العراق تعرض الامن القومي البريطاني للخطر.

وقالت شورت في حديث مع القناة البريطانية الرابعة : " ان المسالة مسالة ضمير ولاعلاقة لها بالقانون حول الأسرار الرسمية ولا بالأمن القومي " في إشارة إلى تصريحات بلير حين وصف تصريحاتها بأنها " غير مسؤولة " معتبرا أنها " تعرض أمن البلاد " للخطر.

وأضافت شورت في حديثها التلفزيوني : " إن الأمن البريطاني لا يتعرض للخطر عندما نكشف أن اتصالات هاتفية خاصة لكوفي أنان كشفت بشكل غير لائق، وقول ذلك علنا لا يشكل خطرا على أي شخص يعمل في أجهزة الاستخبارات البريطانية وإنما فضيحة أخلاقية!!

وقالت : " ما سيحدث الآن هوأن هذا الأمر (التنصت) سيتوقف وأن كوفي أنان سيتمكن من الاستفادة من الخصوصية والاحترام اللذين يعتبران من حقه " .

وأوضحت ان " بإمكان رئيس الوزراء أن يقول إنني لا أقول الحقيقة .. وفي هذه الحالة هوكذاب أوبإمكانه أن يقول ان كل ما قلته صحيح، ولكن سيكون الأمر بكل بساطة ضخم جدا " .

واضافت: " بامكانه أيضا أن يشن هجوما عليَّ وهذا ما اختار أن يفعله. أما من جهتي أنا ليس عندي أي شيء أخسره " !!

وقالت : " فكرت بالامر كثيرا. كنت مشوشة وقررت اذن ان اخرج هذا الامر الى العلن وهذا ما اقوم به " . وكانت شورت اكدت في المقابلة مع هيئة الاذاعة البريطانية انها " اطلعت على نص احاديث اجراها كوفي انان " .

واردفت : " الواقع انني اجريت احاديث مع كوفي انان قبل الحرب وقلت لنفسي " ستكون هناك نصوص لهذه الاحاديث وسيعرف الكل ما قلناه ".

وردا على سؤال صحافي هيئة الاذاعة البريطانية: " بعبارة أخرى هل تلقى جواسيس بريطانيون تعليمات للقيام بعمليات داخل الأمم المتحدة تستهدف أشخاصا مثل كوفي انان؟ "، قالت شورت بحسم وثقة : " نعم بالتأكيد " .

واضاف الصحافي : " هل كنت على علم بذلك حين كنت في الحكومة؟ " . فاجابت شورت : " بالتأكيد قرأت نص بعض احاديث كوفي انان " !!

وهكذا فعندما استقالت شورت من منصبها الوزاري في مايو٢٠٠٣.. كان لاستقالتها وقع الزلزال ، قبل أن تفجر قنبلة ذات دوي هائل هز أركان الحكومة والبرلمان والأحزاب والرأي العام في بلادها.

ففي المرة السابقة، دعت بلير إلي التنحي مثلما تنحت هي عن منصب وزيرة التنمية الدولية.. أما في هذه المرة فقد قفزت إلي منطقة خطرة ومحظورة، بطعنها في نزاهة أجهزة الاستخبارات البريطانية .

ومع ذلك فلم تكن شورت وحدها في الساحة فقد كانت هناك امراة أخرى، وجدت لديها من الجرأة والصراحة ما يجعلها تتهم أجهزة المخابرات المنوط بها صيانة الأمن والمحافظة عليه، بأنها تتجسس علي الأمن العام للأمم المتحدة وهي المترجمة البريطانية كاثرين جان التي سربت معلومات بأن بريطانيا والولايات المتحدة كانتا

تتعاونان في التجسس علي مندوبي الدول الأعضاء في مجلس الأمن قبل شن الحرب علي العراق .

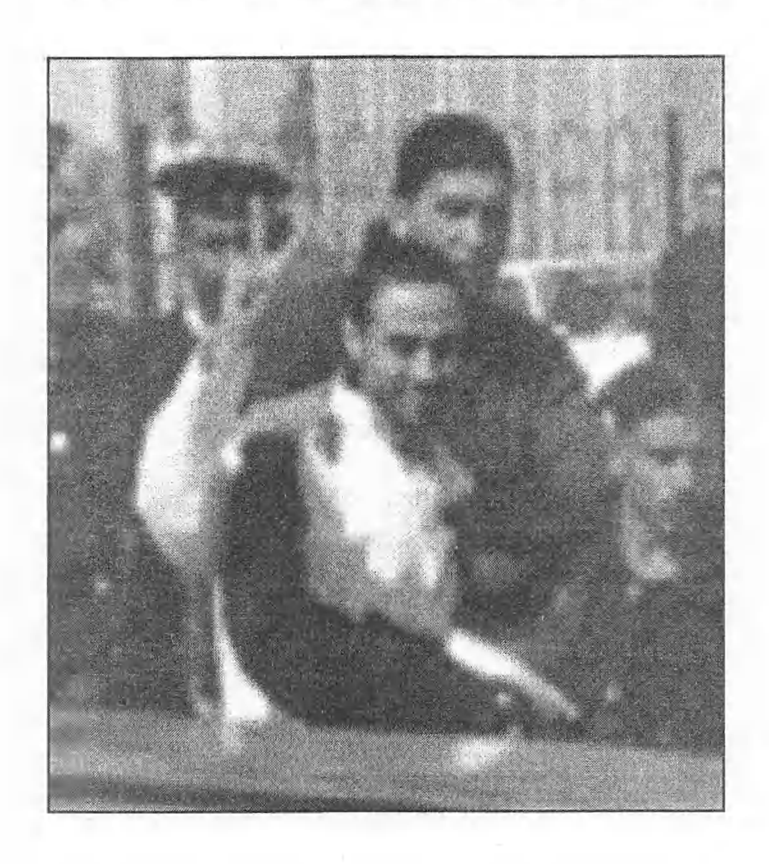
كما أيد الوزيرة البريطانية السابقة الدكتور بطرس غالي الأمين العام السابق للأمم المتحدة ذلك ، حيث أكد أنه كان يشعر بالتنصت عليه منذ اليوم الأول لتوليه منصبه، وأنه لم يفاجأ بتصريحات كلير شورت !!

ومثلما أن السيدة كلير أحدثت انقساما خطيرا داخل الحكومة البريطانية، فإنها أيضا أحدثت انقساما داخل حزب العمال الحاكم، وانضمت إلي روبن كوك وزير الخارجية السابق في تشكيل معارضة من نوع جديد تتهم بلير بأنه تحالف مع حزب المحافظين البريطاني ومع المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، وأبعد حزب العمال البريطاني عن مساره القديم كحزب يساري وكمعبر عن فكر مؤسسي الحزب من أمثال برنارد شووهارولد لاسكي.

وقد تزامن مع تفجر فضيحة التجسس على الأمين العام للأمم المتحدة الكشف عن فضيحة أخرى لا تقل إثارة عنها وهي التجسس على مفتشي الأسلحة الدوليين .

أما هذا الكشف فقد جاء على السيد هانس بليكس آخر رئيس لفريق المفتشين الدوليين الذي عينته الأمم المتحدة للبحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق، وكذلك على لسان ريتشارد بتلر أحد رؤوساء فريق المفتشين السابقين بأن إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليوبوش كانت تتجسس عليهما من خلال التنصت على مكالماتهما أثناء عملهما في فريق التفتيش الدولي بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل المزعومة في العراق .

٩- عصام العطار باع نفسه للشيطان!!



■ واستمر ولاء عصام العطار للموساد الإسرائيلي داخل حدود دولة تركيا قبل أن تفكر أجهزة المخابرات الإسرائيلية في استغلاله للقيام بوظيفة أخرى، في بلد آخر، بعد أن أصبح عجينة طيعة يتم تشكلها كيفما اتفق، ولعبة في أيدي الشياطين يحركونها في أي وقت يشاءون .

٩- عصام العطار باع نفسه للشيطان !!

طرحت عملية تساقط جواسيس إسرائيل في قبضة الأمن المصري - تباعاً - في السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين الكثير من الاسئلة حول حقيقة ما يحدث .. وكيف يتم تجنيد عملاء وجواسيس جدد للكيان الصهيوني، وزرعهم في مصر في ظل معاهدات واتفاقيات سلام منذ ما يقرب من ٢٨ عاما .

والارقام تؤكد ان عدد الجواسيس الذي كشف عنهم وقت السلام بين مصر واسرائيل اكثر من الجواسيس الذين كشف عنهم وقت الحرب.. بعض الجواسيس والعملاء كلفوا بعمليات تخريبية في المجتمع المصري من ترويج وتهريب المخدرات ونشر الرذيلة، والبعض الآخر بجمع معلومات بالغة الحساسية .. وكان من الطبيعي أن يلتقطوا بعض أصحاب نقاط الضعف، وينفذوا إليهم منها، كي يتم الإيقاع بهم، وتجنيدهم لتنفيذ المهام المطلوبة !!

ومع ذلك فلم تكن قضية الجاسوس محمد عصام غنيم العطار والمتهم بالتخابر مع إسرائيل ضد مصر قضية عادية حيث تحمل دلالات وعلامات استفهام كثيرة فإسرائيل كشفت من خلال هذه القضية أنها تبحث بالفعل عن شباب فقد هويته ووطنيته وتقوم بتجنيده عن طريق المال والنساء للحصول علي معلومات وبيانات تضر بمصلحة البلاد !

وعصام العطار الجاسوس الذى اعترف بارتداده عن الاسلام، وبشذوذه الجنسى، واقامة علاقة مثلية محرمة، مع ضابط الموساد "دانيال ليفى"، الذى جنده هوللأسف الشديد حفيد الشيخ العلامة "حسن العطار" رحمه الله !

والشيخ حسن العطار هورائد من رواد مصر الحديثة، واول من نادى بأصلاح الازهر الشريف فى القرن ١٩ لمواكبة العصر وتدريس العلوم مثل الطب والهندسة والحساب ونادى بالاجتهاد فى العلوم الدينية بحيث لا يجب ان نقف عند ما تركه السلف بدون تفكير، ويكفيه انه أستاذ الشيخ رفاعة الطهطاوى أحد أهم وأشهر من تخَرجوا على يديه من تلامذته، والصديق الحميم للمؤرخ الشهيرعبد الرحمن الجبرتى !

بدأت القصة في بداية شهر يوليو٢٠٠١، عندما كان المتهم محمد عصام العطار يدرس في السنة الثالثة بكلية العلوم جامعة الأزهر، حيث بدأت عوامل الانقسام في الشخصية تظهر بوادرها لدي محمد العطار والذي اعترف أمام النيابة أنه وصل إلي مرحلة عدم حب الوطن أوالاخلاص له وادعي أن تحوله في هذا التوقيت ناتج عن سخطه تجاه المجتمع والحياة .

وقال إن السبب الرئيس في ذلك هوحياة اليأس التي عاش فيها بسبب عدم استقرار أسرته وانفصال والده عن والدته منذ طفولته .

ومن خلال اعترافاته التفصيلية أمام نيابة أمن الدولة العليا المصرية، جاول المتهم إلقاء المسئولية علي ظروفه الاجتماعية والعائلية وقال : وصلت إلي حالة صعبة أصبحت أكره كل شيء من حولي.. وقررت في هذه الأثناء الهروب من مصر والاتجاه إلي أي دولة أخري حيث وقع تفكيري علي دولة تركيا بسبب سهولة الحصول علي تأشيرة سياحة حيث وصلت إلي أنقرة وهناك فكرت في الذهاب إلي السفارة الإسرائيلية لعرض خدماتي عليها أومساعدتي في تدبير فرصة عمل حيث تم استقبالي بطريقة طيبة .

ومن خلال عدة اختبارات لي تأكدوا أنني علي ولاء كامل لهم وخاصة بعد ابلاغهم بنيتي ترك ديانة الاسلام واعتناق المسيحية.

والسبب أنه يكره أفكار الاسلام وخاصة التي تدعوإلي تعدد الزوجات وهذا يؤدي علي حسب قوله إلي حدوث مشاكل أسرية كثيرة !!

وبعد أسابيع قليلة أطمأنت المخابرات الإسرائيلية في أنقرة إلي نية محمد العطار وكتبت تقارير إلي رؤسائها في تل أبيب تشير إلي أنه صيد ثمين وأنه يمكن تجنيده في أكثر من دولة أوربية للحصول علي معلومات عن المصريين والعرب المقيمين في هذه الدولة.

وبعد الحصول علي الموافقات بدأت بالفعل أولي خطوات تجنيد الجاسوس محمد عصام العطار .. وكانت نقطة البداية هي أنقرة، من خلال مقهي يجتمع فيه المصريون والعرب باسم " مقهي مصر " ويقع بالقرب من السفارة المصرية بأنقرة!

ومن خلال هذا المقهي، وبسبب اجادة محمد العطار اللغة العربية، استطاع استقطاب العديد من المصريين والعرب، وعمل صداقات قوية معهم، في إطار الخطة، التي رسمها له جهاز الاستخبارات الإسرائيلي " الموساد !

وخلال ٦ أشهر، تمكن العطار من تقديم تقارير عن الحياة اليومية لهؤلاء المصريين، تتحدث عن طرق معيشتهم، وأسلوب عملهم، وعدد أولادهم، بالاضافة إلي أن التقارير تضمنت أيضا الطباع والخصال والحالة النفسية والمزاجية، ومدى حبهم للمال والنساء، بالاضافة إلي معرفة أماكن اقامتهم في القاهرة وأقاربهم وذويهم، حيث كان العطار يسجل جميع الملاحظات الدقيقة عن كل شخصية مصرية أوعربية، وكأنه يكتب قصة حياة كل منهم !!

وكان دوره ينتهي فقط عند كتابة هذه التقارير، وتسليمها إلي ضابط الموساد الإسرائيلي دانيال ليفي وشهرته " إيفي "، والذي كان يتولي مهمة تدريبه ومراقبته في تركيا، أما أهمية هذه التقارير فكانت المخابرات الإسرائيلية عن طريق هذا

الضابط تقوم من جانبها بتشكيل فريق عمل منفصل يتولي دراسة المعلومات والبيانات الموجودة في هذه التقارير دراسة وافية ودقيقة، ثم يتم انتقاء العناصر الملائمة، التي تحصل علي درجات كبيرة تتيح للمخابرات سهولة تجنيدها، وكانت الشروط والصفات المطلوبة أن يكون العنصر، الذي يقع الاختيار عليه يتمتع بحب جارف للنساء والمال كشرط أساسي، بالاضافة الي ميوله المتضاربة نحوالاسلام، أوالمصريين والعرب !!

واستمر ولاء عصام العطار إلي المخابرات الإسرائيلية داخل حدود دولة تركيا (٦ أشهر) بعدها فكرت أجهزة المخابرات الصهيونية في استغلاله للقيام بوظيفة أخري، في بلد آخر، في الوقت الذي أصبح فيه هولعبة شطرنج، يتم تحريكها في أي وقت تشاء فيه المخابرات الإسرائيلية.

فكانت المعلومات المطلوبة طبقا للشخصية التي تقوم بالوظيفة هوملف الاقباط ومدي ملاءمة تجنيدهم لصالح إسرائيل، وخاصة عندما اعتنق الجاسوس محمد عصام العطار الدين المسيحي، ووافق علي تغيير اسمه من محمد عصام غنيم العطار إلي جوزيف رمزي عطار، يعتنق الكاثوليكية، وبسبب اضرابه عن الزواج، وكرهه الشديد للنساء، تحول الجاسوس إلي شخصية شاذة جنسيا، تبحث دائما عن المال والممارسات الشاذة !!

وفي بداية يناير ٢٠٠٢، كانت المخابرات الإسرائيلية قد طلبت من العطار السفر إلي كندا في مهمة جديدة، وهي البحث عن المصريين والعرب هناك، وكتابة تقارير عنهم من أجل تجنيدهم !!

ومن خلال وثيقة اقامة باسم جوزيف رمزي عطار، وصل الجاسوس إلي كندا في الوقت الذي كانت المخابرات المصرية تتابع تحركاته أولا بأول منذ وصوله إلي تركيا، وقيام المخابرات الإسرائيلية بتجنيده حيث كان في استقباله في كندا، كمال كوشيا ضابط المخابرات الإسرائيلية التركي الأصل، والذي وفر للعطار وظيفة في

أحد مطاعم الوجبات السريعة . وعلى مدى عامين متتاليين، قدم العطار تقارير كثيرة قدرت بالآلاف إلي جهاز المخابرات الإسرائيلية، كشف خلالها عن الاشخاص المصريين والعرب، الذين يمكن تجنيدهم !!

انظر إليه يقول في اعترافاته : بالفعل قدمت العديد من المصريين والعرب لكن كان دوري يقتصر فقط علي كتابة التقارير، التي تتضمن سلبيات وايجابيات عديد من الشخصيات سواء رجال أعمال أوطلبة دارسون.. وكان التركيز الأكبر علي مئات من الطلبة، الذين يلجأون إلي كندا عن طريق وثائق الهجرة المنتشرة في القاهرة" .

وأشار في اعترافاته أيضاً إلي أنه كان يختار من بين مئات العرب والمصريين الشباب، الذي لا يرغب في العودة إلي مصر أودولته، حيث استطاع أن ينقل الحياة اليومية لهؤلاء الاشخاص لجهاز المخابرات الإسرائيلية، وأنه بالفعل كان يتقاضي نظير ذلك مبالغ مالية باهظة، لكنه كان يقوم بانفاقها أولا بأول بناء علي تعليمات ضباط المخابرات الإسرائيليين حيث كان يطلب منه عدم ايداعها في حسابات بنكية لعدم افتضاح أمره .

وفي بداية عام ٢٠٠٣، وصلت إليه معلومات انه لابد من سفره إلي مدينة تورنتوذات الكثافة الكبيرة من المصريين والعرب، حيث استقبله هناك ضابط الموساد تونجاي جوماي، وشهرته " دانيال " الذي استقبله، ووفر له شقة فاخرة في إحدي ضواحي مدينة " تورنتو" بالاضافة إلي قيامه بشراء سيارة مرسيدس آخر موديل .

وخلال شهور قليلة، استطاع الموساد بقيادة الضابط تونجاي جوماي توفير فرصة عمل للجاسوس محمد عصام العطار في أحد البنوك الكبيرة في مدينة تورنتو. وكان الهدف من ذلك اطلاعه علي حسابات المصريين والعرب، والحصول علي عناوينهم، وأرقام هواتفهم المحمولة والأرضية، والحصول أيضا علي كافة المعلومات والبيانات المدونة في أوراقهم الموجودة في البنك، حيث كان الجاسوس يقدم - يوميا - ملفا كاملا عن هذه الشخصيات، وما تحمله من صفات سلبية وايجابية .

واعترف الجاسوس أمام المحققين المصريين بأنه تأكد أن الموساد قام بتجنيد عدد كبير من هؤلاء الاشخاص، وأن العدد الكبير كان من المصريين، لأنه لاحظ وجود تغييرات علي شخصياتهم، أوتعاملاتهم معه، وأن غالبية منهم، كانوا يملكون حسابات بسيطة في البنك تغيرت أحوالهم المالية بصورة كبيرة إلي الأفضل خلال شهور قليلة !!

واعترف المتهم أن غالبية الذين تم تجنيدهم كانوا من الاقباط الموجودين في كندا وأنه بسبب ولائه الشديد في اداء عمله كان ضباط المخابرات الإسرائيلية، الذين يقومون بتوجيهه في كندا يؤكدون أنه نجح في كل المهام، التي كلف بها، وأنه سوف يحصل علي تأشيرة دخول إسرائيل قريبا للإقامة والعيش فيها، بالاضافة الي توفير فرصة عمل مرموقة له هناك، وأنهم وعدوه بذلك بعد حصوله علي الجنسية الكندية، التي حصل عليها بالفعل في نوفمبر ٢٠٠٦ !

ويقول إنه بعدها طلب من ضابط الموساد تونجاي جوماي وشهرته دانيال السماح له بالحصول علي اجازة لمدة شهر إلي القاهرة لزيارة اقاربه، في الوقت نفسه كانت المخابرات المصرية تتابعه خطوة بخطوة، حيث اقتربت ساعة الصفر، لالقاء القبض عليه، وهي الفرصة التي انتظرتها الجهات الأمنية علي مدار ٦ سنوات متواصلة، حتي يذهب الجاسوس بنفسه إلي وطنه، الذي تجرد من حنسيته، وديانته !

وفي مطار القاهرة الدولي، كانت أجهزة المخابرات في استقبال الجاسوس، الذي لم يفطن إلي أن ضباطها يتابعونه لحظة بلحظة !

وبالفعل تم القبض عليه في المطار، حيث تم اقتياده إلي نيابة أمن الدولة العليا، وخضع إلي تحقيقات مكثفة، اعترف خلالها بكل جرائمه - تفصيليا - وعثر معه علي جهاز موبايل نوكيا N٧٠، حيث عثرت الجهات الأمنية علي أرقام تليفونات شخصيات كثيرة مصريين وعرب مقيمين في كندا وتركيا، بالاضافة الي هواتف ضباط الموساد الإسرائيلي، الذين قاموا بتجنيده في تركيا وكندا .

واعترف المتهم في النيابة أن هذه الأرقام تخصهم، وأنهم كانوا يتحدثون إليه من خلالها . وقررت النيابة احالته للمحاكمة العاجلة، مع ضباط الموساد الثلاثة، ووجهت النيابة إليهم تهمة الاشتراك في جريمة التخابر للاضرار بمصلحة مصر، بالاضافة إلي تقديم رشوة دولية للمتهم محمد العطار لتقديم بيانات ومعلومات من شأنها الإضرار بمصالح البلاد.

وهكذا لم تكن هناك ثمة مفاجأة علي الإطلاق في تطابق اعترافات الجاسوس المصري محمد عصام العطار، ومذكرات هيئة الأمن القومي، إلي نيابة أمن الدولة العليا منذ عام٢٠٠٢ وحتي القبض عليه، فالمذكرات كانت دقيقة ووافية وراصدة لكل حركات الجاسوس أولا بأول .

وفي الوقت الذي كان العطار ينتظر إحالته هووثلاثة ضباط إسرائيليين هاربين بكندا وتركيا (سيحاكمون غيابيا) إلي محكمة جنايات أمن الدولة طوارئ لتورطهم في التجسس لمصلحة إسرائيل، هرعت السلطات الإسرائيلية لمعرفة ما إذا كانت مصر لديها اتفاقيات تبادل متهمين مع كندا وتركيا ، وقال راديوالجيش الإسرائيلي أن وزارة الخارجية الإسرائيلية تجري حاليا مراجعة لمعرفة وجود مثل هذه الاتفاقيات مع البلدين . وقالت صحيفة " جيروزاليم بوست " الإسرائيلية: إن الوزارة أعربت عن قلقها الشديد في حال وجود مثل هذه الاتفاقيات لأنها ستجعل الأمور أكثر تعقيدا علي الجانب الإسرائيلي لاستعادة ضباطهم .

ولكن وبالتحديد في الحادي والعشرين من شهر ابريل عام ٢٠٠٧، قال القضاء المصري كلمته، حيث قضت محكمة أمن الدولة العليا "طوارئ" المصرية بالسجن ١٥ عاما على محمد العطار المتهم بعد إدانته بتهمة التجسس لمصلحة الكيان الصهيوني بالتعاون مع ثلاثة من ضباط الموساد والحصول على ٥٦ ألف دولار للتجسس على مصريين وعرب خلال المدة التي أمضاها في كندا وتركيا وبمحاولة جمع معلومات عن الاقباط المصريين بالخارج.

كما صدر حكم مماثل على الإسرائيليين الثلاثة غيابيا مع غرامة قدرها عشرة آلاف جنيه مصري . وقد صدر الحكم بحضور مندوب من السفارة الكندية، حيث يحمل المتهم الجنسية الكندية .

وقد عبرت أسرة العطار عن صدمتها وذهولها لما فعله عصام .. وقال عمه المهندس حاتم العطار بمرارة وأسى : "لقد نزل علينا الخبر كالصاعقة وحتي الآن هناك حالة ذهول تنتاب الأسرة من هول المأساة، فلم يصدق أحد ان محمداً – وخسارة الاسم فيه – باع نفسه ووطنه للشيطان، ووالده يمر بحالة اكتئاب مؤلمة" .. واضاف انه "يرفض الدفاع عن شخص خان وطنه مهما كانت درجة قرابته، وأعلن انه يشدد علي الجميع عدم توكيل محامين للدفاع عن محمد العطار امام القضاء" .

وقال : "ان محمدا لم يسئ الي التاريخ العريق لعائلة العطار وانما اساء فقط الي نفسه وهووحده الذي يتحمل نتيجة جريمته النكراء ورفض عم محمد العطار ان نقوم بتصويره قائلا: ارجوكم لا داعي للتصوير وكفي ما نحن فيه من الم" .

وعن حياة ونشأة محمد العطار قال عمه : ان والد محمد انفصل عن والدته قبل ولادته ببضعة اشهر وقضي محمد الـ ١٥ عاما الأولي من حياته بعيدا عن والده، بعد ذلك بدأ يتردد علي والده وحاول ان يقيم معه بصفة دائمة ولكنه لم يقض معه سوي اسبوع واحد ثم عاد مرة أخري الي والدته وكان يقيم لدي جدته والدة امه" .

اضاف حاتم العطار ان محمدا " انقطع بعد ذلك فترة طويلة عن زيارة والده ولم يظهر الا بعد وفاة جده حيث جاء الينا لتقديم واجب العزاء وكان ذلك في عام ٢٠٠١ وقال لنا انه تخرج في كلية العلوم قسم الكيمياء والتحق بعد فترة وجيزة من تخرجه باحدي شركات البترول وهوالامر الذي سعد به والده جدا، لكن اخباره انقطعت مرة اخري ولم نعرف انه قد سافر الي الخارج إلا بعد مرور عام تقريبا علي سفره" !

ويمضي العم فيقول إنه بعث له برسالة عبر البريد الالكتروني يخبره فيها بأنه يقيم في ولاية شيكاغوبالولايات المتحدة الأمريكية وانه يعمل باحدي شركات البترول

هناك. وتابع حاتم العطار انه ظل يتبادل الرسائل الالكترونية مع ابن شقيقه فترة وجيزة ارسل محمد له خلال هذه الفترة صورة شخصية له عبر البريد الالكتروني ثم قطع محمد بعد ذلك رسائله الي عمه ومنذ ثمانية اشهر فقط بعث محمد رسالة الي عمه حيث سأله عن والده وبقية افراد الاسرة ولكن في هذه المرة قال لعمه انه انتقل الي استراليا وارسل له عدة صور ليقنعه بانه يقيم هناك.

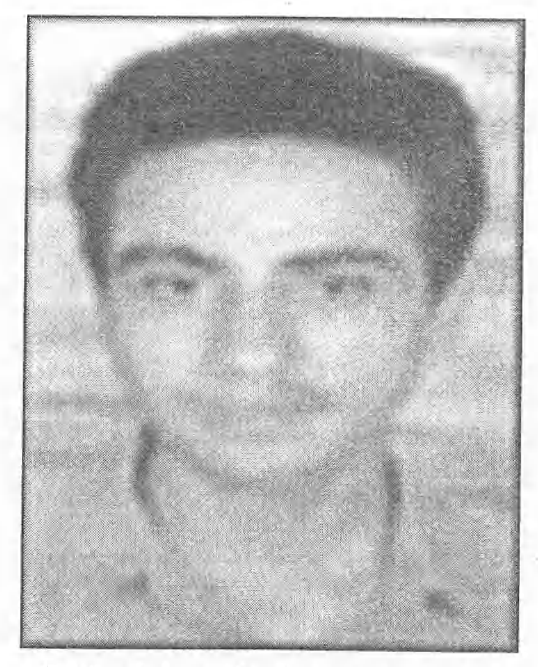
اضاف حاتم العطار قائلا انه لم يخطر علي باله ابدا ان يكون كل ما قاله ابن شقيقه مجرد اكاذيب ولم يكن هناك داع للتحقق من صدق كلامه كونه يقيم بأمريكا اواستراليا. ولفت النظر إلي انه لم يكن لديه أدني شك ان محمدا جاسوس ويعمل لمصلحة المخابرات الاسرائيلية فلم تكن تصرفاته اوسلوكياته توحي بأي شيء من هذا القبيل.

ويتابع حاتم العطار قائلا: انقطعت اخبار محمد ايضا حتي فوجئنا بهذا الخبر المشئوم من خلال مكالمة هاتفية من احد الاشخاص يخبرنا فيها بالقبض علي محمد بتهمة التخابر لمصلحة العدوالاسرائيلي بعدها اصيب والده بحالة اكتئاب شديدة .

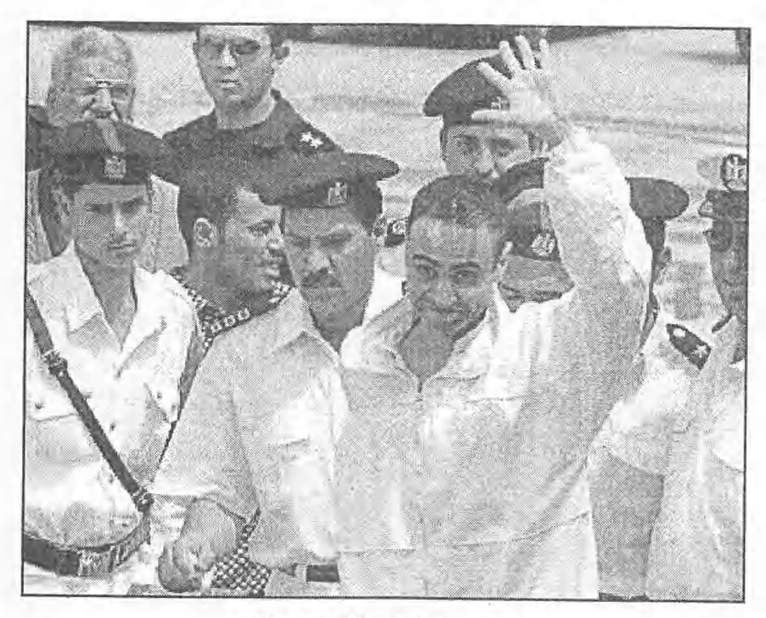
وانهي عم الجاسوس كلامه بأن الكيان الصهيوني يختار دائما فريسته بعناية شديدة كي يدمر رموز الوطن، وهويعلم مدي عراقة عائلة العطار" .

أما زوجة الجاسوس فقالت إن كل ما تعرفه عن القصة أن زوجها قال إنه بسبيله لحضور مؤتمر تنظمه إحدي شركات الكومبيوتر في مجال تخصصه(الطاقة النووية!!) ولكنه عاد فأخبرها في وقت لاحق أن المؤتمر هوغطاء لشيء آخر غريب وأنه سيبلغ السفارة المصرية بما حدث.. وأضافت أنها لم تكن تعلم بواقعة القبض عليه في المطار إلا عندما تم تفتيش منزلها ومصادرة جميع أوراقه ومستنداته علي ذمة التحقيق..

والواقع أنه منذ إعلان مصر عن محاولتها لاستخدام الطاقة النووية في أواخر عام ٢٠٠٦ وإسرائيل لا يغمض لها جفن، فقد أوعزت إلي خلاياها النائمة من الجواسيس في هذا المجال الحيوي تحديدا باستباق الزمن، وسرقة الوثائق ومعرفة ما يدور في ذهن صانع القرار المصري، ولم يكن محمد السيد صابر، إلا واحدا من هؤلاء الجواسيس سابقي التجهيز إذ التقطه الموساد وجنده عبر شخصين، الأول ياباني هوفيروأيزووالثاني أيرلندي ويدعي برايم بيتر ليحملاه إلي هونج كونج ويسلماه جهاز كومبيوتر شخصي لاب توب به برنامج متقدم يستطيع أن يفك به شفرات أي شبكة حاسبات في أي مؤسسة في مصر خصوصاً في مفاعل أنشاص التجريبي الخاضع أصلا للتفتيش الدولي ولكن وكالعادة كانت المخابرات المصرية لهم بالمرصاد !!



الجاسوس عصام العطار في صدر شبابه قبل أن
يرتد عن الإسلام و يبيع نفسه للشيطان !!



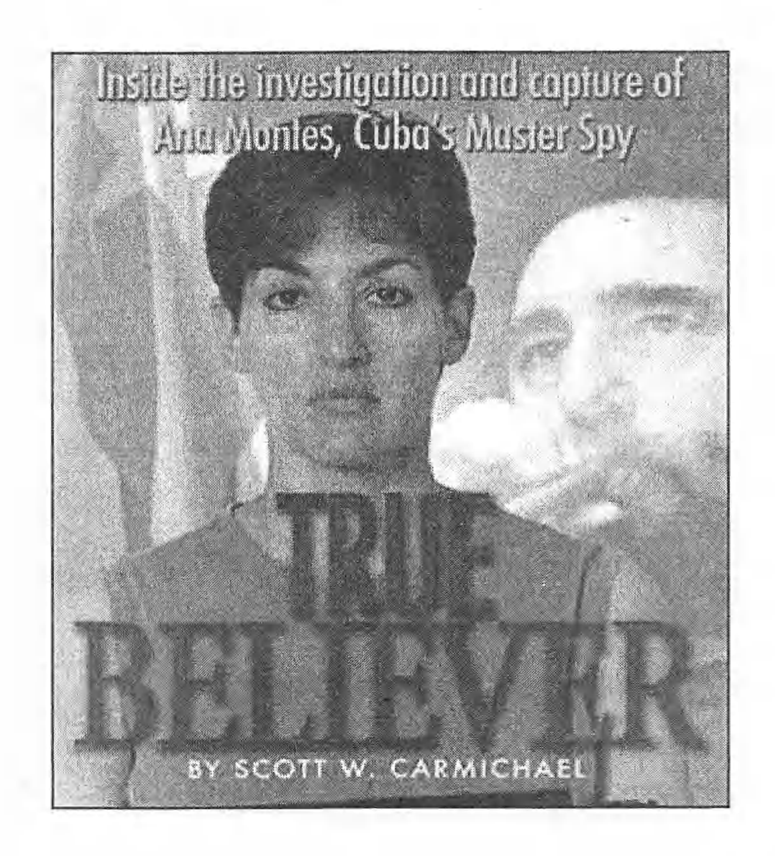
في طريقه لجلسة المحاكمة !!



جمهورية مصر العربية
وزارة الداخلية
بطاقة شخصية

بطاقة هوية العطار وفي خانة الديانة " مسلم " قبل المأساة !!

١٠ - آنا مونيتس.. جاسوسة فوق العادة!!



■ لم تطرف عيناها ندما .. وبادرت القاضي قائلة : تورطت في هذا النشاط الذي قادني في النهاية للمثول أمامكم لأنني كنت أمتثل لصوت الضمير داخلي، لا للقانون الذي تعيشون عليه .. ولعل هذه المرأة هي أكثر الجواسيس إثارة للجدل، حتى أن كتباً صدرت عنها منها كتاب " المؤمنة بكاسترو" الذي يظهر غلافه أعلاه وعليه صورتها !!

١٠ - آنا مونيتس .. جاسوسة فوق العادة !!

هذه الفتاة الأمريكية هى أغرب جاسوسة عرفها التاريخ .. سر الغرابة يكمن في كلمة واحدة هى أنها " متطوعة " يعني تتجسس مجاناً .. ولكن كلمة " متطوعة" بالكشف عنها في قاموس جاسوسية القرن الواحد والعشرين سنفاجأ بكل ما هوأغرب !!

كانت تعيش حياتها على الطريقة الأمريكية العادية المعروفة.. ولدت في ألمانيا لأب يعمل طبيباً نفسياً في الجيش الأمريكي، ألبرتومونتيس، والأم، إيمليا مونتيس، كانت من أشد مؤيدي حقوق الشعوب اللاتينية في الأمريكتين، والأسرة كلها تمتد جذورها إلى أصول بورتوريكية، كانت تعيش في ضواحي كانساس ثم انتقلت لتستقر في ميريلاند، والتحقت بأفضل المدارس هنا وهناك إلى أن التحقت بالدراسة الجامعية ومنها إلى الجيش الأمريكي، وتحديدا بوكالة الاستخبارات العسكرية الـ " دي . آي . إيه " التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية.

بعد أيام من وقوع حادث سبتمبر، هب رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى منزلها وألقوا القبض عليها، وهناك، حين جلست أمام المحققين، وجهت إليها تهمة التخابر لصالح دولة أجنبية، ظلت أسيرة التحقيقات وجلسات المحاكمة حتى ١٦ أكتوبر ٢٠٠٢م إلى أن فصل القاضي ريكاردوأوبرينا في قضيتها، وثبتت عليها تهمة «تسريب أسرار قومية إلى الحكومة.. الكوبية " ! كارثة سياسية في نظر الأمريكيين.. كارثة ارتكبتها الأمريكية، من أصل بورتوريكي، آنا بيليز مونتيس واستحقت عليها ٢٥ عاما خلف الأسوار.

أصدر قاضي مقاطعة كولومبيا، ريكاردوأوبرينا، المعروف بميوله الليبرالية حكماً بالسجن ٢٥ عاما على آنا بيليز مونتيس، ومع ذلك، لم تطرف عين المتهمة ندما

على التجسس ضد بلادها، بل وأعطت لنفسها والآخرين الفرصة كي تشرح الدوافع الحقيقية التي أقنعتها بالتجسس لصالح كوبا، الجار اللدود للولايات المتحدة، حتى لوجاء هذا التجسس على حساب الأمن القومي لبلدها وبني جلدتها.

تقول آنا: "إنني مؤمنة أشد الإيمان بأن سياسة حكومتنا تجاه كوبا سياسة تتسم بالقسوة وتفتقر إلى العدل والإنصاف، بل وأقول أنها سياسة تبغض حقوق الجيرة أشد البغض، لقد شعرت بدافع أخلاقي ألزمني بمد يد العون لتلك الجزيرة كي تدافع عن نفسها وتدرأ عنها كافة محاولاتنا نحن الأمريكيين إلى فرض قيمنا ونظامنا السياسي قسرا عليها.

إننا لم نظهر تجاه كوبا سوى التشدد والازدراء على مدار العقود الأربعة المنصرمة، إننا لم نحترم حق كوبا في أن تخوض بنفسها رحلتها نحوالقيم المثالية التي ترتضيها لنفسها من عدل ومساواة، كما أنني لا أفهم الأسباب التي تجبرنا نحن الأمريكيين على الاستمرار في تعليم شعب كوبا كيفية انتخاب قادتهم، والتدخل في تحديد من يصلح لزعامة هذا الشعب ومن لا يصلح، والتدخل في تحديد القوانين التي تناسب أرضهم، لماذا لا نترك كوبا تسعى كما تريد وتشاء وراء تحقيق رحلتها داخل بلادها نحوالعدل والمساواة، تماما مثلما فعلت الولايات المتحدة على مدار قرنين كاملين؟".

ذاك كان "الدافع الأخلاقي" الذي حرك في "آنا" الرغبة والمبادرة كي تتجسس ضد بلادها لصالح قضية تراها في الأساس قضية أخلاقية، كانت كلمتها تلك مؤثرة، حتى أن القاضي أوربينا تأثر وتأثرت معه ملامح وجهه، فكان يصغي لكلامها وفي عينيه لمعة تركيز في كل ما تردده .

وبعد أن انتهت من شرح دوافعها، قال القاضي: "إذا كان بغير استطاعتك أن تحبين بلدك وتشعرين نحوه بالولاء، فعلى الأقل كان يجب عليك ألا تلحقين به أي ضرر، لقد تعمدت الإساءة إلى الولايات المتحدة وإلحاق الأذى بها، وعليك أن تدفعي ثمن ذلك".

وفي الوقت الذي يرونها في أمريكا وكوبا جاسوسة فوق العادة، وتقول مستندات القضية أن آنا ربما تكون قد زارت الحكومة الكوبية عام ١٩٨٥ في فترة انتقالها للعمل في وزارة العدل الأمريكية ثم وكالة الاستخبارات العسكرية التي شغلت فيها موقعاً مرموقاً داخل هيئة كبار المحللين العاملين في مكتب شئون نيكاراجوا، وعلى مدار ١٥عاما، نالت آنا ثقة أهلتها لأن تضع يديها على مستندات في غاية الحساسية، وتعرفت على شخصيات مرموقة في البنتاجون، بل وصارت واحدة من أهم الاستشاريين في الحكومة الأمريكية الذين يؤثرون في صناعة القرارات السياسية المتعلقة بالمسألة الكوبية .

ففي عام ١٩٩٨م على سبيل المثال، كتبت آنا ورقة عمل في غاية الخطورة وقدمتها للبنتاجون، وقالت في تلك الورقة أن كوبا لم تعد مصدراً لأي تهديد استراتيجي ضد الولايات المتحدة، أكثر من ذلك أنها صارعت عام ١٩٩٩م من أجل تفعيل الأصوات المنادية إلى عمل تدريبات عسكرية مشتركة بين الجانبين الأمريكي والكوبي وذلك كخطوة أولى نحوالمصالحة وتأسيس علاقات ودية بين العدوين اللدودين، وهناك تقارير تؤكد أن الحكومة الأمريكية كادت أن تأخذ بتلك التوصيات، في وقت كانت آنا قد كشفت للسلطات الكوبية عن شبكة من الجواسيس الأمريكيين الذين يعملون داخل الأراضي الكوبية، هذا إلى جانب تسريبها معلومات سرية ثمينة حول المداولات التي تدور بين صناع القرار السياسي في أروقة الحكومة الأمريكية حول المسألة الكوبية.

كانت قضية آنا قد أحيطت لفترة من الوقت بأستار التعتيم من جانب وسائل الإعلام الأمريكية، إلى أن فجرت جريدة "ميامي هيرالد تريبيون" القضية بنشرها تقريرا تضمن محاضر القضية، وكان لهذا التقرير صدى واسعاً خاصة وأن الجريدة تنشر في ولاية ميامي التي تضم قطاعا عريضا من الجالية الكوبية الأمريكية، وهي جالية صاحبة تأثير ملحوظ في مسارات الحياة السياسية والاجتماعية بالولاية.

بدأت بعد ذلك كبريات الجرائد الأمريكية تتابع عن كثب مجريات القضية ومستجداتها، وإن كان الاهتمام بها قد خفت مع ارتفاع وتيرة الحديث عن الحرب

على الإرهاب والحرب الأمريكية في أفغانستان ومسلسل الفضائح المالية لكبريات الشركات الأمريكية وفي مقدمتها شركة "إنرون".

ومع كل، لم تغب آنا عن عيون الرأي العام الأمريكي، وزاد اهتمام المراقبين بدراسة تلك القضية لأن صاحبتها، كما اعترفت وتبين من التحقيقات معها، لم تتقاض أي مقابل مادي من كوبا لقاء نشاطها في التجسس، فقد أصرت على أن تجسسها ضد بلادها انطلق من اعتبارات أخلاقية وأيديولوجية.

كانت «آنا» من وجهة نظر المراقبين الأمريكيين «حالة شديدة الخصوصية» فلما وجد لها مثيل في سجلات الجواسيس، فالطبيعي والسائد، في كافة تهم التخابر والتجسس، أن يكون الدافع الأول والأخير الذي يحرك الجاسوس هوالمال، بل وسادت مقولة شهيرة تقول إن الجواسيس في كثير من الأوقات «لا يدركون العواقب الأخلاقية والأيدلوجية للمهام التي يقومون بها».

مثلاً، عمل الأمريكي ألدريش إيمز، ضابط المخابرات الأمريكية، لصالح المخابرات الروسية وتقاضي من الروس ما قيمته ٧،٢ مليون دولار، ومثله روبرت هانسن «ضابط مكتب التحقيقات الفيدرالية» الذي عمل لحساب الروس أيضا وتقاضى منهم ٤،١ مليون دولار، وهناك آخرون كثيرون عملوا ضد مصالح أوطانهم لمجرد الدافع المالي، منهم رقيب القوات الجوية الأمريكي برايان ريجان وجورج تروفيموف «عقيد قوات الاحتياط الأمريكية» وديفيد بون «كان يعمل في وكالة الأمن القومي» وإدوين إيرل بيتس التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالية وجوناثان جاي بولارد الضابط بالبحرية الأمريكية، والقائمة تطول، كل هؤلاء تجسسوا من أجل المال، إلا «آنا»، فكانت صاحبة موقف «أخلاقي» في تجسسها على أسرار بلدها!

وبعد الحكم عليها بخمسة وعشرين عاماً خلف القضبان، خرج وزير الخارجية الكوبي، فيليب بيريز، ليعرب عن أسفه الشديد لما ألم بصديقة الكوبيين «آنا»، وقال في جمع صحفي غفير: «إننا نكن لآنا بيليز مونتيس كل احترام وإعجاب، فأفعالها

صدرت عن مبادئ أخلاقية وإحساس مرهف من جانبها بقيمة العدالة»، القاضي أوبرينا ذاته شعر بشيء من التعاطف مع هذه الجاسوسة «الأخلاقية»، غير أنه هب فيها غاضباً وقال: «عدم الموافقة على سياسات الحكومة أمر، وخيانة العهد والتجسس ضد أمن البلاد أمر آخر».

أما فيدل كاسترو، فلم يفعل شيئاً ذا قيمة للدفاع عن «آنا» أوحتى الإشادة بالخدمات التي أسدتها للكوبيين، كل ما في الأمر أنه تحدث عام ٢٠٠١ في أمر «شبكة الدبابير» التي ضمت خمسة جواسيس كوبيين تم إلقاء القبض عليهم في ولاية ميامي، وقال عنهم كاسترو: «هؤلاء الرفاق سجناء سياسيون في الولايات المتحدة، وسيعرف الرأي العام في كوبا والعالم أجمع ما يشعر به هؤلاء السجناء الآن، وسيعرف ما يدور في أذهانهم، وسيقدر كثيراً شجاعتهم وكرامتهم، سيتحول هؤلاء إلى قدوة يحتذي بها الشباب في كل أنحاء الدنيا»!

أما آنا، وعلى عكس أفراد هذه الشبكة، فقد واجهت موقفا أصعب حين اتهمت بالتآمر والتخابر ضد بلادها، وكثيرون يشبهونها بقضية الأخوين روزنبيرج اللذين انتهى الحال إلى منصة الإعدام عام ١٩٥٠ لإفشائهما أسراراً نووية إلى المعسكر الروسي.

ويظل أغرب ما في قضية الجاسوسة الأخلاقية آنا أن وزير الخارجية الأمريكي كولين باول مثل أمام الكونجرس الأمريكي عام ٢٠٠١ وقدم تقريرا اعترف فيه أن كاسترو«أنجز الكثير لشعبه» وأنه " لم يعد مصدر تهديد للولايات المتحدة " .

ويقول المعلقون الأمريكيون أن باول ربما يكون قد استند في تقييمه لكاستروإلى التقارير التي وضعتها آنا وقت ان كانت تعمل في وكالة الاستخبارات العسكرية، ورغم اتفاق قطاع عريض من المحللين السياسيين الأمريكيين وتفهمهم للدوافع الأخلاقية التي اصطبغت بآراء آنا حول المسألة الكوبية، فإن الحكومة الأمريكية لم تفكر للحظة أن تتعامل بقدر من التسامح مع هذه الجاسوسة الأخلاقية!

١١- جواسيس مكالمات بوش وبلير!!



■ ومع ذلك تركز اهتمام الحكومة على جعل "الرجلين المتهمين" نموذجاً في العقوبة كي تحمي توني بلير من الإحراج حول ما قاله لبوش سنة ٢٠٠٤.

١١- جواسيس مكالمات بوش وبلير !!

وعملاً بالمثل القائل " كما تدين تدان " .. لم يسلم حتى زعماء الحرب على العراق من الأنشطة التجسسية على اتصالاتهما ومحادثاتهما الخاصة، والتي تحمل أسراراً بالغة الحساسية والخطورة، حيث تسربت وثيقة سرية تكشف "جنون" بوش في حوار مع بلير عام ٢٠٠٤ بشأن حرب العراق !!

فقد فوجئ العالم في عام ٢٠٠٧ بالكشف عن أنباء إدانة بريطانيين اثنين أحدهما موظف حكومي والأخر باحث لصالح (عضوفي البرلمان) بتهمة محاولة تسريب أوالكشف عن تفاصيل محادثات سرية بين رئيس الوزراء توني بلير والرئيس الأميركي جورج بوش عن الحرب العراقية .

ووصف أعضاء في البرلمان البريطاني ومحامين ومنظمات حقوق انسان في لندن الادعاء العام بـ "المهزلة " واتهموا الحكومة البريطانية باساءة استعمال قانون الأسرار الرسمية لتغطية الذرائع السياسية لشن الحرب .

وواجه "ديفيد كوف ٥٠ سنة " ضابط اتصالات مكتب رئيس الوزراء، و" ليواوكونور ٤٤ سنة" الباحث السياسي، الذي عمل لصالح عضوالبرلمان المعارض للحرب " أنتوني كلارك "، أحكاماً بالسجن، بعد أنْ وجدتهما هيئة محلفي محكمة لندن الجنائية مذنبين بخرق قوانين "السرية" البريطانية .

وكشف "روبرت فيركيك " المحرر القانوني في صحيفة الأندبندنت: في موضع مركزي وشديد الحساسية في المحاكمة، عرضت وثيقة حكومية من أربع صفحات سجلت مناقشات اجتماع حول حرب العراق بين بلير وبوش، عقد في المكتب البيضاوي بواشنطن في شهر ابريل عام ٢٠٠٤ بشأن التحضير لتسليم السلطة الى الحكومة العراقية.

و"كوف" الذي نسخ الوثيقة لـ "اوكونور" عندما كان يعمل في مكتب مجلس الوزراء قال إنّه خالف ضميره لإنه اعتقد أنّ الوثيقة تظهر لبوش كيف أنه "مجنون". وسرّب "اوكونور" الوثيقة الى "كلارك" عضوالبرلمان، لكنَّ عضوالبرلمان "نورث هامبتون" حذر حكومة داوونغ ستريت، والذي سلّم الوثيقة بدوره الى الشرطة. لكنَّ تصرف "كلارك" ربح امتنان رئيس الوزراء توني بلير قبيل استقالة الأخير بأيام.

وقال المحرر القانوني في صحيفة الأندبندنت إن بلير كتب رسالة الى عضوالبرلمان قال فيها : "اعرف أننا نختلف حول هذه القضية، لكنني فقط أردت أن أشكرك على تصرفك بشكل صحيح. أحياناً يجب أن تُعمل الأشياء الجيدة بسرية".

وقال كلارك "إن العدالة لم تخدم"، وحث باحثه السابق لطلب الاستئناف ضد قرار الحكم. وأوضح إن أوكونور -الذي بقي على اتصال معه برسائل مكتوبة- ليس في جسده عظمة سيئة وقد عمل بشرف في جميع الفترات. وسألت الصحيفة عضوالبرلمان عن تأثير الوثيقة فيما لوكشف عن محتوياتها، فأجاب "بخصوص العلاقات الشخصية بين الرئيس جورج بوش ورئيس الوزراء توني بلير، اعتقد أنها ستعطي ببساطة تبصّراً جيداً بشأن ما قد جرى بين الزعيمين في وقت قد يتحدى بضعة أوهام التي سيطرت على وسائل الإعلام في ذلك الوقت". وخلال كامل المحاكمة منع الجمهور والصحافة من حضور بعض جلسات الاستماع التي تليت فيها محتويات الوثيقة التي تُعد حسب وصف "الاندبندنت" حساسة بشكل عال.

ووصفت الصحيفة الأمر بأنه استهانة بالمحكمة التي لم توافق على نشر تفاصيل الوثيقة.

وقال الادعاء العام أنّ تسريب الوثيقة قد يكلف حياة ناس، وأصرَّ على أنه في هذه الحالة "فإن السرية ليست عدوة للديمقراطية".

وأخبر "ديفيد بيري" المدعي العام في المحكمة، هيئة المحلفين قائلاً : " نحن نعيش في مجتمع ديمقراطي، وليس في الغرب المتوحش. إنّ الأمر ليس كما لوكان

أشخاص ذاهبون لإن يكونوا مدراء شرطة في بلدة". لكنّ "ريكس تيد كيوسي" محامي "كوف" أكد أنه لا توجد أشياء في الوثيقة تتعلق بعمل القوات البريطانية. وأخبر القاضي أنّ "كوف" لم يعمل بحافز سياسي، ولكنه اتبع ضميره.

ومع ذلك تركز اهتمام الحكومة على جعل "الرجلين المتهمين" نموذجاً في العقوبة كي تحمي توني بلير من الإحراج حول ما قاله لبوش سنة ٢٠٠٤.

وقال "السير جيوفري باندمان" محامي حقوق الانسان البارز: "إن التعديل على قانون الأسرار الرسمية بفرض تحديد محاكمات الحالات التي تؤذي مصلحة المجتمع، يمكن أنّ يثبّت، ولم يكن الأمر واضحاً فيما إذا كان في هذه الحالة سيؤدي الى أذى للمصلحة العامة".

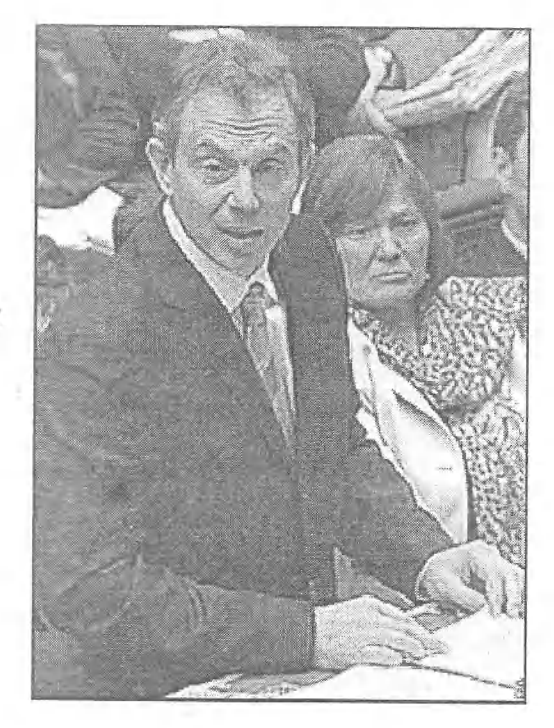
أما عضوالبرلمان "بيتر كلفويل"، الذي حققت معه الشرطة، بعد أنّ اخبر بموضوع محتويات المذكرة المتسربة، فقد قال إن المنع يمكن أنّ يؤدي الى الاحراج السياسي أكثر من حمايته للأمن القومي. وأوضح قوله: "اعتقد أننا نعيش في مجتمع ونعمل تحت نظام قيمه في (السرية) تصل الى درجة مفرطة". وقال عن رسالة بلير: "هوبشكل واضح ممتن بالنيابة عن صديقه جورج بوش. إن هذا يجعلك تعجب ما الذي هوممتن من أجله".

ووجدت المحكمة "كوف" مذنباً في أمرين هما اقترافه جريمة الكشف، وعمله لحساب فرد هوأوكونور. ومنح الرجلان فرصة دفع كفالة ولم يصرحا بشيء حينما تركا المحكمة لكن محامي البلدية "ستيورت جيفري" الذي دافع عن "كوف"، قال إن موكله كان متعباً للغاية. وأمر "إيكنز" قاضي المحكمة أنّ تبقى التقييدات الوثائق ومجريات المحكمة سرية.

وقد أعادت هذه المحاكمة لأذهان البريطانيين بعض نماذج المحاكمات التي تمت بموجب قانون أسرار الدولة .. ومنها محاكمة جورج بليك الذي كان عميلاً مزدوجاً

اشتغل في الاستخبارات العسكرية M١٦ وسرّب أسراراً الى السوفييت. وكان بليك قد اتهم بخمس حالات تجسس طبقاً لقانون الأسرار الرسمية لسنة ١٩٦١. وفي نهاية محاكمته، حكم عليه كحد أعلى بالسجن ١٤ سنة لثلاث قضايا على أنْ تنفذ بالتتابع. كانت فترة سجن طويلة يحكم بها على شخص بسبب التجسس. وهرب بليك مؤخرا من السجن. ويعتقد بأنه كشف للسوفييت أكثر من ٤٠ إسماً من الوكلاء. العديد منهم اختفوا ويقال بأنهم أعدموا.

كما أعادت إلى الأذهان أيضاً محاكمة كلوس فوكس عالم الذرة الألماني الأصل والموظف الحكومي. كان "فوكس" قد اتهم سنة ١٩٥٠ بالتجسس. غادر ألمانيا الى بريطانيا سنة ١٩٣٣، هرباً من إعدام النازيين، لكنه كان متحمساً شيوعياً، فاستعمل منصبه في مركز هارويل للبحوث الذرية، ليوصل أسراراً الى السوفييت. قضي عليه بالسجن ١٤ سنة. و"لورد كودارد" رئيس الحكمة العليا خاطبه قائلاً: "لقد جابهت الضيافة والحماية اللتين وفرهما لك هذا البلد بالخيانة الكاملة" مات فوكس سنة ١٩٨٨.

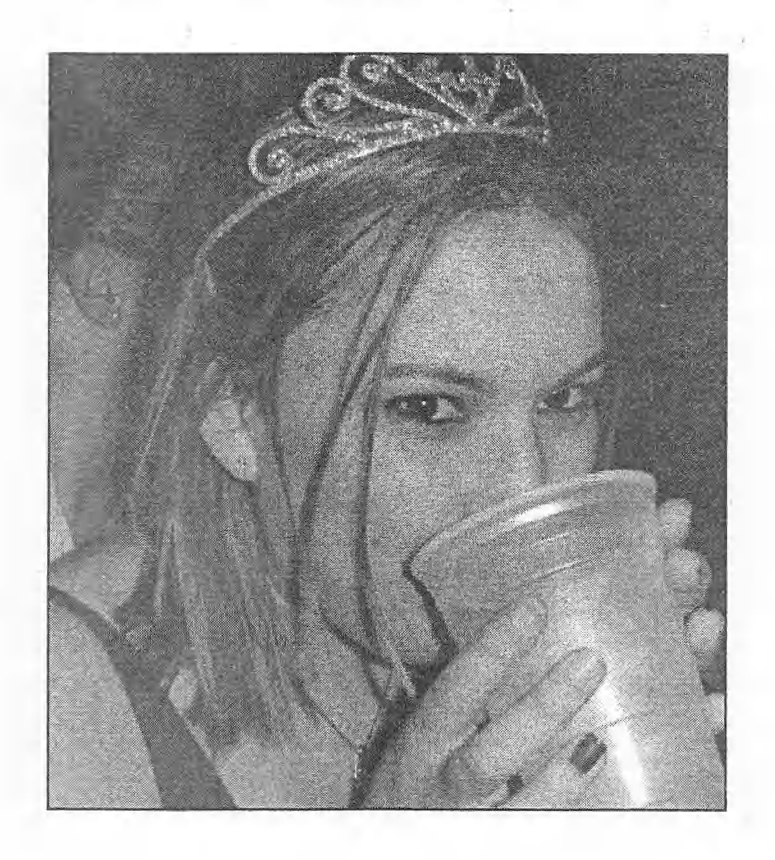


كليرو بلير أثناء رده على اتهاماتها في
مجلس العموم البريطاني !



كلير لحظة دخولها مقر رئاسة
الوزراء في ١٠ داونينج ستريت بلندن
لتقديم استقالتها !!

١٢ - الطالبة الجاسوسة سدني!!



■ دعوها إلى حفل ساهر فقتلت مطربها المفضل .. وكشفت في أول مهمة سرية أخطر شبكة إرهابية .. ثم وجدت في الملف السري صورها منذ أيام رياض الأطفال حتى الجامعة .. اكتشفت أن السوار الذي قدم لها عبارة عن كاميرا سرية.

١٢- الطالبة الجاسوسة سيدني!!

ساد الهدوء مكتبة الكلية بعد أن انصرف الزملاء والزميلات، وجلست هي وحيدة لتضع الحروف الأولى للأطروحة التي تعدها حول تخصصها، فجأة سمعت من يخاطبها بقوله: معذرة آنسة، برستو، هل أنت سيدني برستو؟ ونظرت إلى أعلى لتتبين المتحدث فإذا برجل في بزة سوداء يتجسم أمامها، ويبدو في الخمسين من عمره، ويميزه شعر خفيف وأشقر تشوبه حمرة مائلة إلى الرمادي، مفتول العضلات، عريض الكتفين، يوحي قوامه بخلفية رياضية، أولعله لاعب كرة قدم سابق، وأجابت هي: نعم أنا سيدني برستو، وفي صوتها نبرة خوف ودهشة، فهي لم تعتد مقابلة الرجال داخل حرم الجامعة، وخاصة هذا النوع الممتلىء فخراً وثقة بنفسه ويرتدي بزة رسمية، ولم يتردد الرجل كثيراً وخاطبها بقوله: اسمي ويلسون، ثم فاجأها بقوله: أنا مجند بوكالة المخابرات المركزية (سي.آي.إيه).

كان وجه الرجل خالياً من أي تعبير وهويمد لها بطاقة رمادية اللون، وقرأت سيدني عبارة بنك التسليف والائتمان، وتحت العبارة الاسم: رونالد ويلسون مع عنوان ورقم هاتف، وليست هناك أية عبارة تشير إلى المخابرات، ونظرت سيدني ملياً في وجه الرجل ثم قالت له: أوليست هذه من الحيل التي يلعبونها في (الكاميرا الخفية)؟ ورد الرجل: أؤكد لك أنني لا أمزح، وأدخل يده في جيبه وأخرج لها بطاقة تحمل اسمه وشارة وكالة المخابرات المركزية (سي.آي.إيه) وبدأت تصدق الرجل وتتساءل: ماذا تريد المخابرات مني؟ وأحس ويلسون بحيرتها وخاطبها قائلاً: لا داعي للخوف، فنحن نبحث عن الطلاب المتميزين لتدريبهم للعمل معنا ونشعر أنك ستكونين من خيرة المرشحين، وإذا رغبت اتصلي بي هاتفياً، وإن لم تفعلي سنعتبر الأمر كأنه لم يكن، وأضاف بصوت فيه حسم وجدية: في حال الرفض مزقي البطاقة

ولا تتحدثي مع أحد في هذا الشأن، أكرر لا تتحدثي مع أحد في هذا الشأن للأبد، وانصرف.

لم تنم سيدني تلك الليلة ولم تهمس لصديقتها فرنسيس التي تشاطرها السكن بكلمة، وراحت تستعيد شريط الذكريات، وتذكرت والدتها التي كانت مكمن سرها، ووالدها الذي لا يتحدث إليها إلا حين تلتقيه لأخذ مصروفها، وقد ظل منذ سنوات يشغل نفسه في تصدير وبيع قطع غيار الطائرات، وتذكرت عزلتها، فكيف أنها لا تخاف من الآخر، ولكنها تجعل بينها وبين الآخرين مسافة.

في صباح اليوم التالي، ولملء هذا الفراغ الذي تشعر به في حياتها حملت البطاقة واتجهت لأقرب هاتف عمومي، وأدارت قرص الهاتف، وإذا بالصوت نفسه الهادئ النبرات يرد عليها من الطرف الآخر: ويلسون يتحدث... وأخطرته برغبتها في الانضمام إليهم، ولم يتردد حيث أمرها بالتوجه إلى البنك المجاور لشقتها للقاء سيدة في الاستقبال، ذكر لها اسمها وبعض ملامحها، وحين دلفت من الباب الدائري للبنك وجدت السيدة المعنية حيث توقعت، ومدت إليها يداً بالبطاقة وهي تردد: السيد ويلسون.. ويبدوأن ارتفاع نغمة صوتها وهي تنطق الاسم أذهل المرأة نوعاً ما، فهمست وهي تنظر حولها: الحقي بي، وهرولت خلفها حتى المصعد، وعلى غير ما توقعت بدأ المصعد يهبط إلى الأسفل حتى إذا جاوز عشرين طابقاً تحت الأرض فتحت السيدة الباب وقادتها لمكتب لا يحمل اسماً، وتركتها وانصرفت، وطرقت سيدني ثلاثاً ثم دخلت لتجد المكتب خاوياً إلا من منضدة حولها خمسة مقاعد في مواجهة مقعد وثير، وهمت بالجلوس، وإذا بملف على المنضدة، فغلبها حب الاستطلاع، فألقت عليه نظرة وهي تهم بالجلوس، وإذا به يحمل اسمها بخط واضح، لم تتمالك نفسها، فتحت الملف فإذا به صور لها منذ أن كانت طفلة في رياض الأطفال وحتى الجامعة، ووجدت أوراقاً داخل الملف فيه تفاصيل عن حياتها بما في ذلك صورة عن شهادة ميلادها، والمستشفى التي ولدت فيه، ونسخة عن رخصة القيادة، وبعض تقاريرها الطبية، ودرجاتها الدراسية خاصة في مجال اللغات التي

تجيدها، وحتى اللغتين الإضافيتين الاختياريتين الصينية والإسبانية، بل والأشعة التي أخذتها لأسنانها، قالت في نفسها لم تبق إلا البصمات، وفتحت صفحة أخرى فإذا ببصمات أصابعها يتوسطها الإبهام وأيقنت وهي تتوجس خيفة أنها في قلب المخابرات المركزية (سي.آي.إيه) وراحت تهدىء من روعها حين دخل عليها من باب جانبي السيد ويلسون وبصحبته خمسة من كبار موظفي الوكالة، وبدأت مقابلة كان ويلسون هوالوحيد خلالها، وبدأ الموظفون يهزون برؤوسهم وكأنهم يؤيدون ترشيح سيدني، ثم خرجوا فإذا بالسيد ويلسون يضغط على أحد الأزرار التي أمامه ويفتح باباً كان يغطيه الجدار، وتبعته فإذا بساحة كبرى تضج بالعاملين الذين يجلسون خلف الكومبيوترات، وبعد طواف كل المنطقة أخذها ويلسون إلى ملعب التدريب على القتال، وميدان صغير للرماية لا تسمع فيه أصوات الطلقات، وعجبت كيف أن هذا العالم السري كله تحت أرض بنك في قلب الشارع.

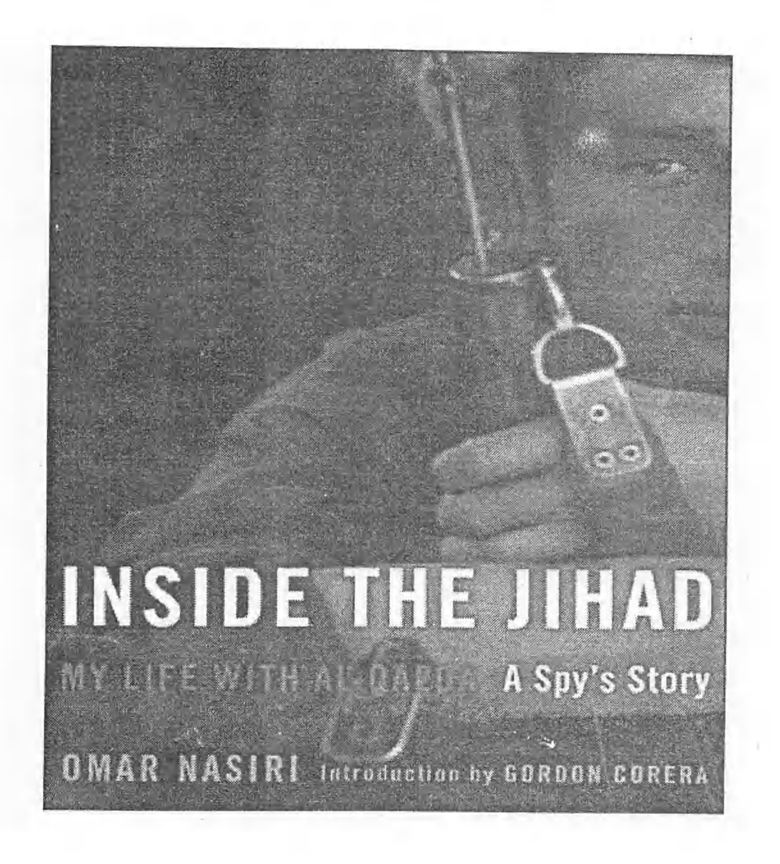
بعد أن قضت سيدني قرابة العام تلقت خلاله التدريب اللازم على القتال وإطلاق النار وتعرضت لاختبارات في قوة الملاحظة، حيث استدعاها ويلسون ذات صباح وأخطرها بأن من هم (فوق) قد اقتنعوا بأنها شخصية نادرة لم تعرف المخابرات مرشحاً مثلها، ومكافأة لها قدم لها مظروفاً فإذا به تذكرة لدخول حفل مطربها المفضل، وفي الصفوف الأمامية، وكانت التذاكر قد نفدت، وطلب منها -خدمة له- أن تقوم بتصوير المطرب راؤول ساندوفال عن قرب لأن ابنته معجبة به مثلها، وبأن التصوير ممنوع فقد منحها سواراً عبارة عن كاميرا سرية فيه ثلاث جواهر، والجوهرة الحمراء منها مفتاح للتصوير لمجرد الضغط عليها.

عند المساء بدأ الحفل ودخلت سيدني في زيها الجلدي الأسود، وعند الكم سوار مرصع، وجلست قبالة المطرب الذي كان معروفاً بحبه للحسناوات، وسرعان ما رآها وألقى إليها بوشاح كان يضعه حول عنقه علامة للإعجاب، والتقطت له أكثر من صورة، واقترب منها رجل مفتول العضلات وهمس في أذنها أن المطرب يود رؤيتها في نهاية الحفل، وأسعدتها الدعوة لأخذ مزيد من الصور لابنة رئيسها عن قرب،

والتقت مطربها المفضل بعد الحفل وجهاً لوجه، وأصر أن ترافقه مع بقية حاشيته إلى سهرة في منزله ولم ترقها الفكرة، وحاولت الاعتذار لكنه رفض اعتذارها، ورمقها حارسه الضخم بنظرات لها معنى، ولاحظت أن سترته تحجب مسدساً، وأنه يومئ لها بما يفيد أن طلبات راؤول أوامر، ورغباته لا يجرؤ أحد على ردها فأحست بالخوف وأحست أن الحلم الذي راودها سنوات لرؤية مطربها المفضل قد بدأ يتحول إلى كابوس، وحين بدأت المجموعة يتقدمها راؤول السير إلى خلف المسرح حيث ينتظر موكب السيارات شعرت برغبة في الهروب، لكن الحارس الضخم اقترب منها وضغط على معصمها، وانطلقا معاً خلف الحاشية وحين أطلق يدها أحست أن شيئاً قد سقط، وافتقدت الجوهرة الخضراء فلم تجدها ضمن السوار، ولم تجد فرصة للبحث عنها، وخشيت أن تحاسب على هذا أوأن يكون في الأمر حرج للسيد ويلسون الذي ائتمنها على جهاز سري للمخابرات، وتبعت المجموعة وهي تبحث عن طريقة للخلاص، واقترب الجميع من بوابة كانت مغلقة وصاح المطرب ينادي حارسه لفتحها، ووجدت سيدني في ذلك فرصة واتجهت نحوأحد الأروقة المتعرجة خلف المسرح وخلعت الحذاء حتى لا تحدث صوتاً حتى إذا بلغت مخرجاً ظنت فيه الخلاص من محنتها سمعت صوت المطرب راؤول يتحدث لآخرين، ولم يكن من الممكن أن تتعداه دون أن يلحظها، وتوارت عن الأنظار وبدأت تنظر فإذا بالمطرب يتحدث إلى رجل بدا أكبر سناً ظنت أنه ربما يكون من المعجبين وخيل إليها أنها تعرف هذا الشخص، والتفت الرجل وواجه الضوء المقابل، وشعرت سيدني بقشعريرة تسري في جسدها فقد عرفته، الرجل هوجوزيف ليفسكي وهونفسه زعيم عصابة (السوق السوداء الدامية) وتذكرت أن هناك ملفاً عن هذه المجموعة التي تضم عملاء ينتمون إلى كوبا وبانتهاء الحرب الباردة سطوا على ترسانة المعسكر الشرقي العسكرية، وباعوا ما سرقوا لمن دفع أكثر، وهم حفنة من الإرهابيين وتجار المال، وتساءلت: لماذا يتحدث إليهم مطرب مثل راؤول؟.

وشعرت لأول مرة بأن وكالة المخابرات المركزية لم تكرمها بتذكرة لحضور حفل ساهر وإنما بعثت بها في أول مهمة سرية، وأيقنت أنها لونجحت فسيكون الحدث قد غير مجرى حياتها، وأخذت مزيداً من الصور وهمت بالنزول فأحدثت حركة لا شعورية، وإذا بها تفاجأ بمطربها المفضل يقف في مواجهتها وجهاً لوجه وبيده مسدس وينظر إليها وهويقول: المعجبة الحسناء.. جاسوسة؟! ولم تمهله وبحركة سريعة أسقطت المسدس من يده وراحت تجري تجاه المسرح وراح يجري خلفها، وهي تحاول تذكر طريق العودة وشعرها يتطاير، وأخيراً رأت مصعد المسرح، واقتربت منه وهمت بفتحه، وإذا بمعبود الجماهير خلفها تماماً وبحثت عن حل وإذا بها ترى كبلاً كهربائياً غليظاً عارياً، واقترب منها وبسرعة أمسكت الكبل المميت من منتصفه وألقت به عليه والشرر يتطاير منه، ومنعه الضوء الشديد المعاكس من الرؤية، وسقط على الأرض وراح يشتعل ناراً، وأيقنت أنها قد قتلت من أحبت، إذ رقد بلا حراك والبخار يتصاعد من جسده مع رائحة الاحتراق. وأحست أنها لتوها قتلت شخصاً لم يكن أمامها خيار، وضغطت على زر المصعد وسمعت الصوت الهيدروليكي وارتفع بها المصعد إلى مطالع الضوء وتنسمت نسمات الحرية، غير أنها ما كادت تسترجع قواها حتى فوجئت برجلين يلوحان لها ببطاقتي المخابرات المركزية (سي.آي.إيه)، وحين سألت عما أعاقهما عن متابعتها رفع أحدهما معصمها وإذا بالسوار- الكاميرا - تجويف ولا أثر للجوهرة الخضراء، وبسقوطها عجزا عن تتبعها، فقد كان لكل جوهرة هدف، وأخذاها إلى ويلسون الذي كان في انتظارها ليهنئها على كشفها أخطر شبكة للإرهابيين وبالصورة، وأحست أنها لم تعد تلك الطالبة الجامعية الساذجة بل سيدني الجاسوسة في وكالة المخابرات المركزية، وتحولت قصتها إلى فيلم ومسلسل تلفزيوني..

١٣ - الجاسوس المزدوج الذي اخترق القاعدة!!



■ كان أسد الله يختبرنا كل يوم احد للتأكد من معلوماتنا، ولم يكن في دروسه مجال للعبث، إذ ان أي واحد منا قد يؤدي الى مقتل المجموعة بأكملها إن ارتكب خطأ ما . . هكذا قال عمر ناصرى الذي روى أيضاً قصته في كتابه الذي يحمل صورته على غلافه أعلاه : داخل الجهاد .. حياتي مع القاعدة .. قصة جاسوس.

١٣ - الجاسوس المزدوج

الذي اخترق القاعدة!!

في عام ٢٠٠٦، برز إلى الوجود فجأة اسم جاسوس جديد لم يتم الكشف عنه من قبل .. وبفحص حالته تبين أنه ليس ككل الجواسيس، ولكنه جاسوس من طراز فريد من نوعه ربما أفرزته الجاسوسية الجديدة في الألفية الثالثة !!

فقد اعترف هذا الجاسوس بأنه عضوسابق في تنظيم " القاعدة " وأنه تعاون بشكل مزدوج مع أجهزة استخبارات فرنسية وبريطانية وألمانية، أثناء وجوده في صفوف أعضاء التنظيم، وأنه تولى كذلك نقل رسائل متبادلة بين قادة " القاعدة " وشيوخ اصوليين مقيمين في أوروبا. وروى جاسوس القاعدة السابق المقيم في ألمانيا قصته مع الإرهاب والمخابرات والجاسوسية في كتاب صدر في شهر ديسمبر عام ٢٠٠٦ في الولايات المتحدة تحت عنوان " داخل الجهاد العالمي.. قصة جاسوس " استخدم فيه اسما مستعارا هوعمر ناصري . وفيه فصل خاص عن " لندنستان "، وآخر حمل اسم " افغانستان " تحدث فيه عن تدريباته في معسكرات بن لادن في خلدن ودارونتا بالقرب من جلال اباد.

يقول جاسوس " القاعدة " اسمي في الحقيقة ليس عمر ناصري، أفراد أسرتي الذين يعيشون في المغرب سيكونون في خطر إن افصحت عن اسمي الحقيقي .

لقد نشأت في المغرب وعشت في أوروبا. وهذه القصة تبدأ عندما أصبح أخي الأكبر، حكيم، منغمساً في الدين وعلمني أن أحذوالسبيل نفسه. لقد عشت أعواماً مع أفراد من القاعدة، على الرغم من أنهم لم يطلقوا على مجموعتهم ذلك الاسم.

لقد اشتريت أسلحة لهم، تم خزنها في منزل أخي بالقرب من بروكسل، ثم أرسلت بحراً إلى أنحاء مختلفة من العالم. كما قمت بتهريب المتفجرات التي تعود إليهم إلى شمال افريقيا، حيث استعملت في الجزائر إبان الحرب الأهلية. كنت أعرف قادتهم البارزين في أوروبا، وقد عاشوا في منزلنا .

وبعد أوروبا ذهبت إلى أفغانستان، حيث أكلت ونمت وأديت الصلاة مع القاعدة في مخيمات التدريب، لمدة عام واحد. ومع القاعدة أصبحت مجاهداً، وتعلمت كيفية استعمال جميع أنواع الأسلحة، من الكلاشينكوف إلى صواريخ ضد الطائرات، تعلمت قيادة الدبابة، وكيف أفجرها. تعلمت كيف أزرع الألغام وكيف أرمي القنبلة لتسبب أكبر ضرر ممكن. تعلمت كيفية القتال في المدن، وأساليب الاغتيالات والخطف. تعلمت كيفية مقاومة التعذيب وتعلمت كيف أقتل بيدي .

ومن النادر الحصول على نظرة من الداخل لكيفية نشوء القاعدة، وجاسوس القاعدة تدرب في معسكرات ابن لادن في جلال اباد قبل ان يدفع مرة اخرى الى لندن. ويقول إنه أمضى سبع سنوات يعمل كعميل لدى الاستخبارات الأوروبية وكأحد نشطاء القاعدة، وأمضى بعض هذا الوقت في بريطانيا.

وتعرض أقوال ناصري صورة فريدة لكيفية تفوق القاعدة تنظيما وتماسكا وعزما في التسعينيات أكثر ما اعتقدته أجهزة الاستخبارات عنها.

وفي كتابه الصادر مؤخراً عن دار نشر (هيرست وشركاه)، يتحدث ناصري عن تجربته وحياته كجاسوس مزدوج يعمل على حافة القانون .

وتبدأ قصة ناصري في منتصف التسعينات في بلجيكا بعد أن انخرط شقيقه مع مجموعة من العناصر الإسلامية الجزائرية.

وقال ناصري إنه رافق القيادي في «القاعدة» ابن الشيخ الليبي قبل أن يعتقله الأميركيون مؤكدا أن ابن الشيخ الليبي خدع الأميركيين بأن الرئيس العراقي

صدام حسين كان يملك أسلحة نووية وأن القاعدة في طريقها لوضع يدها على تلك الأسلحة.

وتابع قائلا : إنه تدرب على استخدام الأسلحة وصنع المتفجرات في أفغانستان وقابل معظم قادة القاعدة وحمل إليهم ومنهم رسائل إلى رموز إسلامية في أوروبا.

وقال ناصري إنه بعد ذلك بدأ يتعاون مع أجهزة الاستخبارات الأوروبية، مشيرا إلى أنه يشعر بالذنب بسبب عمله كجاسوس، لكنه لم يكن لديه من خيار غير ذلك. وتابع قائلا: ربما يعتقد من يقرأ كتابي أني كذاب أوضارب ودع، ولكني لست كذلك ولا فرق بيني وبين أي مسلم.

وكشف في فصل خاص حمل اسم ابوحمزة ان القيادي الاصولي ابوحمزة المصري فقد ذراعيه اثناء التدريب على تركيب متفجرات في افغانستان، وليس اثناء محاولته تركيب لغم، كما يدعي خلال سنوات القتال ضد الروس.

ويحتجز ابوحمزة المصري، الامام الاسبق المثير للجدل لمسجد فنسبري بارك في شمال لندن، بعقوبة السجن سبع سنوات، بعد إدانته بالتحريض على القتل والعنف الطائفي في المسجد الذي كان يخطب فيه.

وروى العميل الجهادي السابق المقيم حاليا في ألمانيا أن (أبوحمزة) كان غير منتبه في حصة دراسية عن تحضير متفجرات نتروجلسرين مما ادى الى فقد ذراعيه واحدى عينيه، وقال ان ابوحمزة المصري الذي التقاه في مسجد فنسبري بارك في شمال لندن «طلب منه اخفاء حقيقة فقد ذراعيه». وكان ابوحمزة يعمل اماماً في مسجد فنسبري بارك في شمال لندن، وهومسجد، تردد عليه عدد ممن اعتقلوا بشبهة الارهاب، مثل زكريا موساوي، المحتجز في الولايات المتحدة بتهمة التورط في قضية هجمات١١ سبتمبر، والبريطاني ريتشارد ريد، الذي يقضي عقوبة سجن في الولايات المتحدة بعد ادانته بمحاولة تفجير طائرة فوق المحيط الاطلسي اواخر عام٢٠٠١ .

ونقل ناصري في كتابه عن أسد الله خبير المتفجرات قوله: " إن احد المتدربين ترك نتروجلسرين تغلي اكثر من اللازم اثناء التحضير المعملي، وبدلا من ان يدفن المتفجرات في حوض ثلج قريب حملها المتدرب بذراعيه الى خارج الغرف مما ادى الى انفجارها فيه . واشار الى ان ابوحمزة طلب منه عدم اذاعة القصة الحقيقية على تلامذته في مسجد فنسبري بارك في شمال لندن.

وأضاف : سمعت ابن الشيخ الليبي قبل ذلك بأشهر يرد على سؤال طرح في نهاية صلاة العشاء في مسجد بمعسكر التدريب، ما هوافضل بلد لممارسة الجهاد؟، موضحا ان ابن الشيخ الليبي رد قائلا : " نحتاج قبل كل شيء الى اعادة بلد مسلم الى عهدتنا والأضعف اليوم هوالعراق.

وفي فصل خاص تحدث ناصري عن أبوخباب خبير متفجرات القاعدة الذي يعرف باسم مدحت مرسي السيد عمر، ٥٢ عاما، الذي قتل في غارة اميركية اثناء اعداده حفل قرانه على زوجة احد المجاهدين التي تبلغ من العمر ٣٠ عاما، يكشف ناصري جاسوس القاعدة أن أبوخباب كان مهندس عملية تفجير السفارة المصرية في اسلام آباد عام ١٩٩٥.

وقال ناصري إن معسكرات القاعدة في درونتا وخلدن ازدحمت بالتكبير وإطلاق النار من بنادق المتدربين لدى تسرب اول خبر عن تفجير السفارة المصرية على لسان مدرب المتفجرات اسد الله.

وقال انه شاهد لاول مرة ابوخباب المصري في معسكر دارونتا، وكان محاطا بحراسه الشخصيين ويرتدي عمامة سوداء وليس باكولا مثل بقية الافغان والعرب في المعسكر. وعرف بعد ذلك أنه اشرف شخصيا على اختيار انتحاريين من معسكر دارونتا لتفجير السفارة المصرية في اسلام آباد .

وأوضح انه عرف بعد ذلك ان ابوخباب صانع قنابل تنظيم القاعدة. وتفيد معلومات أن أبوخباب انضم في منتصف التسعينات إلى تنظيم القاعدة، وأصبح

الرجل الثالث في التنظيم بعد بن لادن والظواهري. واشار الى أن أبوخباب درب ايضا في المعسكر احمد رسام الاصولي الجزائري العضوالمفترض في تنظيم القاعدة، المتهم الرئيسي في تفجيرات الالفية نهاية عام ١٩٩٩، الذي خطط لمحاولة تنفيذ اعتداء بالمتفجرات في مطار لوس انجليس نهاية عام ١٩٩٩.

واشار الى أن أبوخباب درب أيضا البريطاني ريتشارد ريد الذي يقضي عقوبة سجن في الولايات المتحدة بعد ادانته بمحاولة تفجير طائرة فوق المحيط الاطلسي أواخر عام ٢٠٠١، وكذلك درب زكريا موساوي إلخاطف رقم ٢٠، المحتجز في الولايات المتحدة بتهمة التورط في قضية هجمات ١١ سبتمبر.

وفي تلك الأثناء، كان الفرنسيون قد بدأ يتناهى إلى مسامعهم أمر معسكرات التدريب في أفغانستان، وأرادوا من ناصري أن يتحقق من الأمر.

يقول: كانت مهمتي الوصول إلى طريق الجهاد عبر باكستان وأفغانستان دون خيوط، أوأسماء، أوعناوين، أوأي شيء . وعبر سلسلة من الاتصالات وجد طريقه إلى بيشاور، حيث التقى مع أبوزبيدة مدير عمليات القاعدة، المدخل الذي كان لا بد من المرور عليه قبل الولوج إلى معسكرات التدريب، والذي قبض عليه بعد وقت قصير من هجمات ١١ سبتمبر ونقل مؤخرا من سجن سري للاستخبارات الأمريكية إلى غوانتانامو.

وكانت محطته الأولى خلدين، أحد أبرز معسكرات التدريب التابعة للقاعدة. وكان من بين من حضروا التدريب محمد عطا، زعيم المجموعة التي نفذت هجمات سبتمبر، وريتشارد ريد، الذي عرف فيما بعد باسم مفجر الحذاء لمحاولته تفجير طائرة عبر الأطلنطي بمتفجرات أخفاها في حذائه.

ووصف ناصري كيف كان يتم إعداد المتدربين في تلك المعسكرات إعدادا عسكريا شاملا ومكثفا ـ استند في الكثير منه إلى كتيبات التدريب التي تستعين بها القوات الخاصة في بريطانيا والولايات المتحدة، وكان من بين التدريب وسائل الاغتيال

والخطف. كما كان التدريب الديني عنصرا مهماً من التدريب في تلك المعسكرات، إذ كان يستغرق نفس قدر الوقت الذي تستغرقه التدريبات العسكرية، إن لم يكن أكثر.

وذكر ناصري ان المتدربين داخل تلك المعسكرات كانوا يتدربون أيضا على كيفية مقاومة أساليب الاستجواب وتقديم معلومات مضللة. واستشهد ناصري في ذلك بابن شيخ الليبي، أحد معلميه في المعسكرات، حيث قال إنه قدم هونفسه أدلة خادعة عن صلات بين القاعدة والعراق بعد إلقاء الأمريكيين القبض عليه. ومن خالدين أرسل ناصري إلى دارونتا، حيث مدرسة المتخرجين التي كانت تركز على تدريب الأفراد للقيام بعمليات. وهناك، تعلم المتدربون كيفية صنع المتفجرات والمفرقعات بأبسط الوسائل.

وقال إنه شهد تجارب باستخدام أسلحة كيماوية، بما في ذلك استخدام غازات وسموم على الأرانب، باعتبارها أدلة لبرنامج منظم لأسلحة الدمار الشامل في وقت مبكر بكثير عما تناقلته الأخبار بعد ذلك.

وبعد استكمال تدريبه، أرسله أبوزبيدة إلى أوروبا، حيث كلفه بإنشاء خلية نائمة والإبقاء على الاتصال معه. ويقول ناصري «لقد طلب مني العودة.. والبدء في وضع قائمة بكافة الأهداف . وقد تخرج الآلاف ـ وربما عشرات الآلاف ـ من معسكرات تدريب القاعدة في التسعينات وخلف انتشار هذه الأيديولوجية أيضا إرثا دائما بنفس القدر من التشدد والخطورة.

وعن كيفية تدريبه ومداه، كتب يقول: عندما تدربت مع المجاهدين تعلمت بعض الامور الأساسية، وهي كيفية تجهيز قطعة متفجرة باستعمال ساعة أوهاتف خلوي، ولكني مع اسد الله وهومدرب جزائري استعملنا طرق رياضيات معقدة ومحاليل كيمياوية، وكان العمل يتطلب تركيزاً شديداً. وتعلمنا معاً كيفية صنع المتفجرات من مسحوق اسود، ومن متفجرات سيمتيكس، ونيتروغليسرين وغيرها من مواد اولية موجودة في حياتنا اليومية مثل عصير ذرة، اصباغ الشعر، ليمون، اقلام، سكر، قهوة، أملاح، ايبوم، نفثالين، بطاريات، علب كبريت، اصباغ، ومعدات التنظيف والمواد القاصرة والسماد بانواعه والرمل، وحتى اليورين.

كان علينا معرفة ما نفعله غريزياً، ولهذا السبب بدأنا نحفظ عن ظهر قلب، المعادلات لصنع المتفجرات، مرات ومرات، الى الحد الذي اصبحنا قادرين على ترديدها ونحن نائمون. كان اسد الله يختبرنا كل يوم احد للتأكد من معلوماتنا، ولم يكن في دروسه مجال للعبث، إذ ان أي واحد منا قد يؤدي الى مقتل المجموعة باكملها ان ارتكب خطأ ما .

وفي موضع اخر تحدث ناصري عن احمد سعيد خضر ممول القاعدة الذي تردد انه مول عملية تفجير السفارة المصرية في اسلام اباد من التبرعات التي كانت تأتيه من كندا حيث كان يقيم. وقال ان خضر كان احد المقربين شخصيا من أسامة بن لادن. وقتل احمد سعيد خضر الملقب بـ " الكندي " ، في شهر أكتوبر ٢٠٠٣ في منطقة وزيرستان الحدودية بباكستان وكان معه نجله كريم. وقال إنه شاهد شخصيا احمد سعيد خضر يتجه الى داخل معمل للمتفجرات في معسكر خلدن بصحبة ابن الشيخ الليبي المحتجز حاليا لدى الاميركيين. وكان ابن الشيخ وقتها أميرا لمعسكر خلدن.

وفي فصل خاص تحت عنوان " السمكة الكبيرة " يقول ناصري : كان عملي الاول هوالعثور على الاعضاء المنفيين من " الجماعة الاسلامية المسلحة " الذين شاركوا في الحرب الاهلية الجزائرية خارج الجامع في ريجينت بارك. وكنت أشتري صحيفة " الأنصار " ، التي نشرت مرة دعوة لقرائها لحضور مؤتمر للاستماع الى الشيخ ابوقتادة، وهوالاصولي الفلسطيني عمر محمود عثمان ابوعمر المحتجز حاليا في بريطانيا بزعم خطورته على الامن القومي البريطاني وفي ذلك الحين، لم اكن قد سمعت به. وكنت أعتقد أنه ذوصلة بالجيش الاسلامي. تبين أن ابوقتادة رجل في الثلاثينيات من عمره، منتفخ البطن، كان يرتدي ملابس كالأفغان، مع أنه لم يكن واحداً منهم كانت ملابسه عبارة عن إعلان سياسي .

ويضيف: "كانت لأبوقتادة هالة مميزة وعلى درجة كبيرة من الذكاء. وعندما استمعت اليه فيما بعد في مكان يدعى " الريشات الاربع " في مركز للشباب بالقرب من ريجينت بارك، الذي يتحول الى مسجد كل يوم جمعة، عاد ذهني الى الوراء.

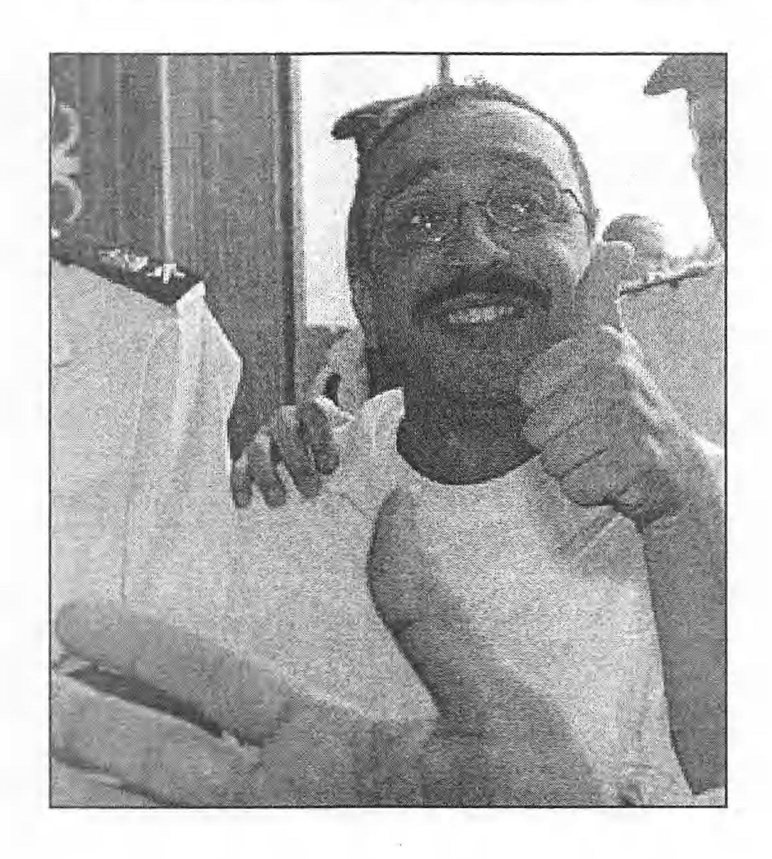
كان يتحدث بنفس اللغة المميزة لتلك التي كنت قد سمعتها في المخيمات وقال وظل يكرر مرات ان حياة المجاهد هي الدافع الاسمى لأي مسلم، وان الجهاد ذروة سنام الاسلام. وعدت الى " الريشات الاربع " مراراً كان واضحاً ان عدداً من المتطرفين هناك. لقد انتبهت الى كافة العلامات: الطريقة التي كان فيها اولئك الرجال يحركون شفاههم في صلاة صامتة، الطريقة التي يسددون اعينهم بها نحوالارض، أمامهم، الطريقة التي يرتدون دائماً بها سراويلهم التي تنتهي عند كاحل القدمين والطريقة التي يسير بها بعضهم. كانت الخطوة الخفيفة نفسها، التي رأيتها وتعلمتها في المخيمات. لاحظت الاصوات الهادئة الخفيضة، والاعين الصلبة الهادئة والحلقات السود تحتها ".

وفي موقع اخر يقول: " عندما ودعت أبوزبيدة مدير عمليات القاعدة، في منزله الامن في بيشاور، المدينة التي تقع عند حدود باكستان، أعطاني رقمي هاتفيه الجوالين، وأيضاً رقم حسابه المصري وتردد الراديو. وكان عليّ أن ابقى على اتصال به وان أبعث النقود حالما أحصل على عمل ".

وفي موضع اخر يقول: يوم من الايام اعطاني ضابط المخابرات دانييل هاتفاً خلوياً قال لي لا تفقد هذا انا اعني ذلك، عليك ان تكون حريصاً عليه ولا تدعه في أي مكان كن متأكداً من انك تحمله معك في جميع الاوقات. حسناً؟ إن اصابه عطب ما اجلبه اليّ. لا تذهب به الى محل للالكترونيات اوما شابه ذلك.

وقد تأثر كل من ضابطي الاستخبارات دانييل وجبليز، عندما استخدمت الهاتف في الاتصال بابوزبيدة، ولكنهما صدما عندها قلت لهما اني في حاجة الى نقود كي ارسلها اليه، فسألني دانييل: ما الذي تقصد؟. وشرحت كيف انه من المتوقع ان ابعث بالنقود لمساعدتهم، وكان ذلك سبباً من الاسباب التي دفعتهم لارسالي الى اوروبا، فقال دانييل: لا يمكن ان نبعث نقوداً الى اولئك الاشخاص، انه امر غير قانوني. وكان جيليز يحرك رأسه موافقاً.

١٤ - الجاسوس النووي سيد صابر!!



■ وحكمت المحكمة بالسجن المؤبد على المهندس النووي المصري وعميليْ الموساد الأيرلندي والياباني، وطالبت بالتحقيق مع مسؤولي هيئة الطاقة الذرية لإهمالهم في الحفاظ على سرية وسلامة الأوراق الرسمية !!

١٤ - الجاسوس النووي سيد صابر !!

في شهر أبريل من عام ٢٠٠٧، واصل جهاز المخابرات العامة المصرية بنجاح منقطع النظير ضرباته الإجهاضية لمخططات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي " الموساد " مؤكداً تفوقه التاريخي عليه، بكشفه عن واحدة من اخطر قضايا التجسس الإسرائيلية ضد المصالح القومية المصرية !!

بطل القضية مهندس مصري بهيئة الطاقة الذرية متهم مع أيرلندي وياباني هاربين تخابروا لمصلحة إسرائيل بمحاولة اختراق أنظمة الحاسب الآلي لهيئة الطاقة النووية التابعة لوزارة الكهرباء والطاقة والعمل على إتاحة إسرائيل الاطلاع على المعلومات الخاصة بنشاط الهيئة وإمدادها بمعلومات وأوراق سرية تحوي أنشطة هيئة الطاقة الذرية والمفاعلات النووية التي تشرف عليها.

وقد حظيت القضية الجديدة بالأهمية لأنها جاءت بعد إعلان مصر في سبتمبر عام ٢٠٠٦ أنها تدرس استئناف برنامجها النووي البحثي الذي توقف عام ١٩٨٦ بعد كارثة تشيرنوبل، وجاء ذلك من خلال تصريحات للرئيس حسني مبارك ونجله رئيس لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم جمال مبارك أكدا خلالها ضرورة توفير موارد جديدة للطاقة لتطوير برنامج نووي سلمي .

الجاسوس المصري يدعى محمد سيد صابر (٣٥ عاما) مهندس بهيئة الطاقة الذرية، حيث دلت المعلومات على أنه خلال الفترة من فبراير عام ٢٠٠٦ إلى فبراير ٢٠٠٧ تخابر مع من يعملون لحساب دولة أجنبية بقصد الإضرار بالمصالح القومية للبلاد، واتفق مع المتهمين الايرلندي والياباني على التعاون معهما لمصلحة الموساد "الإسرائيلي" لاختراق أنظمة الحاسب الآلي لهيئة المواد الذرية التابعة لوزارة

الكهرباء المصرية وأن المتهم حصل على ١٧ ألف دولار وجهاز حاسب آلي محمول (لاب توب) مقابل تعاونه مع الموساد"الإسرائيلي" وإمداده بأوراق سرية خاصة بهيئة الطاقة الذرية واختراق أنظمة الحاسب الآلي الخاص بالهيئة !

وأعلن المستشار "هشام بدوي" رئيس نيابة أمن الدولة العليا المصرية في السابع عشر من ابريل عام ٢٠٠٧ أن الجاسوس المصري "محمد سيد صابر على" الذى تم القبض عليه قام بسرقة تقارير "مهمة للغاية"من مقر عمله بهيئة الطاقة الذرية وسلمها إلى المخابرات الإسرائيلية مقابل المال.

ثم بدأت محاكمة المهندس المصري محمد سيد صابر البالغ من العمر ٣٥ عاما بتهمة تزويد جهاز المخابرات الاسرائيلي "الموساد " بمعلومات عن "النشاطات المختلفة" لهيئة الطاقة الذرية المصرية.

وقالت السلطات المصرية إن صابر قد اعترف بفعلته، وإنها قد نجحت في كشف خلية تجسسية تعمل لحساب اسرائيل تضم في صفوفها المهندس المصري اضافة الى اجنبيين ايرلندي وياباني لم تتمكن من القاء القبض عليهما.

وقد اعترف صابر، المتهم بالتجسس النووي لصالح الكيان الصهيونى، خلال تحقيقات أجرتها نيابة أمن الدولة العليا معه، أن عميلى الموساد الصهيونى اللذين توليا تجنيده سألاه عن قدرة جسم السد العالي فى مصر على تحمل ضربة نووية من الكيان الصهيونى .

قال صابر في التحقيقات إن عميلي الموساد اللذين توليا عملية تجنيده وتشغيله، طلبا منه معلومات حول بنية السد العالي، الذي يحمي مصر من الغرق وقت فيضان النيل، ومدى قدرته علي تحمل ضربة نووية تكتيكية، إلى جانب التحري حول وجود أي أبعاد استراتيجية لمشروع توشكي، تجعله يساهم في تقليل خسائر توجيه ضربة مدمرة للسد العالي بصاروخ نووي.

أضاف المتهم في اعترافاته التفصيلية أن الموساد أراد زرعه في هيئة المواد النووية، بالتحديد، للتعرف على إمكانات مصر وقدراتها في هذا الشأن، ومدى قدرتها على تخصيب اليورانيوم، وذكر أن عميلي الموساد رفضا طلبه بقطع إجازته، والعودة للعمل في هيئة الطاقة الذرية، وقالا له : نريدك في هيئة المواد النووية، أما هيئة الطاقة الذرية فلنا فيها أصدقاء يساعدوننا، ولا نريد فيها عملاء جددا !

وقد شهدت جلسات المحاكمة مفاجآت خطيرة حيث اعترف المتهم امام هيئة المحكمة بأنه يحب دولة اسرائيل ويكن للشعب الاسرائيلي كل احترام وانه لا يحمل أي ضغينة للشعب الاسرائيلي .

وأكد المهندس النووي انه لم يخطر بباله أنه سوف يكون تجنيده بغرض تجسس مخابراتي بل تجسس صناعي وانه سوف يوافق بالتجسس الصناعي وهذا ما ارتضاه لنفسه، اصيب الحاضرون داخل قاعة المحكمة بالصدمة عقب اعترافات المتهم ووقعت عليهم كالصاعقة.. عندما اكد انه يفتخر بعلاقاته مع اسرائيل لأنها دولة متحضرة وتحترم عقول العلماء.وقد تحولت محاكمة المتهم إلي جلسة استجواب استمرت ثلاث ساعات متواصلة.. وسط ذهول الحاضرين وذلك عندما أمر رئيس المحكمة المتهم بالخروج من قفص الاتهام والاستماع إلي أقواله وقصته حول الاتهامات الموجهة إليه.

وطرحت المحكمة العديد من الاسئلة علي المتهم الجاسوس والخاصة برأيه في دولة اسرائيل والقضية الفلسطينية ونشأة دولة اسرائيل وعن اسباب تعاونه مع ضابطي الموساد براين بيتر ايرلندي الجنسية وشيروايزويباني الجنسية وهما المتهمان الثاني والثالث في القضية.وكذلك عن طبيعة وظيفته وسبب لجوئه للسفارة الاسرائيلية في مصر.

وأوضح المتهم في اعترافاته امام المحكمة انه يجب الاستفادة من كفاءة وخبرات الإسرائيليين وان نتعامل معهم تكنولوجيا وعلميا. واشار إلي اننا في حالة تطبيع مع

دولة اسرائيل ولا يوجد مشاكل بيننا وبينهم سوي المشكلة الفلسطينية وهي مشكلة قديمة منذ عام ٤٨ ولا يجب ان نلتفت إليها اوتعكر العلاقات بين مصر واسرائيل.

وقال إن اسرائيل ليس لها علاقة بالسياسة وانما بالكفاءة وهي تفتخر بالكفاءات العلمية وهي تسبقنا في المجال النووي والقاعدة التكنولوجية بالإضافة إلي ان جامعاتها مصنفة دوليا وبها ٤ جامعات أما الوطن العربي فليس له جامعة واحدة مصنفة دوليا. وأضاف المتهم ان معرفته باسرائيل ونشأتها استقاها من وسائل الاعلام والكتب التاريخية .

وفجر المتهم الجاسوس مفاجأة خطيرة عندما أكد ان ضابطي الموساد طلبا منه معلومات سرية عن المناقصات الخاصة بمواد الطاقة النووية لتخصيب اليورانيوم، بالإضافة إلي معلومات عن امكانيات السد العالي ومدي قدرته وتحمله للقنبلة النووية في حالة ضربه اوالهجوم عليه بالسلاح النووي.

واعترف المتهم انه منحهما بالفعل بعض المعلومات وهي عبارة عن اوراق ومستندات قديمة صادرة منذ ١٥ عاما عن تصنيع مواد الوقود النووي في مصر بدلا من استيراده من الخارج.ادعي المتهم ان المعلومات التي سلمها للموساد سقطت عنها صفة السرية وانها معروفة لدي الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

كما اعترف المهندس الجاسوس ان ضابطي الموساد طلبا منه معلومات دقيقة عن حجم الكارثة في حالة ضرب السد العالي وعن مدي تلوث المواد الاشعاعية والمناطق التي ستصل لها يقصد " إسرائيل " وسرعتها ومدي التحكم فيها .

ثم تحدث المتهم عن المفاعل النووي بأنشاص مشيرا إلي أن جميع المعلومات الخاصة بالمفاعل مدرجة علي الموقع الخاص بهيئة الطاقة الدولية، ولا تمثل أي ضرر في حالة حصول المتهمين الثاني والثالث وهما ضابطا الموساد عليها.

كما أشار المتهم إلي أنه طلب منه امداد الموساد الاسرائيلي عن اسماء القائمين علي المؤسسة النووية وهيئة الطاقة الذرية .

وقال المتهم إن هذه الاسماء ليست شخصيات عسكرية وانما هي شخصيات عامة ومعروفة.

وأكد الجاسوس ان الموساد يسعي إلي معرفة مدي قدرة مصر علي امتلاك سلاح نووي ولهذا السبب طلبوا منه معلومات عن تخصيب اليورانيوم في مصر.

وأشار صابر امام المحكمة إلي انه رد علي ضابطي الموساد بخصوص قدرة مصر علي امتلاك سلاح نووي بأن مصر لا تنوي امتلاك سلاح نووي لتوقيعها علي المعاهدة الدولية وتأكيدها علي خلومنطقة الشرق الاوسط من اسلحة الدمار الشامل .

وأضاف المتهم ردا علي اسئلة هيئة المحكمة ان المعلومات والمستندات التي قدمها للموساد عبارة عن معلومات أكاديمية وليست سرية وانه كان يطلع عليها باعتباره مهندسا نوويا مكلفا بعمل نماذج للمفاعلات النووية، وان هناك نسخة مطبوعة من هذه التقارير موجودة في مكتبة الامان النووي بهيئة الطاقة الذرية مصرح لأي مهندس بالإطلاع عليها ونسخة الكترونية اخري كان يحتفظ بها في منزله .

وكان صابر قد حصل على بكالوريوس في الهندسة النووية من جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٤، ثم عين مهندسا بهيئة الطاقة النووية المصرية عام ١٩٩٧.

كان صابر مهتما بإرسال سيرته الذاتية عبر الإنترنت للحصول على وظيفة مناسبة، كما كان يتردد على سفارة الكيان الصهيوني بالقاهرة منذ عام ١٩٩٩ للحصول على منحة دراسية داخل الكيان.

وتلقى صابر اتصالا هاتفيا من "برايم بيتر" الأيرلندي الجنسية حيث طلب منه أن يقابله في "هونج كونج"، وهناك التقى المتهم الياباني الثالث "شيروأيزو"، والذي اشترك مع المتهم الإيرلندي في تجنيد "محمد صابر" للعمل لصالح الكيان الصهيوني.

وتسلم محمد صابر من مجنديه جهاز كمبيوتر مشفرا، استخدمه في محاولة نقل تقارير سرية عن وكالة الطاقة النووية في مصر، مقابل حصوله على ١٧ ألف دولار أمريكي.

وفي الخامس والعشرين من شهر يونيوعام ٢٠٠٧، أسدلت محكمة أمن الدولة العليا طوارئ بمصر، الستار على قضية التخابر على البرنامج النووي المصري، حيث قضت بالسجن المؤبد على المتهمين الثلاثة في القضية، المصري محمد سيد صابر، وعميليّ المخابرات الإسرائيلية" الموساد " الهاربين، براين بيتر (إيرلندي) وشيراتوايزرو(ياباني).

كما قررت تغريم محمد سيد صابر وبرايم بيتر مبلغ ١٧ ألف دولار تمثل قيمة المبالغ التي أعطاها بيتر لسيد صابر مقابل المعلومات التي أعطاها له عن جهة عمله.

وطلبت المحكمة بالتحقيق مع المسؤولين المختصين بهيئة الطاقة الذرية لإهمالهم في الحفاظ على مستندات وأوراق رسمية.

ولم يعلق الجاسوس على الحكم، فيما تعرض عدد من أفراد أسرته للانهيار النفسي عقب سماعهم للحكم، الذي يعد وفقا لقانون الطوارئ غير قابل للاستئناف.

وكان صابر قد أقر أمام محكمة أمن الدولة في شهر مايوقبل النطق بالحكم بشهر بأنه قدم للموساد معلومات حول الأنشطة المختلفة لهيئة الطاقة الذرية التي يعمل بها. كما اعترف بأنه قابل الأجنبيين عدة مرات لكنه أبلغ السلطات المصرية لاحقا بما دار في تلك المقابلات.

إلا أن المتهم أكد أنه كان يتصرف بالتنسيق مع أجهزة الأمن المصرية وأنه لم يقدم للمخابرات الإسرائيلية سوى معلومات غير سرية.

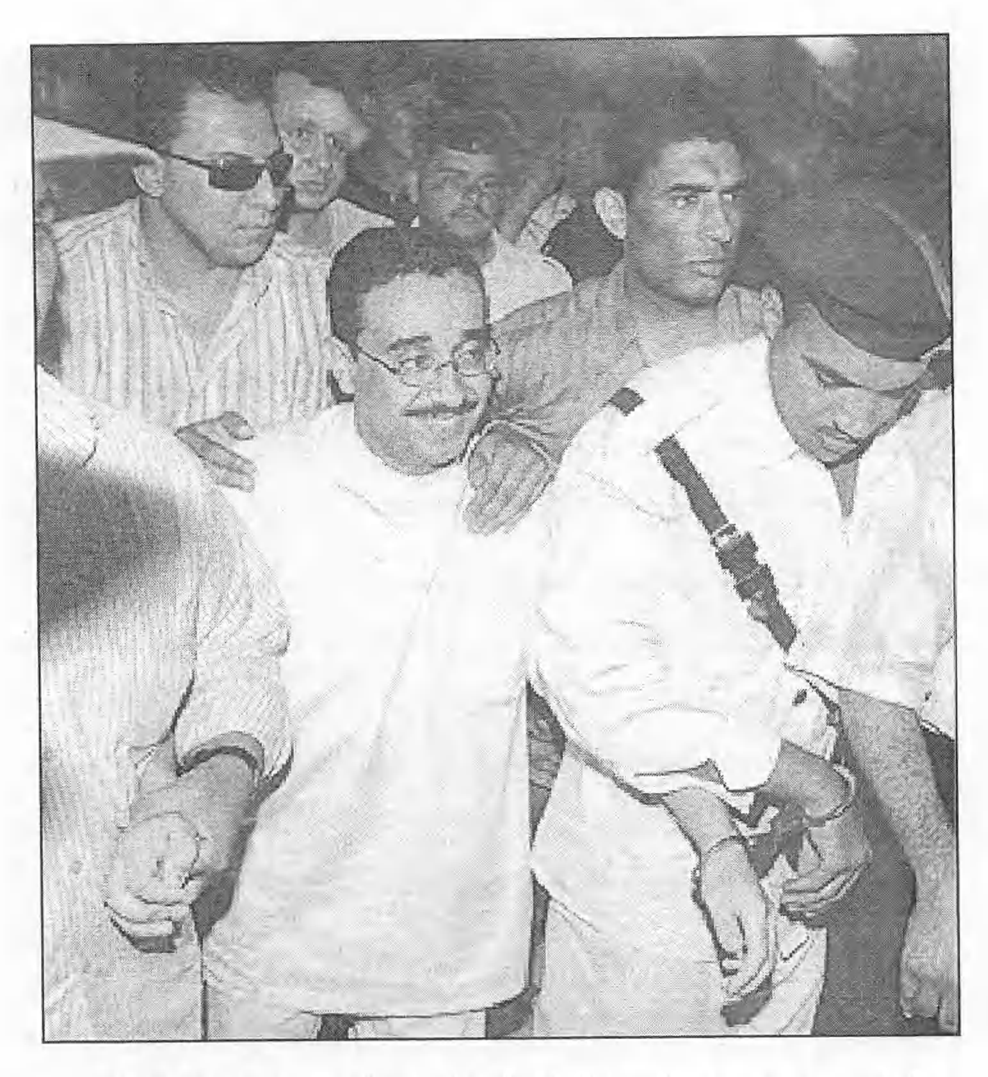
واعترف الجاسوس محمد سيد صابر المهندس بهيئة الطاقة الذرية أمام محكمة أمن الدولة العليا طوارئ، بحبه لإسرائيل وأنه امد الموساد بمعلومات عن المناقصات الخاصة بمواد الطاقة النووية لتخصيب اليورانيوم. كما اعترف بانه امد ضابطي الموساد بتحليل عن مدي قدرة تحمل السد العالي في حالة ضربه بالسلاح النووي.

وقررت المحكمة تأجيل القضية لسماع شهادة الدكتور احمد بهاء الدين مسؤول الأمن القومي بالسفارة المصرية في السعودية. كما أمرت المحكمة باستدعاء المهندس علي إسلام رئيس هيئة الطاقة الذرية لسماع أقواله وكذلك الاستفسار من سفارة كندا إذا كان صابر الجاسوس المصري قدم أوراقه للهجرة إليها.

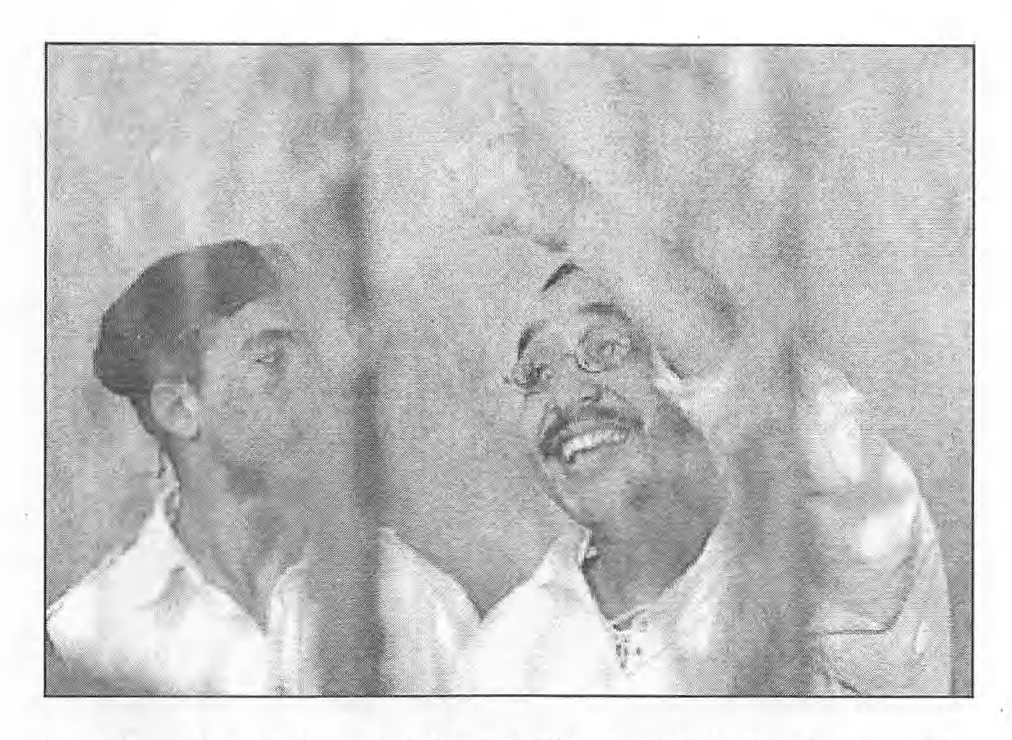
وفجر المتهم المصري بالتجسس النووي مفاجآت جديدة، في تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا معه، وأدلى باعترافات خطيرة كشف فيها عن سؤال الجواسيس "الإسرائيليين" له عن قدرة جسم السد العالي، الذي يحمي مصر من الغرق وقت فيضان النيل على تحمل ضربة نووية، وعن طبيعة المشاريع النووية المصرية.

وقال صابر في التحقيقات إن عميلي الموساد "الإسرائيلي" اللذين توليا عملية تجنيده وتشغيله، طلبا منه معلومات حول بنية السد العالي، ومدى قدرته علي تحمل ضربة نووية تكتيكية، إلى جانب التحري حول وجود أي أبعاد إستراتيجية لمشروع توشكي، تجعله يساهم في تقليل خسائر توجيه ضربة مدمرة للسد العالي بصاروخ نووي.وأضاف المتهم في اعترافاته التفصيلية إن الموساد أراد زرعه في هيئة المواد النووية، بالتحديد، للتعرف على إمكانات مصر وقدراتها في هذا الشأن، ومدى قدرتها على تخصيب اليورانيوم .

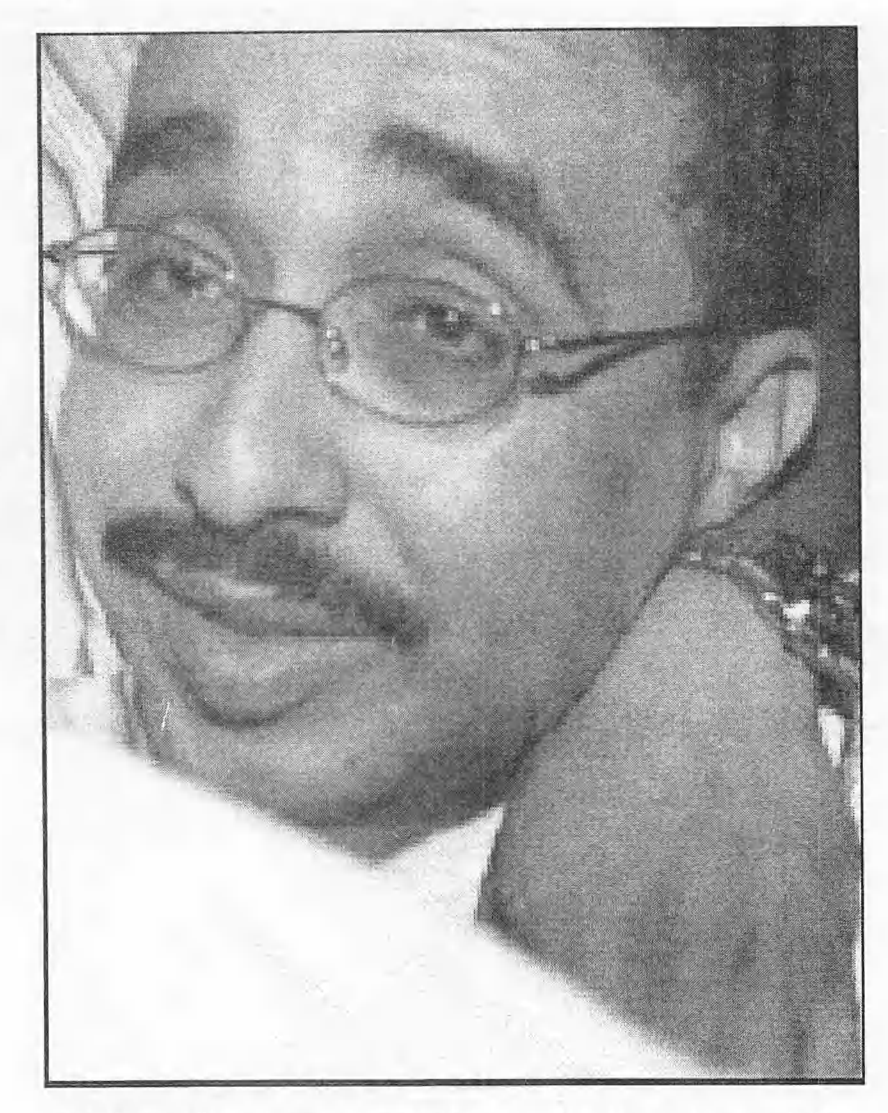
كما ذكر أيضاً أن عميلي الموساد رفضا طلبه بقطع إجازته، والعودة للعمل في هيئة الطاقة الذرية " .



الجاسوس محمد سيد صابر يدخل قاعة محاكمته و قد رسم ابتسامة مفتعلة على وجهه و كأنه لا يشعر بفداحة ما ارتكبه من جرم في حق بلاده !!



جاسوس الموساد في المحكمة يلوح بعلامة النصر التي أغضب بها كال من تابع محاكمته !!



الجاسوس محمد سيد صابر .. صدمة و ذهول .. لم يكن يتوقع سقوطه !!

١٥ - جواسيس تنظيم القاعدة سرقوا شفرات الرئاسة !!



■ وفي نظر جيمس وولسي، مدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق، فان هذه الشفرات قد يكون حصل عليها جواسيس مندسون . وتذهب فرضية ثالثة إلى القول بأن الأجهزة السرية إما مخترقة، وإما انخدعت بمعلومات غير صحيحة . ذلك أنه لم يكن أبدا بامكان المهاجمين الحصول على هذه الشفرات، ولكنهم بفضل تواطؤ جهات معينة قد يكونوا نجحوا في الحصول عليها !!

١٥- جواسيس تنظيم القاعدة

سرقوا شفرات الرئاسة !!

في حوالي الساعة العاشرة يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١، أصدر الجهاز السري جهاز حماية الشخصيات الكبرى إنذارا من نوع جديد: البيت الأبيض والطائرة الرئاسية مهددان. وقد نقل نائب الرئيس تشيني إلى المركز الرئاسي للعمليات المستعجلة، وتقع غرفة القيادة تحت الأرض، في الجناح الغربي للبيت الأبيض. وبدأ العمل بمخطط استمرارية الحكومة، وبشكل سري، نقلت القيادات السياسية البارزة في البلاد – أعضاء الحكومة ومجلس الشيوخ – إلى أماكن آمنة .

وقد نقلتهم مروحيات تابعة للبحرية إلى مخابئ ضخمة مضادة للإشاعات الذرية: موقع هاي بوينت سبيشلي فاسيليتي في ماونت ويدر بولاية فرجينيا وموقع ألترنايت جوينت كومينيكايشن سنت، المعرف بموقع (R)، في رافن روك ماونت قرب كامب ديفيد. وكل هذه المواقع عبارة عن مدن حقيقية تحت الأرض، وهي من بقايا الحرب الباردة، وصممت لاحتضان آلاف الأشخاص.

وغير جورج بوش، الذي كان في طريقه إلى واشنطن، وجهته، حيث اتجهت الطائرة الرئاسية (في بداية الأمر، إلى قاعدة باركسديل (لويزيانا)، ثم إلى قاعدة أوفوت (نبراسكا)، حيث مقر القيادة الأمريكية الاستراتيجية، أي المكان المحوري الذي توجد به قوة الردع النووية. وفي ما بين القاعدتين تحركت الطائرة على علومنخفض في اتجاهات متعرجة. وكان الرئيس، بعد الهبوط في القاعدتين، يجتاز مدرج الطائرات على متن سيارات مدرعة خشية التعرض لنيران القناصة.

ولم تنته إجراءات حماية الشخصيات السامية هذه، إلا بعد الساعة السادسة بعد الظهر، عندما استقل جورج بوش، من جديد الطائرة الرئاسية للعودة إلى واشنطن. وقد تحدث نائب الرئيس، ديك تشيني، الذي كان ضيفا على تيم روسيت في برنامج "ميت ذوبرس" – لقاء الصحافة – الذي بثته قناة ان بي سي يوم ١٢ سبتمبر، عن الإنذار الذي أصدره الجهاز السري وكذلك عن طبيعة التهديد.

وحسب تصريحه، فقد أخبر نائب الرئيس، بشكل مفاجئ، من طرف ضباط الأمن التابعين له، بان خطرا كان محدقا به، فتم نقله بالقوة إلى المخبأ المحصن التابع للبيت الأبيض، لأن طائرة البوينغ المختطفة التي اتضح أنها الرحلة ٧٧، تحوم فوق واشنطن. وعندما لم تتضح لها العلامات الدالة على البيت الأبيض، توجهت لترتطم بالبنتاغون. وبينما كان إجلاء الشخصيات الحكومية والبرلمانية جاريا، أخبر الجهاز السري بأن الطائرة تواجه تهديدا آخر، فهناك طائرة جديدة مختطفة تهدد بالاصطدام، في الجوبالطائرة الرئاسية.

ان شهادة نائب الرئيس ترمي إلى تحديد مصدر التهديد: طائرات انتحارية كانت في طريقها نحوالبيت الأبيض، ونحوالطائرة الرئاسية. انه يعيد الكذبة التي افتضح أمرها، كذبة الرحلة ٧٧ التي تحطمت فوق البنتاجون. بل يزيد على ذلك، بتخيل طائرة انتحارية تحوم حول واشنطن بحثا عن هدف. لكنه يصعب، مع ذلك، على المرء ان يصدق أن الجهاز السري، الذي، بدل تشغيل الدفاع الجوي المضاد، راح يفكر في إجلاء نائب الرئيس نحوالمخبأ المحصن. والمضحك حقا، هوان تشيني اخترع طائرة ركاب جديدة تطارد الطائرة الرئاسية، كما يفعل الفارس في أفلام الغرب الأمريكي "ويسترن"، وتريد الاصطدام بها أمام أنظار القوات الجوية الأمريكية التي لا تحرك ساكنا.

وبالرغم من هذه الاحتمالات، فان هذه الملهاة لا تكفي لتفسير السلوكات. فإذا كان التهديد ينحصر في طائرات انتحارية، فلماذا نحمي الرئيس من احتمال

إطلاق نار من طرف قناصة حتى ولوفوق مدرج الطائرات بالقاعدتين العسكريتين الاستراتيجيتين؟ كيف نصدق أن الإسلاميين تموقعوا حتى في الأماكن التي شددت حولها إجراءات الحراسة. ان شهادة ديك تشيني تستهدف، على وجه الخصوص، محوتصريحات المتحدث باسم البيت الأبيض، آري فلايشر، وتصريحات السكرتير العام للبيت الأبيض كارل روف :لقد كانت المعلومات التي يدلون بها، تقود إلى التساؤل حول فرضيات داخلية محتملة، في الوقت الذي لا تريد فيه الدعاية الحربية أن ترى سوى الأعداء الخارجيين.

تكشف الصحف الأمريكية الصادرة يومي ١٢ و١٣ سبتمبر٢٠٠١، استنادا إلى المتحدث باسم الرئاسة الأمريكية آري فلايشر، علن أن الجهاز السري قد يكون استقبل مكالمة من المهاجمين تشير إلى أنهم يعتزمون تدمير البيت الأبيض والطائرة الرئاسية.

الغريب وحسبما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز، هوانه يحتمل أن يكون المهاجمون، قد استعملوا لجعل مكالمتهم جديرة بالتصديق، شفرات تحديد الهوية، وإرسال الإشارات التي في حوزة الرئاسة . والغريب أيضا، ما ذكرته صحيفة " وورلد نت دايلي "، التي قالت- استنادا إلى مصادر رسمية مخابراتية - أن المهاجمين ربما كان يتوفر أيضا لديهم، على شفرات إدارة مراقبة العقاقير والمواد المخدرة، ومكتب الاستطلاع القومي، والمخابرات التابعة للقوات الجوية، والمخابرات العسكرية، والمخابرات البحرية، مخابرات مشاة البحرية، وأجهزة الاستخبارات التابعة لوزارة الخارجية ووزارة الطاقة. وكل شفرة من هذه الشفرات لا توجد إلا في حوزة مجموعة محدودة جدا من الأشخاص. ولا يسمح لأحد بأن يتوفر على أكثر من شفرة. وإذا سلمنا بأن المهاجمين كانوا يتصنتون على هذه الشفرات، فذلك يعني إما أن هنالك وسيلة لاختراقها، وإما أن هناك جواسيس في حالة كمون مندسين في كل أجهزة الاستخبارات هذه. تقنيا، يبدوممكنا إعادة تركيب شفرات الوكالات الأمريكية، عبر البرنامج المعلوماتي الذي استعمل في تصميمها، والمعروف باسم بروميس Promis، علما بأن الحسابات التي ركب منها هذا البرنامج المعلوماتي، كانت قد سرقت، على

ما يبدو، من طرف العميل السري روبيرت هانسن التابع لمكتب التحقيقات الفدرالي، الذي ألقي عليه القبض بتهمة التجسس في فبراير ٢٠٠١.

وفي نظر جيمس وولسي، مدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق، فان هذه الشفرات قد يكون حصل عليها جواسيس مندسون . وتذهب فرضية ثالثة إلى القول بأن الأجهزة السرية إما مخترقة، وإما انخدعت بمعلومات غير صحيحة. ذلك أنه لم يكن أبدا بامكان المهاجمين الحصول على هذه الشفرات، ولكنهم – بفضل تواطؤ جهات معينة – قد يكونوا نجحوا في الدفع إلى الاعتقاد بذلك.

وكيفما كان الأمر، فان مسألة الشفرات تكشف عن وجود خائن، أوأكثر، في أعلى مستويات جهاز الدولة الأمريكية . فهم الذين بامكانهم وضع قناصة لقتل الرئيس حتى في داخل القواعد الاستراتيجية للقوات الجوية الأمريكية. ومن أجل الاحتماء من الكمائن التي يحتمل أنها نصبت، استعمل الرئيس سيارات مصفحة لعبور مدرج المطار في باركسديل وأوفوت.

وهناك جانب آخر لهذه القضية، فإذا كان المهاجمون أجروا اتصالا مع الجهاز السري واستعملوا شفرات سرية لتأكيد صدق مكالمتهم، فذلك لهدف محدد . فإما أن تكون رسالتهم متضمنة لمطلب، وإما لإنذار.

ومن ثم، وإذا تم التسليم بأن التهديد قد زال في نهاية اليوم، فان بإمكان البعض أن يصل إلى اعتقاد قوي مفاده أن الرئيس بوش قد فاوض وخضع لنوع من الابتزاز.

كما يمكن الاعتقاد بأنه كان بامكان المهاجمين، وهم يتوفرون على شفرات التصديق وارسال الإشارات المستعملة في البيت الأبيض والطائرة الرئاسية، أن ينتحلوا صفة الرئيس . كان بوسعهم أيضا، إصدار تعليمات لمختلف القوات، بما في ذلك إطلاق النظام النووي. وكان السبيل الوحيد الذي يسمح لجورج بوش في الاستمرار بالتحكم في القوات، هوالتواجد شخصيا في مقر القيادة الاستراتيجية

الأمريكية في أوفوت، وأن يصدر شخصيا من هناك، أمر وأمر مضاد. لذلك توجه إلى عين المكان شخصيا. واتضح أن مساره المباشر كان من قبيل المستحيل، لأن الطائرة الرئاسية التي لم تصمم للتحليق على ارتفاع منخفض استهلكت احتياطي الوقود فيها، ولا يمكن تزويدها به خلال الطيران دون تعريضها للخطر. لذلك توقف في باركسديل وهومن المواقع الخمس البديلة لأوفوت.

وليست مسألة الشفرات هي العنصر الوحيد الذي اختفى من الرواية الرسمية. فهناك واقعة أخرى، تم التحقق منها قانونيا، تم إهمالها. ففي يوم ١١ سبتمبر، على الساعة التاسعة واثنتين وأربعين دقيقة، بثت قناة أي بي سي، مباشرة صورا لحريق في المبنى الملحق بالبيت الأبيض المعروف، واكتفت القناة بإظهار مشهد ثابت تبدوفيه أعمدة الدخان تتصاعد من المبنى. ولم يتسرب أي خبر عن أسباب الحادث ولا عن حجمه الحقيقي. ولم يتجرأ أحد على نسب الحريق إلى طائرة انتحارية.

وبعد ذلك بربع ساعة، نقل الجهاز السري ديك تشيني من مكتبه، وأمر بإخلاء البيت الأبيض والبناية الملحقة به. وانتشر فريق من أمهر القناصة في محيط المنزل الرئاسي مجهزين بقاذفات للروكيت، وبامكانهم صد هجوم عبر جيش محمول جوا. وباختصار كان يتعين مواجهة تهديد من طبيعة مختلفة عن تلك التي وصفها ديك تشيني في وقت لاحق.

لنقرأ من جديد نص تدخل الرئيس بوش، الذي سجل في باركسديل وأجل البنتاغون بثه إلى الساعة الواحدة وأربع دقائق بعد الظهر وقد بدت عليه علامات الانهيار والبكاء: "أود أن أطمئن الشعب الأمريكي، بأن موظفي الحكومة الفدرالية يعملون على مساعدة السلطات المحلية، بغرض إنقاذ أرواح بشرية ومساعدة ضحايا هذه الهجمات. وكونوا على يقين من أن الولايات المتحدة ستطارد مدبري هذه الأعمال الجبانة. وإنني على اتصال دائم بوزير الدفاع، وبفريق الأمن القومي، ومع حكومتي. وقد اتخذنا جميع الاحتياطات الأمنية اللازمة، لحماية الشعب الأمريكي.

وتوجد جيوشنا، داخل الولايات المتحدة وفي أنحاء العالم، في حالة استنفار قصوى، وأخذنا جميع الاحتياطات الأمنية الضرورية لسير العمل في أجهزة الدولة.

وقد أجرينا اتصالا مع رؤساء الفرق في الكونجرس، ومع قادة العالم من أجل التأكيد لهم، بأننا سنعمل كل ماهوضروري من أجل حماية أمريكا والأمريكيين.

وأطلب من الشعب الأمريكي أن ينضم إلي من أجل التعبير عن الشكر، لكل الأشخاص الذين يسخرون كل طاقاتهم من أجل إغاثة مواطنينا ومن أجل الصلاة على أرواح الضحايا وعائلاتهم.

ان إصرار أمتنا العظمى يمر بامتحان. ولكن تأكدوا من أننا سنبرهن للعالم بأننا سنجتاز هذه المحنة. وليباركم الله".

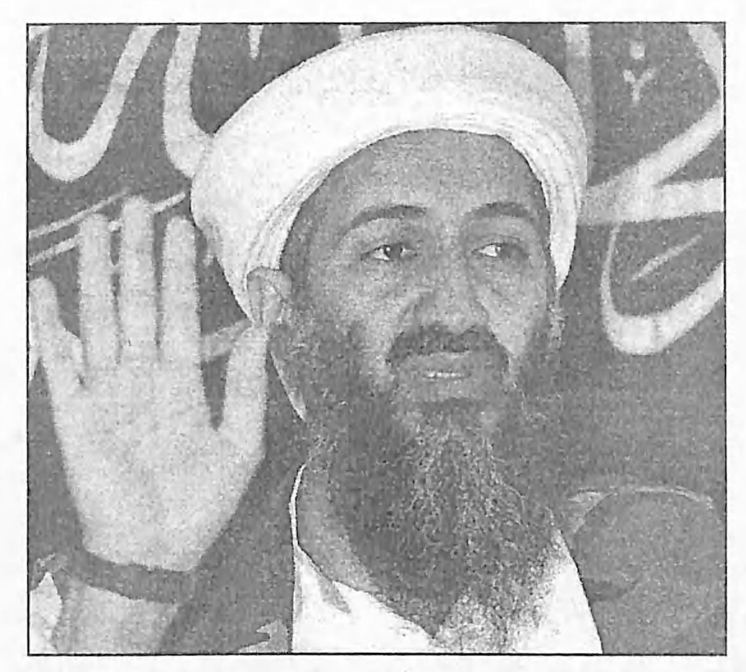
ان ما يثير الانتباه في هذه الكلمة، هوان الرئيس يحاول، بكل عناية أن يتلافى الإشارة إلى المهاجمين . فهولا يستعمل كلمتي "إرهاب" أو"إرهابي". ولكنه يلمح إلى أن الأمر قد يتعلق ببداية صراع عسكري تقليدي أوأي شيء آخر. ويشير إلى "امتحان" سيتم إنجازه، وكأنه يعلن عن كوارث جديدة. والأكثر إثارة، هوأنه لا يقدم أي تفسير حول غيابه عن واشنطن. وهوبذلك، يعطي الانطباع بأنه هرب من مواجهة خطر لازال مواطنوه معرضين له.

وعقد آري فلايشر المتحدث باسم البيت الأبيض لقاءين صحافيين عرضيين على متن الطائرة الرئاسية خلال تحليقها لمدة طويلة. وبنفس الحرص الشديد، الذي أظهره الرئيس بوش، لم يستعمل هوأيضا كلمتي "إرهاب" أو"إرهابي" .

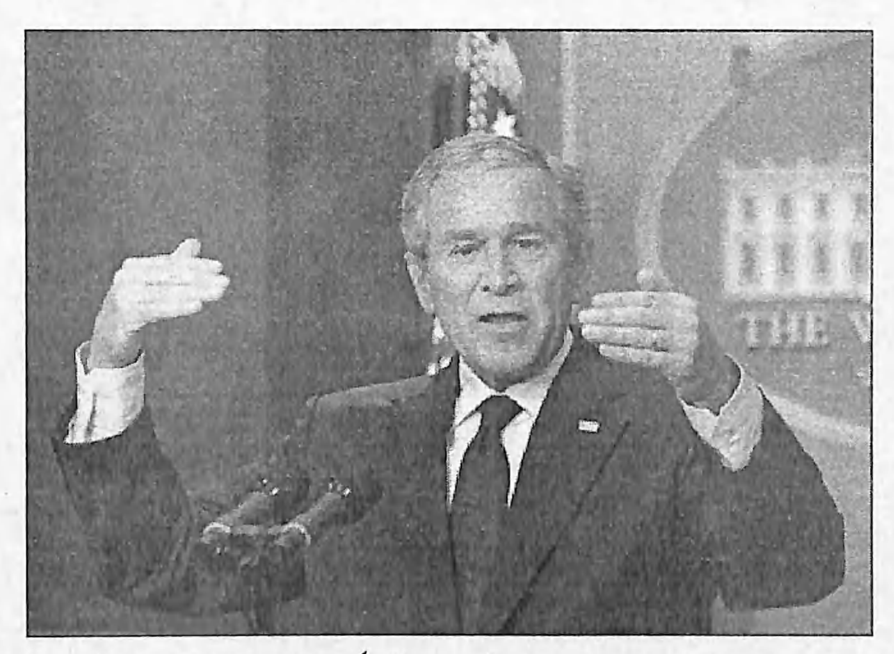
ويمكن في سياق مثل هذا، أن يتم تأويل بدء العمل بإجراء استمرارية الحكومة، بطريقتين مختلفتين. التفسير البسيط جدا، هواعتبار انه كان ينبغي حماية الرئيس والمسئولين والسياسيين من عمل يقوم به خونة، كان بامكانهم إشعال حريق في المبنى الملحق بالبيت الأبيض، والسطوعلى الشفرات السرية للرئاسة ووكالات الاستخبارات.

ويمكن بدلا من ذلك، أن نعتبر أنه لم يتم إطلاق خطة (CoG)، من أجل حماية القادة السياسيين من الخونة، ولكن تم إطلاقها من طرف الخونة لعزل القادة السياسيين. بهذا المعنى، تبدوشهادة نائب الرئيس تشيني غريبة. فهويؤكد أن عملاء الجهاز السري اختطفوه من مكتبة واقتادوه إلى مخبأ البيت الأبيض دون موافقته. ويلمح إلى أن نفس الشيء وقع للأعضاء الرئيسيين في الحكومة والكونجرس. فما معنى أن يقوم الجهاز السري باختطاف منتخبي الشعب ومحاصرتهم في المخابىء المحصنة "من أجل سلامتهم"، إذا لم يكن انقلابا سياسيا، أوعلى الأقل انقلابا داخل القصر الابيض؟

ولنعد إلى قراءة العناصر المتاحة: هناك حريق شب في المبنى الملحق بالبيت الأبيض. وأعلنت المسئولية عن الهجمات خلال اتصال هاتفي مع الجهاز السري. وطرح المهاجمون مطالب بل إنذارا وصدقوا على المكالمة الهاتفية باستعمال شفرات التصديق وإرسال الإشارات التي تملكها الرئاسة. وأطلق الجهاز السري مسطرة استمرارية الحكومة ووضع القادة السياسيين البارزين في مكان آخر. ودخل الرئيس، في ما بعد الظهر، في مفاوضات. وفي المساء عاد الهدوء. هكذا يعتقد البعض في أمريكا !!



بن لادن .. هل تمكن جواسيسه فعلاً من سرقة شفرة الرئاسة الأمريكية !!



بوش يروي ما حدث في ١١ سبتمبر دون أن يذكر أبداً حكاية سرقة شفراته الرئاسية !!

١٦ - جواسيس البنوك العالمية !!



■ وبعد أن تفجرت الفضيحة على صفحات " نيويورك تايمز " وانكشف المستور تحول مسئولوالإدارة الأمريكية إلى كلاب مسعورة تنهش لحم مسئولي الصحيفة وتتهمهم بعدم الوطنية لفضحهم أكبر عملية تجسس في التاريخ، وليس فقط في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، وبدلاً من الاعتراف بالجرم راح بوش يدخل المعمعة ويفتح النار على نيويورك تايمز، ولكن أحداً لم يكترث لدفاعه المهلهل !!

١٦- جواسيس البنوك العالمية !!

جرت العادة أن يتم اختراق الجواسيس لأنظمة المصارف العالمية بهدف رصد بعض حسابات شخصيات سياسية كبرى بعينها بهدف إحراجها أمام شعوبها حال الكشف عنها، أوالضغط بها عليها لأداء مهام معينة، أوتقديم تنازلات مؤلمة .

كما جرت العادة أيضاً أن تستهدف عمليات اختراق سرية المصارف لتعقب عمليات غسيل الأموال، التي يقوم بها رجال الجريمة المنظمة " مافيا " .

ولكن كل هذه العمليات كانت محدودة للغاية، كما كانت هناك بنوك يستحيل اختراقها إلا بتجنيد عملاء يعملون بها أصلاً .

وبحلول القرن الواحد والعشرين، وبالتحديد اعتباراً من يوم ١١ سبتمبر الذي شهد الهجمات الإرهابية الدامية ضد واشنطون ونيويورك، اتخذت عمليات اختراق أنظمة البنوك والمصارف، ومراقبة حساباتها شكلاً جديداً يتسم أولاً بالشمول بمعنى جميع هذه المؤسسات وفي شتى بقاع العالم، وثانياً بأوامر مباشرة من رئيس أكبر دولة عظمى في العالم، والأخطر وفق برنامج شيطاني رهيب تكلف آلاف الملايين من الدولارات لاجتياح النظام المصرفي العالمي ورصد ملايين التحويلات اليومية !!

ففي العام ٢٠٠٦ كشفت صحيفة "نيويورك تايمز" عن برنامج سري أطلقته إدارة الرئيس الاميركي جورج بوش قبل نحوخمس سنوات، وأقدمت وزارة المالية الاميركية بواسطته على رصد ملايين التحويلات المالية اليومية في أرجاء العالم، وخاصة في دول عربية، في ما يبدوانه اخطر اجتياح اميركي للنظام المصرفي العالمي.

وفي تقرير بعنوان " بنك بيانات تم تمحيصه من قبل الولايات المتحدة لأجل التصدي للارهاب "، فصّلت الصحيفة الاميركية خفايا برنامج سري يدعى "

سويفت " ومعناها " سريع "، اعدته وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية سي . آي. إيه " في أواخر شهر سبتمبر عام ٢٠٠١، وتتولاه وزارة المالية.

وذكرت الصحيفة أن مسؤولين في الادارة الاميركية طلبوا إلى نيويورك تايمز عدم نشر هذا التقرير . ولمّا تيقنّوا من إصرارها على النشر، وافق مساعد وزير المالية ستيوارت ليفي على الحديث مع الصحيفة .

واعترف ليفي بأن بيانات من الاتحاد المصرفي المتمركز في بروكسل، والمعروف رسمياً باسم سوسايتي فور وورلد وايد إنتربنك فاينانشل تيليكوميونيكايشن، قد سمحت لمسؤولين في الـ "سي . آي . ايه "ومكتب التحقيقات الفيدرالي " اف . بي.أي" وغيرهما من الوكالات بالاطلاع على عشرات الالاف من التحويلات المالية.

ووصفت "نيويورك تايمز" البرنامج بانه نقلة نوعية في الممارسة النموذجية لكيفية حصول الحكومة على سجلات الاميركيين المالية .

وأضافت أن مسؤولي وزارة المالية لم يسعوا إلى نيل رخص أوإشعارات من المحكمة، لتفحّص تحويلات معينة، بدلا من الاعتماد على إشعارات إدارية واسعة من اجل الاطلاع على ملايين السجلات في الشركة، المعروفة باسم "سويفت" .

وتابعت الصحيفة الاميركية الكشف عن معالم الفضيحة لتقول إن سويفت هي عصب حارس يقدم التوجيهات الالكترونية حول كيفية نقل المال ما بين ٧٨٠٠ مؤسسة مالية عبر العالم. هذه الشركة مملوكة من قبل أكثر من ٢٢٠٠ منظمة، وافتراضياً من قبل كل المصارف التجارية الكبرى، بالاضافة إلى شركات السمسرة، صناديق التمويل، وأسواق البورصة، أضافت أن سويفت تنفّذ نحوا١١ مليون عملية تحويل يومياً، معظمها عبر الحدود .

ونقلت نيويورك تايمز عن المسؤولين الحكوميين قولهم إن البرنامج المذكور يقوم برصد التحويلات المالية... عبر مراجعة السجلات في العصب الرئيسي في الصناعة

المصرفية العالمية، وهي شركة بلجيكية تدير تحويلات يومية بقيمة ٦ تريليون دولار، بين المصارف، السماسرة، الاسواق والكثير من المؤسسات . وتابع هؤلاء أن الرصد كان يركّز بشكل خاص على دول خليجية

واضافت الصحيفة أن هذا البرنامج السري منفصل عن الجهود التي تبذلها وكالة الامن القومي (من أجل التنصت من دون ترخيص) ، وجمع سجلات المكالمات الهاتفية المحلية، القضية التي أثارت فضيحة مدوية .

ووصف المسؤولون لنيويورك تايمز برنامج سويفت بأنه الاضخم والاكثر فعالية بين العديد من الجهود السرية المبذولة من أجل تتبع التمويل الارهابي .

وقال مسؤولون في وزارة المالية ان سويفت كان معفياً من القوانين الاميركية التي تحظر على الحكومة الاطلاع على السجلات المالية الخاصة، لأن الشركة البلجيكية اعتبرت مؤسسة بريدية، وليس مصرفاً أومؤسسة مصرفية.

وذكرت نيويورك تايمز في تقريرها إن وزارة المالية كلفت بقرار من الرئيس الاميركي جورج بوش في شهر سبتمبر العام ،٢٠٠١ بقيادة جهود لتعطيل التمويل الارهابي.

وأضافت إن بوش أعلم بالبرنامج، كما شهد نائبه ديك تشيني على عمليات السي أي ايه.. وقدمت وكالة الامن القومي بعض المساعدة التقنية .

واوضحت الصحيفة أنه على الرغم من السرية التامة للبرنامج، إلا ان مسؤولين في الادارة احتفظوا بخلاصات عنه لبعض أعضاء الكونغرس، ولجنة ١١ سبتمبر.

وتابعت إن مجلس سويفت المؤلف من ٢٥ مديراً يمثلون المؤسسات المالية حول العالم، قد أعلم مسبقاً بالبرنامج، كما تم أيضاً إعلام مجموعة المصارف المركزية العشرة في الدول الصناعية الكبرى التي تراقب سويفت .

وفيما يعتبر مسؤولون اميركيون أن سويفت الشركة كانت شريكا واعيا في العملية، تقول هذه الاخيرة إن مشاركتها لم تكن يوماً طوعية، في وقت يزعم المسؤولون عن البرنامج، أنه لم يمارس أية إساءة لاستعمال السلطة، فيما خلا حالة واحدة أدت لطرد الشخص المعني.

وبعد نشر نيويورك تايمز تقريرها حول الفضيحة، عقدت وزارة المالية الاميركية مؤتمراً صحافياً استمر ٣٠ دقيقة، وأقرّت خلاله بقضية سويفت.

وأعرب وزير المالية جون سنوعن أسفه لإقدام الصحيفة على فضح البرنامج، قائلا إن ذلك لا يمكن الا أن يساعد الارهابيين . وأضاف : انني اشعر بالفخر لاطلاق برنامج التجسس على عمليات مصرفية في اطار مكافحة الارهاب، مؤكدا أن سويفت هو" برنامج يحترم تماما قيمنا الديموقراطية وافضل تقاليدنا القانونية!!

من جهتها، أكدت شركة سويفت في بيان أنها استجابت لمذكرة قانونية إلزامية من مكتب مراقبة الارصدة الاجنبية التابع لوزارة الخزانة الاميركية بشأن الحصول على معلومات محددة، في خضم تداعيات هجمات١١ سبتمبر .

أضاف البيان إن سويفت تلقت ضمانات وتأكيدات مهمة تتعلق بالغرض والسرية حول مراقبة هذه المعلومات التي قدمتها بموجب المذكرة .

ولكن الفضيحة كان لها وقع الزلزال على الرئيس بوش وأقطاب إدارته، وفي مقدمتهم نائبه ديك تَشيني الذي فتح النار على الصحافة الأميركية لكشفها التجسس الحكومي على البنوك وشن هجوما عليها لكشفها برنامج تجسس الحكومة الأميركية على البنوك، تحت ذريعة تعقب الارهاب.

وانضم تشيني إلى كبار المسؤولين في الإدارة الأميركية في الهجوم اللاذع على وسائل إعلام أميركية كشفت عن البرنامج السري لوزارة الخزانة لمراقبة التحويلات المصرفية الدولية، بدعوى مكافحة الإرهاب ووقف تدفق السيولة النقدية على التنظيمات الإرهابية.

وزعم وزير الخزانة الأميركي جون سنوأن الكشف قلل من شأن مصدر مهم للمعلومات، وأن المستفيد الوحيد هم الإرهابيون، ورد بالقول إن الكشف عن هذا البرنامج السري يساعد الإرهابيين فقط.

ومن جانبه، حمل تشيني بشدة على الصحافة، قائلاً : ما يحز في نفسي بشدة هوأن بعض وسائل الإعلام فوضت نفسها حق الكشف عن برامج مهمة للغاية للأمن القومي، وهذا يصّعب علينا مهام الحيلولة دون وقوع هجمات في المستقبل "

وقال الناطق باسم البيت الأبيض، توني سنو، إن برنامج بيانات مؤسسة سويفت وفر معلومات مهمة عن الخلايا الإرهابية بالداخل، وأضاف إنه قاد عام ٢٠٠٣ للقبض على حنبلي، وهومتشدد إندونيسي أدين في تفجيرات بالي التي أودت بحياة ٢٠٠ شخص .

وانتقد سنوالتقارير المنشورة قائلاً " تقارير اليوم بدت مثيرة للاهتمام لأن كل الانتقادات المحتملة ليست سوى تجريدية الطابع وغير مؤسسة، فيما كانت فوائد البرنامج ثابتة " .

وتضم سويفت كمؤسسة نحو ٧٨٠٠ مؤسسة مالية في أكثر من ٢٠٠ دولة. ويبلغ حجم التعاملات المالية عبر سويفت التي تتولى المعاملات المالية بين المصارف ومقرها في بلجيكا، قرابة ٦ تريليونات دولار في اليوم.وجرى فحص عشرات الالاف من الصفقات التي تمت من خلالها.

ويتبع برنامج فحص التحويلات المصرفية وكالة الاستخبارات المركزية "سي. آي . ايه " وتشرف عليه وزارة الخزانة. ومعظم السجلات التي تم فحصها خاص بتحويلات واساليب اخرى لنقل اموال الى الخارج اومن الولايات المتحدة أواليها.

وفشل مسؤولوالخزانة الأميركية في إقناع صحيفتي " نيويورك تايمز " و"لوس أنجليس تايمز " بالعدول عن الكشف عن برنامج المراقبة، أوعن تلقي الوزارة بيانات بالتعاملات المالية من سويفت .

ودافع المحرر التنفيذي لـ " نيويورك تايمز " بيل كيللر، عن قرار الكشف عن البرنامج قائلاً : " مازلنا على قناعة من أن قدرة الإدارة الاستثنائية للوصول إلى هذا المستودع الهائل من بيانات التعاملات المالية الدولية، ومهما بلغ الحذر في استخدامها، قد تكون مثيرة لاهتمام العامة " .

ودافعت الخزانة الأميركية، رغم جهودها للحفاظ على سريته، عن البرنامج الذي قالت إنه قدم مساعدة قيمة للحرب على الإرهاب. وأجبرت الوزارة على تأكيد وجود البرنامج، إثر كشف صحيفة نيويورك تايمز عن تفاصيليه.

وقال وكيل وزارة الخزانة ستيوارت ليفي : " في إطار جهودنا لتعقب أموال الإرهابيين، نؤكد أننا طلبنا الاطلاع على سجلات لتحويلات لها صلة بالإرهابيين من سويفت. وأضاف إن الأساس القانوني للطلب روتيني تماماً " .

وأثار هذا البرنامج انتقادات جديدة من جانب الديمقراطيين ومنظمات الحريات المدنية التى اعتبرت أن الادارة الأمريكية تمارس مهامها خارج الضوابط القانونية وتلك التى يقرها الكونجرس .

ومن جهة اخرى فتحت وزيرة بلجيكية " لوريت اونكلينكس " تحقيقا مزدوجا حول برنامج تجسس الحكومة الأمريكية على عمليات مالية دولية عبر شركة سويفت التي يوجد مقرها في بلجيكا .

ونفت الوزيرة ان يكون لها اي علم بهذه المسألة، قبل ان تكشفها الصحف الأمريكية . واضافت انه فور علمها بالامر طلبت مباشرة تقريرا من المخابرات البلجيكية عن هذه المعلومات .

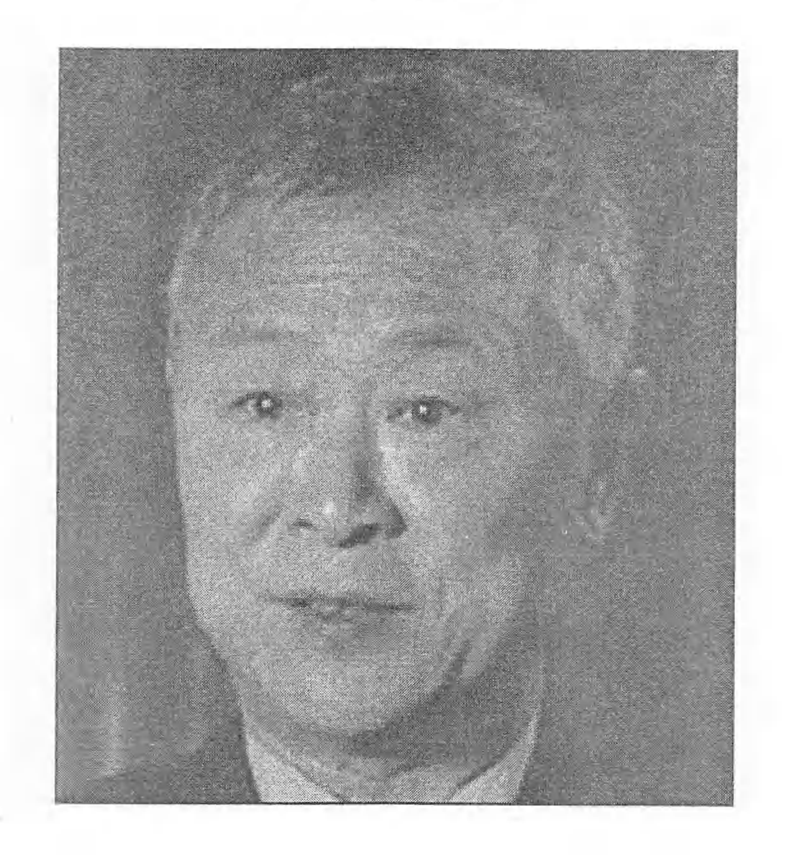
وكلفت الوزيرة ايضا خلية معالجة المعلومات المالية اجراء تحليل قانوني لمعرفة ما اذا كان ما حدث جاء في اطار احترام قواعد القانون البلجيكي !!

ولكن لم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد ألقى الرئيس بوش بنفسه في هذه المعمعة تحت وطأة الشعور بالحرج والمهانة، وتشويه سمعة إدارته في العالم، وشن هجوما على صحيفة نيويورك تايمز التي فجرت الفضيحة، معتبرا أن ما حدث من جانبها " شيء مخزٍ ".

وقال بوش : لقد أطلعنا الكونغرس الأميركي على الموضوع، وما قمنا به يجيزه القانون!!

وأضاف بوش : ما نقوم به هوالأمر الصحيح، والكونغرس كان يعلم به، ونحن كنا ضمن القانون . . إذا أردتم معرفة ما يقوم به الإرهابيون، فأنتم تحاولون تتبع أموالهم، وهذا تماما ما كنا نقوم به!!

١٧ - فوينج جاسوس أمريكي في الصين !!



■ وقد اتهم بالحصول على ٤٣ وثيقة حكومية سرية بأساليب غير قانونية خلال عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦، وبمحاولة رشوة مسؤول بشركة الكهرباء الصينية.

١٧ - فوينج جاسوس أمريكي في الصين !!

في الثاني من مارس من عام ٢٠٠٢، وفي بيان كان مفاجأة للجميع، أعلنت السفارة الأمريكية في بكين أن محكمة صينية قضت بسجن مهندس أمريكي لمدة خمس سنوات بتهمة الرشوة والحصول على أسرار قومية بطريقة غير قانونية.

وكان فونج فوينج، الذي حصل على الجنسية الأمريكية في عام ١٩٩٤ قد أنكر التهم التي وجهت له. وكانت الولايات المتحدة قد اتهمت الصين بانتهاك مواثيق حقوق الإنسان باحتجاز فونج لعدة أشهر دون محاكمة.

وكان المهندس الذي كان يبلغ من العمر ٦٧ عاماً قد اعتقل في فبراير من عام ألفين أثناء قيامه برحلة عمل للصين. وقد قررت المحكمة خصم فترة احتجاز فونج من مدة السجن.

وذكر مراسل بي بي سي في الصين أنه ليس من الواضح ما إذا كانت السلطات الصينية ستسجن فوينج الذي يعاني من مشاكل صحية حادة حتى انتهاء فترة العقوبة أم ستطرده من البلاد.

وكان قد سبق طرد مواطنين أمريكيين من الصين بعد إدانتهم أمام القضاء مراعاةً لظروفهم الصحية.

وكان فوينج يعمل كاستشاري لحساب شركة أمريكية كانت تسعى للفوز بعقد مع شركة الكهرباء الوطنية الصينية عندما اعتقل.

وقد اتهم بالحصول على ٤٣ وثيقة حكومية سرية بأساليب غير قانونية خلال عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦، وبمحاولة رشوة مسؤول بشركة الكهرباء الصينية.

وقال محاموه إن الوثائق السرية التي ضبطت معه أعطاها له مسؤول صيني حاول ابتزاز المال منه.

لكن حسب حكم الإدانة، فإن فونج قدم ثلاثين ألف دولار على سبيل الرشوة للحصول على تلك الوثائق.

وقد كانت القضية معقدة لأن فونج كان يعمل لحساب شركة الكهرباء الحكومية قبل هجرته إلى الولايات المتحدة في مطلع التسعينيات.

يذكر أن العلاقات الأمريكية الصينية شابها توتر بسبب احتجاز عدد من المواطنين الأمريكيين، ومحاكمة البعض الآخر.

وكانت الصين قد أطلقت في سبتمبر عام ٢٠٠١، سراح كاتب أمريكي، صيني المولد بعد احتجازه في أبريل من نفس العام بتهمة التجسس لصالح تايوان.

وفي يوليوعام ٢٠٠٢، أدين أكاديميان أمريكيان من أصل صيني يعيشان في هونج كونج بتهمة التجسس ثم أطلق سراحهما قبيل زيارة وزير الخارجية الأمريكي كولين باول للصين .

١٨ - فضيحة بوش وسوسن الحداد!!

STATE
OF
WAR
THE SECRET HISTORY
OF THE CIA AND THE
BUSH ADMINISTRATION
James Risen

■ وحمل الكتاب معالم الفضيحة، التي لم يكن بطلها الأول الرئيس بوش، الذي دخل غمار الجاسوسية بنفسه، وكل هدفه الإيقاع بسوسن الحداد لكي تكون جاسوسة تجمع له المعلومات !!

١٨ - فضيحة بوش وسوسن الحداد !!

فوجئت الطبيبة العراقية سوسن الحداد باتصال شخص بها ذات يوم، قدم نفسه على أنه عميل للمخابرات المركزية الاميركية. وازدادت دهشتها حين قال لها: " الرئيس بوش يقدر مساعدتك للولايات المتحدة لحماية امنها القومي، والمساهمة في الحرب ضد الارهاب، وجمع معلومات عن اسلحة الدمار الشامل في العراق " . وسألها المتصل الغريب عن إمكانية سفرها الى العراق.

قبل غزو العراق بسنة، تلقت د. سوسن الحداد، طبيبة اميركية عراقية تعمل في مستشفى «كليفلاند كلنك» بكليفلاند " ولاية اوهايو"، اتصالا تليفونيا من أميركي قال انه يعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية " سي . آي . ايه "، ويريد مقابلتها، واستغربت للسبب الذي جعل جاسوسا اميركيا يريد مقابلة اختصاصية بنج عراقية.

هربت الطبيبة سوسن الحداد مع زوجها من العراق الى أميركا قبل خمس وعشرين سنة بسبب مضايقات الاستخبارات العراقية. وذات يوم، اتصل بها شخص اسمه " كريس "، وقدم نفسه على انه عميل للمخابرات المركزية الاميركية. وخافت من حصول مشاكل مع الاجهزة الامنية والاستخباراتية الاميركية، خاصة لأنها هربت من مضايقات هذه الأجهزة في بلدها.

اتصلت سوسن الحداد بفرع مكتب التحقيق الفيدرالي " اف . بي . آي "، في كليفلاند، لتعرف من هو كريس : هل هواميركي أم عراقي ؟ هل يعمل مع الاستخبارات العراقية ؟ ماذا يريد منها؟ هل حياتها وحياة زوجها وبنتهما في خطر؟.. وفوجئت بأنهم ردوا عليها بأن «كريس» اسم شخص حقيقي يعمل مع الاستخبارات المركزية، وانهم تأكدوا من ذلك بعد ان اتصلوا برئاسة الاستخبارات المركزية في واشنطن.

ردت سوسن على كريس، واعتذرت بأنها لن تقدر على مقابلته قريبا لأنها مشغولة بعلاج والدتها التي جاءت من بغداد، وتعاني من سرطان القولون. كان ذلك في شهر أبريل سنة ٢٠٠٢.

وظل كريس يتصل من وقت لآخر ليحدد وقتا للقاء. ولم توافق سوسن الا في يونيو، بعد ان توفيت والدتها ودفنت في كليفلاند.

اعلن بوش، قبل أول اتصال بين سوسن الحداد وكريس بثلاثة اشهر، وفي خطاب الاتحاد امام الكونغرس، بأن غزوافغانستان ليس نهاية الحرب ضد الارهاب، وقال ان الارهابيين يخططون لهجوم نووي على اميركا، ويتعاونون مع دول مارقة، مثل العراق. وهدد بوش بضرب العراق اذا لم يلتزم بقرارات الامم المتحدة، ويتخلص من اسلحة الدمار الشامل.

وخلال الاشهر التالية، اصدر بوش امرا سريا لوزير الدفاع بالاستعداد لغزوالعراق، واكثر في خطبه من الحديث عن اسلحة الدمار الشامل في العراق.

وكرر، خلال نفس تلك الفترة، جورج تينيت، مدير الاستخبارات المركزية، على مساعديه اهمية الحصول على معلومات تثبت ان العراق يملك هذه الاسلحة، ليقدمها الى الرئيس بوش لتبرير غزوالعراق. ولهذا ركز جواسيس الوكالة على الحصول على معلومات من علماء البرنامج النووي العراقي، اما بالاتصال بهم في العراق، اوخلال حضورهم مؤتمرات علمية في الخارج، اواقناعهم بالهروب الى اميركا، ومنحهم الاقامة الدائمة الـ "جرين كارد".

ولهذا كلف كريس بالاتصال بالدكتورة سوسن لأنها شقيقة سعد توفيق، واحد من هؤلاء العلماء.

فوجئت سوسن الحداد، في مقهى "ستاربك" في كليفلاند، بطلب كريس: "الرئيس بوش يقدر مساعدتك للولايات المتحدة لحماية امنها القومي، وللمساهمة في الحرب

ضد الارهاب، ولجمع معلومات عن اسلحة الدمار الشامل في العراق" . وسألها كريس عن امكانية سفرها الى العراق، في مهمة سرية باسم وكالة الاستخبارات المركزية، لمقابلة شقيقها، وتحقيق الآتي: اولا، تقنع شقيقها بأن يهرب من العراق عن طريق كردستان، وتقول له ان الاستخبارات المركزية سترتب له ذلك، وستضمن حصوله على اللجوء السياسي والجنسية الاميركية . ثانيا، اذا رفض، تطلب منه معلومات عن اسلحة العراق النووية.

وافقت على كل ذلك، رغم انها سألت نفسها : هل اصبحت حقيقة جاسوسة للاستخبارات الاميركية ؟، لكنها طمأنت نفسها بأن زيارتها ستكون فرصة لمشاهدة شقيقها لاول مرة منذ اكثر من عشر سنوات.

وقابلت، قبل سفرها، كريس مرات كثيرة، منها في منزلها، وقابلت فنيين من وكالة الاستخبارات لتعليمها فن التجسس، مثل الكتابة بحبر لا يرى، وقراءة حبر لا يرى، واستخدام ورق يحترق خلال ثوان قليلة، واستخدام كاميرات في حجم القلم، والتخلص من المعدات السرية سريعا اذا فاجأتها الاستخبارات العراقية.

وتطوعت سوسن الحداد . واخترعت وسيلة جديدة للتجسس: كتابة معلومات، حرفا حرفا، داخل مربعات الكلمات المتقاطعة في مجلات حملتها معها.

ومرة سألها كريس : «ما هوضمان تعاون شقيقك معك اذا عرف انك تعملين معنا؟، فقالت له ان والدة زوجها جاءت من العراق لحضور مأتم وفاة والدتها، وانها ستطلب منها ان تسأل شقيقها اذا كان يريد الاجابة عن اسئلة الاستخبارات المركزية عن اسلحة العراق النووية.

لكن والدة الزوج خافت من الدخول في مواضيع الاستخبارات والتجسس، غير انها طمأنتها. واتفقتا على الخطة الآتية: تسافر الوالدة الى العراق، وتقول لشقيقها، بدون ان يسمعهما شخص آخر: يريد الاميركيون ان يتكلموا معك، عن طريق سوسن،

في موضوع الاسلحة النووية. ستتصل بك سوسن، وتسألك: هل صحتك بخير؟ اذا قلت انا بخير، ستفهم انك وافقت على الطلب، وستأتي الى العراق لمقابلتك .

عادت الوالدة الى العراق، وذهبت الى منزل سعد، وطلبت منه ان يتحدثا خارج المنزل (خوفا من اجهزة تنصت الاستخبارات العراقية)، ونقلت اليه تعليمات شقيقته سوسن.

اتصلت سوسن الحداد بأخيها في اليوم التالي، وسألته: هل صحتك بخير؟ .. اجاب: نعم، وسألته مرة ثانية، وثالثة، حتى تتأكد . وتأكدت، وقالت له انها ستسافر، في الاسبوع التالي، الى العراق لزيارة العائلة. وسافرت، وزارته في منزله، منزل العائلة القديم في المنصور.

لكنها لاحظت انه شك فيها وفي زيارتها، واستغرب لماذا عادت بعد كل هذا الغياب، ولاحظت انه اهملها، ورفض ان يأخذ اجازة يومين اوثلاثة ايام من عمله ليقضي وقتا اكثر معها ليتذكرا ايام الطفولة والشباب في بغداد.

وطلبت منه، في منتصف الليلة الثانية، ان يتحدثا خارج المنزل، وعندما ذكرته باتفاقهما غضب وقال لها انه سعيد في العراق، مع عائلته، رغم كل المشاكل، وانه ليس من النوع الاستخباراتي، عراقيا اواميركيا، وانه لا يصدق انها اصبحت جاسوسة للاستخبارات الاميركية، وأخيراً انه خائف من الاستخبارات العراقية التي ربما تابعت وصولها من اميركا وزيارتها له.

فقدت الشقيقة، في منتصف تلك الليلة، الامل في اقناع شقيقها بالهروب، وانتقلت الى الجزء الثاني من المهمة التي كلفها بها كريس، وذكرت له ان الاستخبارات المركزية كلفتها بتقديم اسئلة له عن المشروع النووي العراقي، مثل: إلى أين وصل؟ من هم أهم العلماء؟ اين الموقع الرئيسي؟ استغرب شقيقها، وسألها: من اين حصل الاميركان على معلوماتهم ؟ هذه معلومات قديمة لأنه لا يوجد اي برنامج نووي

عراقي، كان هناك برنامج واحد، ودمرته حرب الخليج قبل عشر سنوات واستغربت الشقيقة نفسها لسببين:

أولا، لأنها اعتقدت ان اسئلة الاستخبارات المركزية مؤكدة، واعتمادا على معلومات موثوق بها، ولم تشك فيها. وثانيا، لأنها عادت من اميركا قبل يومين، والاعلام الاميركي، والحكومة الأميركية يكرران بأن العراق فيه أسلحة نووية، وان ذلك سبب رئيسي للغزو الذي كان يدبر في ذلك الوقت.

جاءت هذه القصة، وقصص أخرى عن نشاطات وكالة الاستخبارات المركزية في كتاب " حالة حرب " الذي اصدره، جيمس رايسن، صحافي في جريدة " نيويورك تايمز " .

وكان رايسن قد حقق مع نهاية السنة سبقا صحافيا عندما كشف فضيحة تجسس إدارة الرئيس بوش على اتصالات مواطنين اميركيين باسم محاربة الارهاب. واوضح ان بوش، بعد هجوم ١١ سبتمبر، استخدم وكالة الامن القومي " ان . اس . ايه "، التي ترصد اتصالات التليفون والكومبيوتر والفاكس خارج الولايات المتحدة، والتي تعتبر اكثر سرية من وكالة الاستخبارات المركزية .

وكشف الصحافي ايضا بأنه حصل على هذه المعلومات في نهاية سنة ٢٠٠٤، واتصل بالبيت الابيض للحصول على ردود فعل، ووجد ان البيت الابيض فوجئ بحصوله على المعلومات، وطلب عدم نشرها " حتى لا تؤثر على الامن القومي الاميركي ". طلب بوش، نفسه، ذلك خلال اجتماع مع رئيس تحرير جريدة " نيويورك تايمز " في البيت الابيض، وحصل على موافقته.

لكن رئيس التحرير وجد، بعد سنة، ان الظروف تغيرت. اصبح اكثر من نصف الاميركيين ضد حرب العراق، وقلت شعبية بوش، ولم يتكرر هجوم ١١ سبتمبر، ولم يعد «الامن القومي» سببا كافيا لعدم نشر المعلومات. ونشرها، مع اسم جيمس رايسن، الصحافي الذي حصل عليها.

وضمن رايسن كتابه «حالة حرب»، معلومات كثيرة عن هذا الموضوع، واتهامات خطيرة ايضاً، فقد ذكر أن ما نشر «ليس الا قمة جبل جليد عائم»، وان التاريخ «سيسجل ان ادارة بوش كانت واحدة من اكثر الادارات سرية في التاريخ الاميركي».

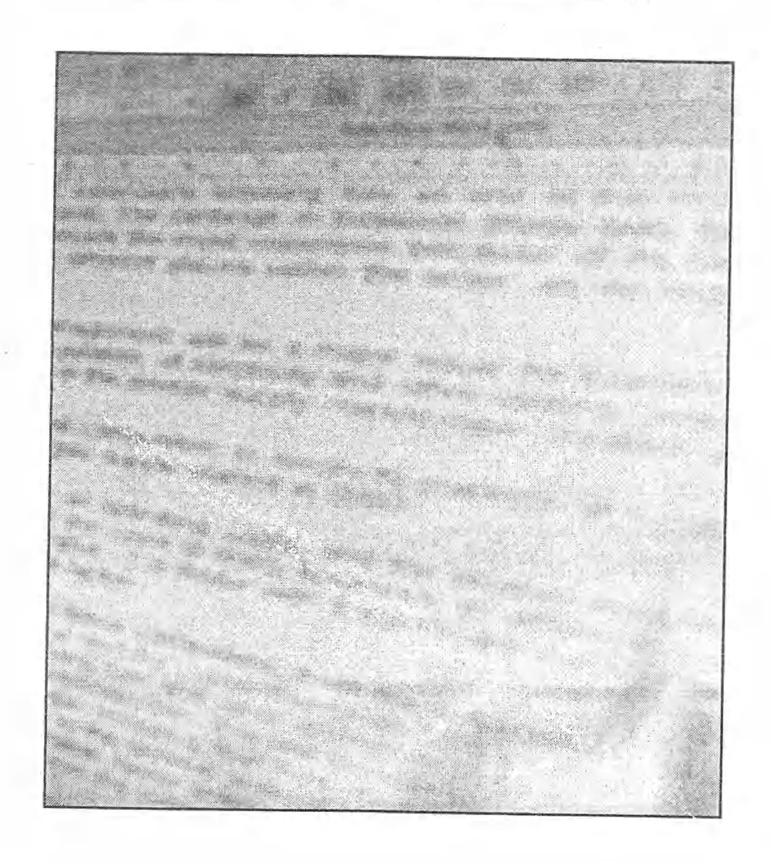
وقال أيضاً ان النقاش الحالي عن حرب الارهاب والعراق وافغانستان ليس «نقاشا حقيقيا»، لانه لا يعتمد على المعلومات الحقيقية، التي لا يعرفها الا بوش وعدد قليل من كبار المسؤولين، وأن المحافظين الجدد يتحملون مسؤولية الاخطاء التي ارتكبت.

وكشف الكتاب كذلك معلومات عن حصول العراق على جزء من تكنولوجيا اسلحة الدمار الشامل من اميركا نفسها، وذلك قبل عشرين سنة تقريبا، عندما كانت العلاقات بين اميركا وصدام حسين طيبة، وأيدته في حربه ضد ايران.

وأثناء ذلك، جاء الى اميركا، في سنة ١٩٨٢، سعد توفيق، عالم نووي عراقي، وجاء، بعده، جعفر ضياء جعفر، زميله. وجاء، بعدهما، عماد خوري، مساعدهما، وجاء غيرهم، وعادوا كلهم بمعلومات عن صناعة الاسلحة النووية.

لم يهتم الأميركيون بذلك في ذلك الوقت، حتى ساءت العلاقات مع العراق. وعادت الاستخبارات المركزية الى الملف النووي العراقي، واتصلت، بطرق مباشرة وغير مباشرة، مع بعض هؤلاء العلماء، مثل سعد توفيق الذي اكد للاميركيين (عن طريق شقيقته)، ان العراق ليست فيه اسلحة نووية. لكن بوش و«المحافظين الجدد» كانوا قرروا غزوالعراق، على اي حال.

١٩ - عملية حصان طروادة !!



■ ومن المعروف أن برامج " حصان طروادة " تخترق أجهزة الكمبيوتر وتسمح لقراصنة الكمبيوتر بمراقبتها وتتبعها بل والسيطرة على أنظمتها .

١٩- عملية حصان طروادة !!

في الرابع والعشرين من شهر مايو٢٠٠٥، اعتقلت الشرطة الإسرائيلية ١٨ من المسؤولين الكبار في ١٥ شركة على الأقل بتهمة التجسس الإلكتروني على منافسيهم عبر أجهزة الكمبيوتر.. وكان من ضمن المجموعة المعتقلة مسؤولون من شركتين للهواتف المحمولة وشركة للقنوات الفضائية وشركة لاستيراد السيارات، بالإضافة إلى عدد من التحريين الخاصين.

وقالت ثلاث من الشركات المعنية بالأمر إنها لم تفعل شيئاً تلام عليه، وإنها تتعاون فقط مع الشرطة.. إلا أن السلطات اكتشفت أن الماهمين كانوا يستخدمون نوعاً من برامج الاختراق يطلق عليه اسم (حصان طروادة)، وذلك لاختراق أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالشركات المنافسة لهم .

وكانت تلك البرامج تحمل على الأجهزة لتقوم ببعض المهام الخفية، وغالباً ما تتجلى هذه المهام في إضعاف قوى الدفاع لدى الضحية ليسهل اختراق جهازه ومن ثم سرقة بياناته.

وسمي هذا النوع من البرامج كذلك لتشابه عمله مع أسطورة الحصان الخشبي الذي اختبأ به عدد من الجنود الذين فتحوا مدينة طروادة.. هذا وقد قام بتطوير هذا النوع من البرامج شخص إسرائيلي يجلس الآن رهن الاعتقال في بريطانيا التي تنوي بدورها ترحيله إلى إسرائيل.

جدير بالذكر أن التحقيقات شارك فيها كل من جهاز الإنتربول الدولي والسلطات في كل من بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة.

وقال المحقق روني هندي في تصريح له أمام وسائل الإعلام الإسرائيلية: (إن هذه الفضيحة من أخطر فضائح التجسس الصناعي والتجاري في إسرائيل). وتخشى الشرطة الإسرائيلية من أن تكون ٦٠ شركة إسرائيلية ودولية قد تورطت في هذه الفضيحة. ومن المعروف أن برامج (حصان طروادة) تخترق أجهزة الكمبيوتر وتسمح لقراصنة الكمبيوتر بمراقبتها وتتبعها بل والسيطرة على أنظمتها.

وحسبما قالته الشرطة فقد طالت الفضيحة شركات مثل شركة القنوات الفضائية "يس" وشركتيّ الهواتف المحمولة "سلكوم" و"بلفون"× اعتقال مدير عام مُستورد "فولفو"، عوز مئير، ومدير عام شركة "هَمفعيل"، يورام كوهِن، ونائب مدير الأموال في "يس"، موريا كتريئيل، ومديري قسم الأمن في "بلفون"، شاي راز، وفي "سلكوم"، عوفِر رايخمَن× في الصورة مدير شركة الكوابل هوت الذي تعرض حاسوبه لعملية تجسس .

ومع الوقت ظهرت القضية كفضيحة اقتصادية يختلط فيها التجسس بنهم الربح بعد ان كشفت الشرطة الاسرائيلية عن تحقيق واسع تواصله حول تجسس تجاري يشتبه بضلوع كبريات الشركات الاسرائيلية فيه !

وتجري هذا التحقيق المتشعب بشكل غير مسبوق منذ أكثر من عام ونصف، في قسم الاحتيالات في شرطة لواء تل أبيب. . بعد أن اعتقلت تسعة محققين خاصين من مكاتب تحقيق رائدة في إسرائيل، بشبهة القيام بعمليات تجسس لصالح الشركات، بالإضافة إلى اعتقال خمسة أشخاص من شركة "يس" و"سلكوم" و"بلفون" و"هَمفعيل" و"مئير"، بشبهة ضلوعهم في العمليات التجسسية.

وحسب التحقيقات فإن عمليات التجسس التجاري تمت بواسطة برنامج حاسوب من نوع "حصان طروادة"، التي تدخل الحواسيب عن طريق مواقع إنترنت أوبريد إلكتروني وتسيطر على الحاسوب الشخصي والتحكم بالملفات فيه وبعثها إلى صاحب برنامج التجسس.

وقالت الشرطة إنّ هذا البرنامج بُعث إلى عشرات الشركات التجارية في مختلف المجالات. وهذه التقنية مكّنت شركات التحقيق الخاصة من الحصول على الكثير من الوثائق والصور التجارية كبيرة الاهمية، والتي نُقلت من شركات التحقيق إلى الشركات التجارية المشتبه بها بالتجسس التجاري.

ومما تم الكشف عنه فإن شركات اضافية طلبت "خدمات تجسس" منها: "فولفو"، و"تامي ٤"، كما اعتقل مدير عام مُستورد "فولفو"، عوز مئير، ومدير عام شركة "هَمفعيل"، يورام كوهِن، ونائب مدير الأموال في "يس"، موريا كتريئيل، ومديري قسم الأمن في "بلفون"، شاي راز، وفي "سلكوم"، عوفِر رايخمَن.

اما الشركات التي تعرّضت لهذا التجسّس فمنها شركة "هوت" للكوابل؛ شركة "بارتنر" (أورانج) للهواتف المحمولة؛ "شطراوس - عيليت"؛ "تشامبيونز موتورز"؛ شبكة "آيس، كنيه وبنيه"؛ شركة "مي عيدن"؛ مبنى صحيفة "غلوبس"؛ "شيكم إلكتريك"؛ مكتب "شلمور-أفنون-عميحاي" و"ريؤوفيني-فريدان". وحسب تقديرات الشرطة استمرت عمليات التجسس سنة ونصف السنة على الأقل.

ولم ينجح المحققون حتى الآن بتقدير حجم الخسائر جراء التجسس لكن الصورة العامة تدل انها خسائر جسيمة.

وافادت التحقيقات أن من يقف خلف برنامج التجسس هوخبير الحواسيب ميخائيل هَئِفراتي، إسرائيلي يعيش في ألمانيا وبريطانيا. وكان اعتقل في لندن بعد كشف عملية التجسس في أعقاب تعاون بين شرطة إسرائيل والانتربول وشرطة لندن، ولا تزال إسرائيل تطالب بتسليمه.

وكشفت التحقيقات أن إدخال برنامج التجسس تم عن طريق "ديسك" بُعث إلى الشركة الهدف وبه عرض تجاري من شركات معروفة في السوق، حيث وُضع برنامج التجسس في هذا "الديسك" وفور إدخاله إلى أحد حواسيب الشركة تسلط برنامج التجسس على حواسيب الشركة. أما الطريق الثانية فكانت بعثت هذا البرنامج عن طريق البريد الإلكتروني.

٢٠- عملية "الباب المسحور"!!



■ كشفت التحقيقات عن معلومات أخرى تفيد بأن باستخدام عملاء أمريكا وإسرائيل برنامج آخر يسمى " الوعد " - Promis - وهوبرنامج كانت قد ابتكرته إحدى شركات الكمبيوتر الأمريكية عام ١٩٨٨، ثم اتهمت الشركة فيما بعد وكالة المخابرات الأمريكية " سي . آي . إيه" بأنها قامت بنسخ إصدارات عديدة منه بالتعاون مع إسرائيل وتوزيعها على العملاء السريين لكلا البلدين في جميع أنحاء العالم .

٢٠- عملية "الباب المسحور"!!

من أكثر الظواهر الجديدة في عالم الجاسوسية التي شهدها القرن الحادي والعشرين، ومنذ بزوغ فجر عامه الأول هوتلاشي الخط الفاصل بين " الأعداء " و" الأصدقاء "، بمعنى أن كليهما أصبح مستهدفاً، ولم يعد هناك فرق بين عدووصديق، عندما يتعلق الأمر بحمى جمع المعلومات .. ومن هنا أصبح اختراق الآخر هوالسمة الغالبة بغض النظر عن وضعيته أومكانته أوموقعه في خريطة التحالفات والصداقات.

والغريب أن التجسس على الحلفاء والأصدقاء لم يعد عملية اختراق عملاء استخبارات دولة ما لدولة أخرى، وإنما - وهذا هوالجديد - أصبحت الجاسوسية نوعاً من التعاون المشترك بين أجهزة استخبارات دولتين لاختراق دولة ثالثة حتى لوكانت تجمعهما بها علاقات تحالف أوصداقة .. نعم في القرن الواحد والعشرين أصبح الكل يتجسس على الكل، ولا عزاء للتحالفات والصداقات وعبارات الود المتبادلة !!

في السادس والعشرين من شهر أغسطس من عام ٢٠٠٠، استيقظ الكنديون على حقيقة مفزعة .. الصديق الأمريكي أقرب جيرانهم ينتهك حرماتهم، ويأمر جواسيسه بعبور الحدود، واختراق منظومة أمنهم، دون أن يقيم أي وزن لحق الجيرة، ودون أن يكترث بما تلزمه به أصول الصداقة، وبنود المعاهدات والتحالفات!!

نعم استيقظ الكنديون على كابوس مروع، حيث تفجرت فضيحة تجسس أمريكية إسرائيلية على بلادهم وإعلان الشرطة الملكية الفيدرالية في أوتاوا عن بدء تحقيقات مكثفة لأجهزة الأمن الكندية بشأن معلومات حول قيام بعض العملاء السريين لكل من الولايات المتحدة وتل أبيب باختراق أجهزة الكمبيوتر الخاصة

بوكالة الاستخبارات الكندية، والحصول على ملفات بالغة السرية حول قضايا تتعلق بالأمن القومي لكندا!!

وعندما تأتي الصفعة من صديق، وكما هومتعارف عليه بين الحلفاء والأصدقاء، فإن أول ما تفعله أجهزة الدولة المخترقة هنا هوضرب ستار من السرية على الاكتشاف لدرء الفضيحة، ومنع خصومها ومعارضيها السياسيين من استغلال الحدث لتحقيق مكاسب أو على الأقل إحراجها أمام الرأي العام في الداخل .. نعم هذا هوأول ما تسعى إليه أجهزة الدولة، ولكن - أحياناً - تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن — كما يقولون — حيث تتمكن إحدى الصحف من اكتشاف الأمر، عبر تسريبات من أحد مصادرها، فتسارع بكشف المستور، وتفجير الفضيحة !!

وهكذا كان الحال في كندا .. فقد اضطر المسئولون الكنديون للإعلان — رسميا— عن بدء التحقيقات في الفضيحة، في أعقاب تقرير صحفي نشرته جريدة " تورنتوستار" الكندية اليومية كشفت فيه عن أن : " تحقيقات قد بدأت لتوها بالفعل، وأن الدوائر الأمنية في أوتاوا لا تزال تتكتم على النبأ، وترفض تحديد هوية الجواسيس، الذين يعتقد أن لهم صلة بواقعة التجسس " !!

وفي محاولة للتقليل من أثر الفضيحة وضعت السلطات على لسان "مايك جوديت" المتحدث الرسمي باسم الشرطة الملكية الكندية بعض الكلمات المهدئة، حيث لم ينف صحة المعلومات التي نشرتها الجريدة الكندية ولكنه كان حريصاً على أن يقول إنه " ليست هناك مؤشرات حتى الآن تؤكد اختراق الأمن القومي لكندا " في إشارة مبطنة منه، لاحتمال فشل محاولة التجسس الأمريكية الإسرائيلية في تحقيق أهدافها " !!

ويوماً بعد يوم، راحت تفاصيل الفضيحة تتكشف شيئاً فشيئاً . لقد نجح الجواسيس الأمريكيون والإسرائيليون - في جهد جماعي منظم - باختراق ملفات سرية عالية الأهمية لكل من وكالة المخابرات الكندية المعروفة اختصارا باسم " سي . سي . آي. أس " - csis - وإدارة الاستخبارات الكندية التي تحتوي على معلومات تتعلق بالتنسيق بين الجهتين حول بعض الموضوعات الأمنية القومية الحساسة .

وقد تم الاختراق كما اكتشفت المخابرات الكندية بواسطة أجهزة كمبيوتر، تستخدم برامج متطورة في مجالات التجسس، وسرقة المعلومات تعرف باسم "Trap Door" أو" الباب المسحور"، وهوالتعبير الذي راح يطلق على الفضيحة في مانشيتات الصحف، وتحليلات خبراء التجسس !

كما كشفت التحقيقات عن معلومات أخرى تفيد بأن باستخدام عملاء أمريكا وإسرائيل برنامج آخر يسمى " الوعد " - Promis - وهوبرنامج كانت قد ابتكرته إحدى شركات الكمبيوتر الأمريكية عام ١٩٨٨، ثم اتهمت الشركة فيما بعد وكالة المخابرات الأمريكية "سي . آي . إيه" بأنها قامت بنسخ إصدارات عديدة منه بالتعاون مع إسرائيل وتوزيعها على العملاء السريين لكلا البلدين في جميع أنحاء العالم .

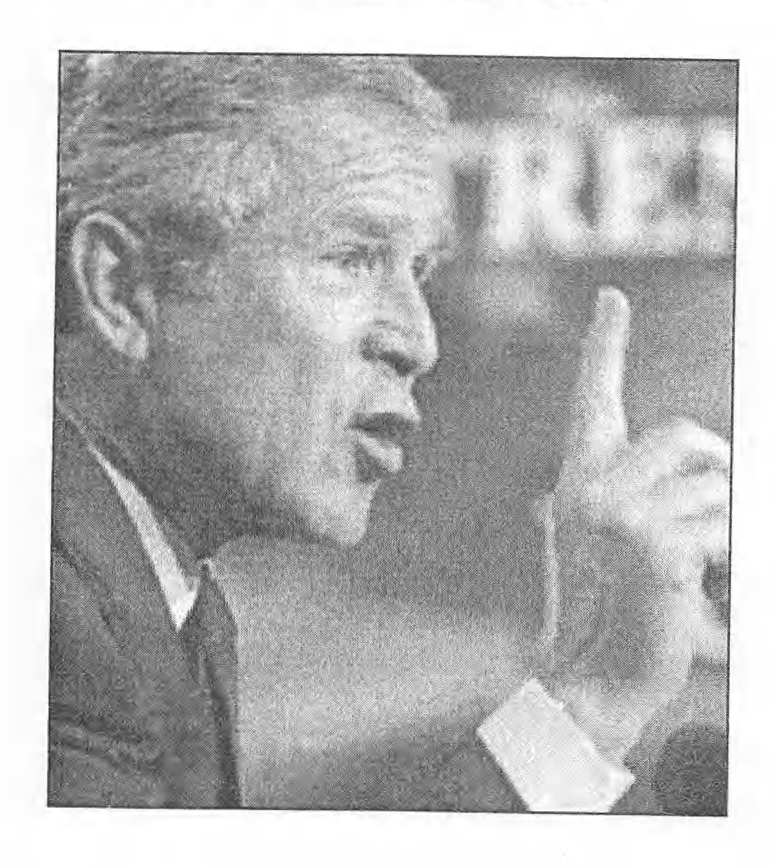
أما الموضوعات التي شملتها عملية التجسس فتتصل بملفات هامة حول الشركاء التجاريين لكندا، ومعلومات أخرى مفصلة حول بعض الجماعات المتهمة بالإرهاب فوق الأراضي الكندية والأمريكية، فضلا عن معلومات إستراتيجية أخرى حول الاتجاهات الكندية إزاء المواقف والعلاقات الدولية .

وكما جرت العادة، ففى ردود الفعل الأولية.. نفى الدبلوماسيون في كل من السفارتين الأمريكية والإسرائيلية في أوتاوا صحة هذه المعلومات التي تم الإعلان عنها وقالوا بغرابة شديدة : إنهم لا يعرفون شيئا عن الموضوع !!

الأغرب، أن التقرير السنوي للمخابرات الكندية، الذي كان قد نشر قبل تفجر الفضيحة بشهر واحد قد أشار إلى أن هناك دولا صديقة تسعى إلى التجسس على كندا، وبذل جهود كبيرة لسرقة معلومات وتكنولوجيا حساسة .

وذكر التقرير أن من بين المجالات الهامة لتجسس هذه الدول : مجالات الفضاء والتكنولوجيا والبيوتكنولوجي، والكيمياء، والاتصالات، والتعدين، والصناعات المعدنية، والطاقة النووية، والبترول، والبيئة !!

٢١ - موضة جديدة اسمها التجسس على المساجد!!



■ وأمام الفضيحة، اضطرت إدارة بوش للاعتراف بأنها تدير برنامجاً سرياً للتجسس على المساجد .. ولم تجد من ذريعة لتبرير عملياتها غير المشروعة، والتي تمثل انتهاكاً لدور العبادة، سوى أن تقول إن الهدف هومراقبة مستويات الإشعاع في مساجد المسلمين وبيوتهم خوفا من هجوم نووي !!

٢١- موضة جديدة اسمها

التجسس على المساجد !!

اعترفت الحكومة الأمريكية بإدارتها برنامجا عالي السرية. يخول مكتب التحقيقات الفيدرالي مراقبة مساجد المسلمين ومساكنهم وأعمالهم في العديد من المدن الأمريكية سرا منذ عام ٢٠٠٢. لرصد أي معدلات إشعاع غير طبيعية.

وقالت مجلة "يوإس نيوز أند وورلد ريبورت" في موقعها علي شبكة الانترنت ان أكثر من ١٢٠ موقعا يتردد عليها المسلمون من مساجد وأماكن سكن ومتاجر ومستودعات وضعت تحت المراقبة. وذلك بحثا عما تعتبره الادارة الأمريكية قنابل نووية أواشعاعية محتملة.

أضافت ان عمليات المراقبة التي يقوم بها مكتب التحقيقات الفيدرالي وفريق متخصص في الطاقة النووية كانت تشمل في بعض الأحيان قيام عناصر حكومية بالدخول الي ممتلكات بدون مذكرات تفتيش أوأمر من المحكمة. في عمل يري محامون انه غير قانوني.

سري للغاية

قالت ان هذا البرنامج الحكومي الذي يشمل العاصمة واشنطن ومدن شيكاغووسياتل وديترويت ونيويورك ولاس فيجاس. مصنف علي أنه سري للغاية وقد بدأ بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١.

وحسب المجلة فان بعض المراقبين العاملين في اطار البرنامج طردوا من عملهم عندما تساءلوا عن مدي قانونية البرنامج. الذي يدخل ضمن خطة عامة وافق

عليها البيت الأبيض تقضي بتخويل وكالة الأمن القومي مهمة المراقبة الالكترونية للأهداف الأمريكية المحتملة دون الحاجة الي أوامر قضائية.

لكن متحدثا باسم مكتب التحقيقات الفيدرالي قال ان جميع العمليات والتحقيقات التي تقوم بها الوكالة تدخل في الاطار "القانوني" وانها تستند الي معلومات استخبارية حول تهديدات ارهابية أوجنائية.

أضاف ان فحص عينات الهواء المحيط بمقار عمل ومنازل ومساجد المسلمين سببه خشية السلطات من محاولة تنظيم القاعدة شن هجوم بأسلحة نووية أومشعة.

رد فعل غاضب

وفي أعقاب الكشف عن هذا البرنامج السري. أعرب زعماء المسلمين في الولايات المتحدة عن استيائهم الشديد وخشيتهم من تصاعد الحملة التي تنال من حرياتهم الشخصية.

وأعرب نهاد عوض المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الاسلامية الأمريكية "كير" في واشنطن عن تخوفه من تحول الولايات المتحدة الي "دولة خوف" تجعل الأقليات مثل المجموعات المسلمة الأمريكية كبش فداء.

وقال إن هذه الأنباء شكلت صدمة كبيرة لمسلمي الولايات المتحدة وتسببت في خلق شعور بأن المسلمين يستهدفون لمجرد كونهم مسلمين.

وأعرب عن اعتقاده بأن هذه ليست الرسالة التي ترغب الحكومة في توجيهها في مثل هذا الوقت. مشيرا الي أنها تعطي انطباعا بأن الولايات المتحدة بلد قد يقوض فيه الخوف الحقوق الدستورية للمواطنين.

ويأتي الكشف عن هذا البرنامج وسط الجدل المحتدم داخل الولايات المتحدة وخارجها حول مشروعية عمليات التنصت التي أمر بها الرئيس جورج بوش علي الاتصالات الهاتفية والالكترونية لمواطنين أمريكيين بدون إذن قضائي.

وقد دعا أعضاء من مجلس الشيوخ لجنتي المخابرات والقضاء في المجلس الي اجراء تحقيق مشترك لتحديد ما اذا كانت الحكومة تنصتت علي أمريكيين دون "سلطة قانونية مناسبة".

كما يتزامن مع النقاش الحاد الذي يدور بشأن مستقبل قانون مكافحة الارهاب المعروف بقانون الوطنية الذي يتيح للرئيس "استخدام كل القوة اللازمة والمناسبة" لمكافحة من يسمون الارهابيين والذي قرر الكونجرس تمديد العمل به.. وفي السياق ذاته كشفت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية أمس ان وكالة الأمن القومي قامت بعمليات تجسس ومراقبة علي المكالمات والبريد الالكتروني للمقيمين داخل الولايات المتحدة دون الحصول علي إذن قضائي بصورة تفوق ما اعترفت به إدارة الرئيس بوش.

ونقلت الصحيفة عن مسئولين حاليين وسابقين بالحكومة لم تكشف عنهم القول ان وكالة الأمن القومي تمكنت بمساعدة شركات الاتصالات الأمريكية من اعتراض الاتصالات المحلية والدولية. لكن الصحيفة لم تكشف عن أسماء تلك الشركات.

وقالت ان الفنيين بوكالة الأمن القومي قاموا بعملية تمشيط لمساحات كبيرة من شبكة الانترنت وتنصتوا علي كمية هائلة من الأحاديث الهاتفية في محاولة للتوصل الي خيط يقودهم الي "ارهابيين".

لكن الصحفية نقلت عن مسئول بارز القول ان حجم المعلومات التي تم الحصول عليها عبر بيانات الاتصالات والشبكات الصوتية دون تصريح قضائي أكبر بكثير مما اعترف به البيت الأبيض.. ونقلت الصحيفة عن مدير سابق بإحدي شركات الاتصالات الكبري القول ان الشركات تقوم بتخزين المعلومات الخاصة بالاتصالات الهاتفية منذ وقوع هجمات سبتمبر ٢٠٠١ ثم اعطائها للحكومة الاتحادية.

٢٢ - حتى طلاب الفنون
الجميلة جواسيس!!



Almaliach Naor and Shmuel Dahan
Israeli Operatives in US Custody
Erwin, Tennessee, 5/12/2004

■ وقد أدت الاعترافات إلى الإمساك بباقي أعضاء الشبكة فى نيويورك وبتسبرج وبرشلونة، و٧ آخرين فى بريطانيا وألمانيا والنمسا وهولندا جميعهم إسرائيليون.

٢٢- حتى طلاب

الفنون الجميلة جواسيس !!

فى نهاية عام ٢٠٠١، اعتقلت السلطات الأمريكية ١٢٠ إسرائيلياً بتهمة التجسس، وذلك فى أثناء حمى أحداث ١١ سبتمبر. وقد ادعى هؤلاء أنهم طلاب فى " أكاديمية بيزالل " للفنون الجميلة التابعة لجامعة القدس . وعندما أخضعوا لجهاز كشف الكذب لم ينجح أحد، كما لم يستطع أى منهم أن يبرز أى وثيقة تثبت انتسابه لهذه الأكاديمية .

وقد أثبتت التحقيقات انتماءهم إلى أجهزة مخابراتية فى إسرائيل، وأن أنشطتهم التجسسية شملت ٤٢ مدينة فى الولايات المتحدة طوال عام ٢٠٠١ .

وقد رصدت وثيقة من ٦٠ صفحة لإدارة مكافحة المخدرات أنشطة هذه المجموعة من العملاء الإسرائيليين، وأوضحت أنهم كانوا يقومون بزيارات مشبوهة للمصانع الفيدرالية خاصة العاملة فى مجالات التكنولوجيا العسكرية، ومحاولات التسلل إلى وزارتى الدفاع والعدل، وإدارة مكافحة المخدرات، وقاعدة ماكديل الجوية وقاعدة تينكر الجوية والتى تحوى طائرات الإنذار المبكر " أواكس " والقاذفة المقاتلة الحديثة B-١، وقد تم تحذير ضباط هاتين القاعدتين والعاملين فيهما من أنشطة طلاب الفنون الجميلة الإسرائيليين .

كما حاول بعض هؤلاء الإسرائيليين استهداف أعضاء فى الكونجرس وقضاة فيدراليين .

وفى ٢٣ مارس ٢٠٠١ أصدر مسئولوالاستخبارات المضادة نشرة تحذر من الإسرائيليين المتخفين كطلبة فنون جميلة تستهدف المكاتب والمسئولين الحكوميين.

كما ازداد قلق أجهزة الأمن الأمريكية عندما اكتشفت سيطرة شركة إسرائيلية تدعى" فيرينت " على كثير من مجالات الاتصالات ذات الحساسية العالمية، حيث تقوم بتزويد رجال القانون الأمريكيين بمعدات كمبيوتر محمول يمكن من خلالها تدخل الإسرائيليين عليها والتنصت على محادثاتهم .

كما تمكنت شركة إسرائيلية أخرى هي " أمدروس " من الحصول على تسجيلات شاملة لكل المكالمات التى تقوم بها أكبر ٢٥ شركة تليفونات أمريكية. وتبرز خطورة هذا الأمر من شراء إدارة مكافحة المخدرات الأمريكية فى عام ١٩٩٧ ما يساوي ٢٥ مليون دولار معدات اعتراضية من الشركات الإسرائيلية، وهوما عرض أنظمة هذه الإدارة للاختراق من قبل إسرائيل، خاصة مع محاولات عديدة لهؤلاء الطلبة الإسرائيليين فرض أنفسهم على ضباط وعملاء إدارة مكافحة المخدرات من خلال زيارتهم فى منازلهم !

وقد أثبتت التحقيقات أن هناك منظمة دولية تعمل على تهريب المخدرات إلى الولايات المتحدة مركزها إسرائيل، وأن الملحقين العسكريين الإسرائيليين الذين عملوا فى سفارات إسرائيل بدول أمريكا اللاتينية فى فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضى، أقاموا علاقات تعاون مع منظمات إنتاج وتهريب المخدرات. وقد نجحت إدارة مكافحة المخدرات فى كشف شبكة لتهريب مواد كيماوية مخدرة تعرف باسم " استاسي " يرأسها إسرائيلي يدعى " أوريد تويتو"، وقد أدانته محكمة فيدرالية فى لوس أنجيلوس فى الخامس عشر من أغسطس عام ٢٠٠١ مع أحد عشر شخصا بتهمة تهريب مائة ألف قرص من هذا المخدر إلى هذه المدينة وحدها.

وقد أدت الاعترافات إلى الإمساك بباقي أعضاء الشبكة فى نيويورك وبتسبرج وبرشلونة، و٧ آخرين فى بريطانيا وألمانيا والنمسا وهولندا جميعهم إسرائيليون، ومصادرة ٤٠٠ كجم من هذه الأقراص المخدرة قيمتها ١,٦ مليون دولار فى مدينة لوبيك فى ألمانيا، ومثلها فى لندن، وأخرى فى مدينة هارلم الهولندية.

وتقدر كمية المواد المخدرة التى تتولى هذه الشبكة تهريبها بنحو ٥٠٠ مليون قرص سنويا ثمن الواحد منها نصف دولار، أما سعره فى السوق فيصل إلى ٣٠ دولاراً، وتباع هذه الأقراص المخدرة معلبه مثل الدواء العادي وعلى غلاف العلبة نجمة داوود.

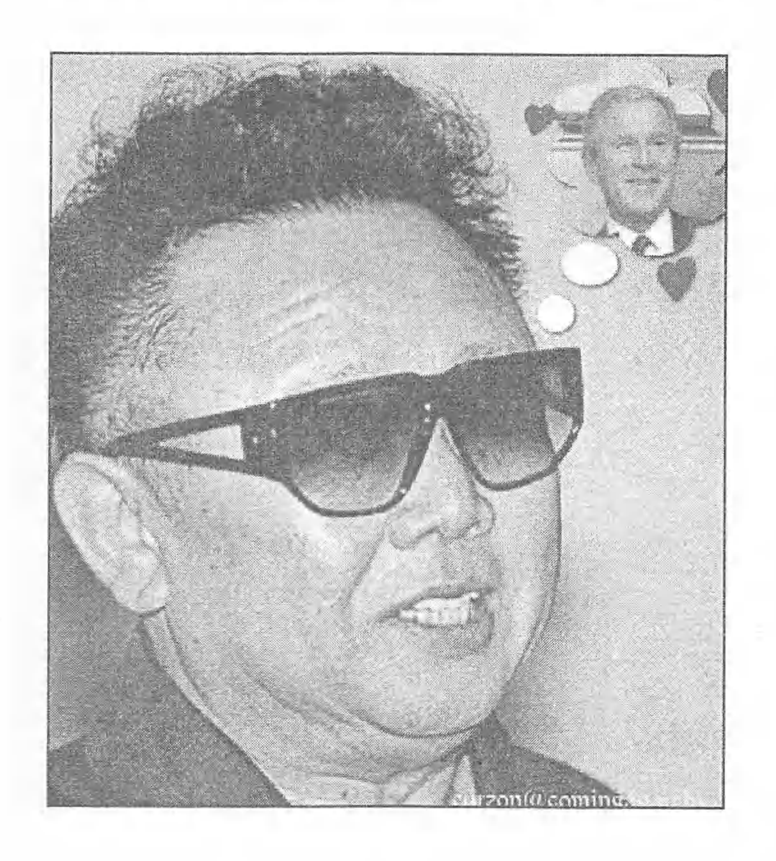
وقد أكد تقرير للأمم المتحدة نشر فى فبراير ٢٠٠٢ أن منظمات المخدرات فى كولومبيا تشحن الكوكايين إلى أوروبا لتستبدل به بحبوب استاسي التى يجرى تهريبها إلى الولايات المتحدة. ومن المعروف أن للموساد الإسرائيلى علاقات قوية مع عصابات المخدرات فى كولومبيا، وكانت محكمة فى بوجوتا قد أصدرت حكما غيابيا على كولونيل فى الجيش الإسرائيلى يدعى (يائير كلاين) بتهمة تدريب ميليشيات كولومبية.

وهكذا تداخلت عمليات التجسس السياسى مع العمليات الإرهابية ومع عمليات تهريب المخدرات وغسل الأموال، وكلها تمسك بخيوطها إسرائيل. وحاولت عناصر اللوبى الصهيوني فى الولايات المتحدة منع هذه الوثيقة من الانتشار فى وسائل الإعلام، والتشكيك فى صحتها، التى كشف عنها جون. ف. ساج في اسبوعية " ويكلي بلانت " الأمريكية، كما حاولت أيضا الوكالات الحكومية تقليل الاهتمام بها عندما تسربت تفاصيلها بعد أن تقلص حجم الوثيقة إلى ٦٠ صفحة بعد أن كانت تقريراً يقع فى ٢٥٠ صفحة، وهوما لم يسمح بتداوله.

ويبدومما نشرته الصحف الأمريكية تعقيبا على قضية لاري فرانكلين- تحدثنا عنها آنفاً - أن القضية لا تتوقف عنده، بل تتعداه إلى شبكة تجسس كبرى أقامتها إسرائيل فى أنحاء الولايات المتحدة، وأن الأجهزة الأمنية الأمريكية تتعقب شخصيات دبلوماسية وضباط مخابرات إسرائيليين وعملاء فى واشنطن ونيويورك ومدن أخرى، وقامت بتصويرهم والتنصت على محادثاتهم. وقد أفاد تعقب أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين فى سنوات ١٩٩٧، ١٩٩٨ فى القبض على فرانكلين في عام ٢٠٠٤ .

وكشفت التقارير عن ان هذه الشبكة الإسرائيلية تعتمد على وسائل تجسس بشرية وتكنولوجية، وتسعى بشكل مكثف لاختراق الوزارات والأجهزة الحساسة فى الولايات المتحدة والحصول على وثائق منها من خلال تجنيد عناصر فيها .

٢٣ - التلميذ والكنيسة والرئيس كيم!!



■ والأغرب، أنه قد تم اكتشاف ذلك بالمصادفة حيث التقطت وكالة الأمن القومي رسالة فاكس مريبة أرسل بها مواطن أمريكي من كوريا الجنوبية يدعى جون ياي !!

٢٣- التلميذ والكنيسة والرئيس كيم !!

ووفق قواعد حرب الجواسيس الجديدة في القرن الواحد والعشرين، ظهر لاعبون جدد بالأمس القريب لم تكن لهم في عالم الجاسوسية ناقة ولا جمل، ومن هؤلاء اللاعبين الجدد كوريا الشمالية !!

فقد تم كشف النقاب عن أن نظام كيم جونج إيل في بيونجيانج قد تمكن بدوره من اختراق مواقع حساسة داخل الولايات المتحدة .

والأغرب أنه قد تم اكتشاف ذلك بالمصادفة حيث التقطت وكالة الامن القومي رسالة فاكس مريبة ارسل بها مواطن امريكي من كوريا الجنوبية يدعى جون ياي. وقال ياي في رسالته انه لايزال يبحث عن " تلميذ جديد للعمل في الكنيسة " .

واحالت الوكالة نص الرسالة الى مكتب التحقيقات الفيدرالي . وكانت الرسالة مرسلة الى رقم في الصين. وكان ذلك في يناير ١٩٩٨ . وقرر المكتب وضع ياي تحت المراقبة. وتتابعت الرسائل التي اتبعت اسلوبا بدائياً، وتبين ان الشبكة التي اسسها ياي تمكنت من العمل منذ ١٩٩١ لسبب واحد بسيط، هوانها ابتعدت عن الاساليب المعقدة في الاتصال التي تتبعها شبكات التجسس المتطورة.

واعتقل ياي، وجرى استجوابه فكشف عن ثلاثة جواسيس كان واحدا منهم يعمل في شركة تصنع الانظمة الدفاعية المتطورة، وحكم عليه بالسجن لمدة ٢٠ عاماً فيما تلقى الجواسيس الآخرون احكاماً متفاوتة بالسجن. الا ان اللافت للنظر ان ياي رفض الافصاح عن هوية جاسوسين آخرين لم يتمكن المكتب من الوصول اليهما خلال فترة المراقبة، ولكن علم بوجودهما من رصد ثلاث رسائل بعث بها الى المشرف عليه في بكين.

٢٤ - قصة الجاسوس ولد كيجة الألماني!!



■ وتم إرسال "تورستن" إلى موريتانيا لتجريب إمكانياته على الأرض وهومالم يتمكن من فعله، وقبل مجيئه إلى موريتانيا كان للسيد"كوخ" مشروعه في التقرب من الاستخبارات المركزية الأمريكية في البحث عن "ولد الصلاحي".. غيرأن تسليم الأخيرإلى الأمريكيين أفسد عليه ذلك المسعي، إلا أنه استمرفي الطريق إلى الإسلاميين الموريتانيين في علاقتهم "المزعومة" مع القاعدة .

٢٤- قصة الجاسوس

ولد كيجة الألماني !!

قصة هذا الجاسوس كشف عنها لأول مرة رئيس المؤسسة الموريتانية للديمقراطية المصطفي عبد الرحيم ولد ابن المقداد المقيم في كندا عام ٢٠٠٤، حيث كتبها باللغة الفرنسية قبل أن ينقلها للعربية الأستاذ الدكتورأحمد ولد نافع الأستاذ في جامعة المرقب بليبيا .. واليكم القصة كما كشف عنها الدكتور نافع : بالنسبة للذين لايعرفونه باسمه الحقيقي فإن "تورستن كوخ" استخدم اسما مستعارا تحت مسمى "احمد الكالي" يوقع به على موقع موريتاني نت منذ نهاية التسعينيات، وهوالآن المشرف الرسمي للنشرية الإعلامية المسماة "موريتاني آكتى"، وقد زار موريتانيا مؤخرا إبان الحملة الانتخابية الرئاسية نوفمبر ٢٠٠٣ في مهمة يبدوان لها أغراضا مشبوهة كما هي مشابهة لمهمة "ولد كيجة النصراني" (رينيه كاييه) المعروف في الذاكرة الشعبية الوطنية.

إنه شاب ألماني في عشرينياته وأحد نشطاء حزب بيئي في ألمانيا (حسب زعمه) أُدخِلَ في القضية الموريتانية من قبل أحد المعارضين الموريتانيين "المفترضين" في أوروبا ممن يترددون على مراتع الرذيلة هناك، وهكذا لم يجد السيد "كوخ" عناء كبيرا في اصدار نشريته الإخبارية خلال مرحلة عصيبة من تاريخنا الانتخابي.

هذا الألماني الفقير الطامح والمحترف للكذب أقحمه عمدا أحد عناصر المخابرات الموريتانية في فرنسا متقمصا شخصية مهنة صحفي، وأوهم هذا العنصر الموريتاني السيد "كوخ" بأن عرض عليه أن يكون مستشارا إعلاميا في رئاسة الجمهورية، وهوما أثار انتباه سادة العنصر المذكور حول الأدوار الخبيثة التي يمكن أن يلعبها

" تورستن"، إلا أنه نسي لتواضع خبرته أن مصالح العصابات التي اخترعته قادرة على إزاحته وحتى على فضحه على الملأ كافة .

وتم إرسال "تورستن" إلى موريتانيا لتجريب إمكانياته على الأرض وهومالم يتمكن من فعله، وقبل مجيئه إلى موريتانيا كان للسيد"كوخ" مشروعه في التقرب من الاستخبارات المركزية الأمريكية في البحث عن "ولد الصلاحي".. غير أن تسليم الأخير إلى الأمريكيين أفسد عليه ذلك المسعي، إلا أنه استمر في الطريق إلى الإسلاميين الموريتانيون في علاقتهم "المزعومة" مع "القاعدة"، وأراد "تورستن" أن يثبت للمصالح الغربية بوجود "إرهابيين" في موريتاينا وهوما مكن زعماءه المافيويون الموريتانيون من إقناع الأمريكيين بتقديم يد العون لهم، إلا أن "تورستن" لم يفلح في ذلك وهوما يعني أنه ليس الشخص المناسب لتلك المهمة، كما أن الشخصية التي تتخفي وراءه تريد أن تجد طريقا إلى الاستخبارات الأمريكية بعد أن أعجزتها المخابرات الفرنسية قبل أن تصبح "كبشا أسود " للمخابرات الموريتاينة.

إنه موقع تم خلقه وإدارته من قبل أحد عناصر الاستخبارات الموريتانية تحت إشراف الألماني الساذج من أجل تحويل أنظار الرأي العام الذي يتابع بشراهة صفحات "موريتانى نت" وكذا " افلام نت" وذلك بعد إخفاق عمدة لكصر ولد الزين من خلال إفلاس مشروعه المدافع عن الصورة الافتراضية للعقيد ولد الطايع وسلطانه، وبعد نشريته الموسمية عن الأمطار ومن خلال رسائل بعثها مجهولون من فرنسا بمسميات مستعارة من قبيل (فتحي حسين، جمال ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، منصورة، ربي ماري، محمد لهواش، صقطار، السالكه منت هيين .. الخ) وهكذا فقد هذا الموقع كل مصداقية منذ إنشائه حتى الآن.

وكان هدف هذا العنصر الاستخباراتي هوالحصول على دعم وتمويل من أسياده وإقصاء السيد العمدة الذي أصبح فريسة للمعارضة. وليثبت فاعليته قام هذا المعارض "الوهمي" بإنشاء موقع وحصل على التمويل الكافي وهكذا رأت نشرية

"موريتاني آكتى" النور. وقامت من بدايتها بنشر والتقاط معلومات من مصادر شتى حول موريتانيا، ثم شيئا فشيئا بدأ ينزاح الغطاء عن وجهها الحقيقي وذلك حين غدت ترجع في مصادرها الإخبارية إلى الصحف المنضوية تحت لواء الحكومة الموريتانية .

وخلال وجود "تورستن" في موريتانيا واثناء الحملة الانتخابية الرئاسية ظلت النشرية المذكورة وفية لسيناريواللعبة المظلمة والدنيئة في معالجة الأخبار وفقا لمايسمي سياسة الـ"بلاك آوت" (أي تجاهل أية أخبار لاتصب في مصلحتها)، وقد استمرت النشرية في مهمة تلطيخ صورة المعارضة ومرشحيها المعروفين.

وكانت المفاجأة الكبرى هي نشرها لماسمي "اغراب ١" ونعتها بالإصبع للفاعل المفترض! ولم تكلف النشرية نفسها عناء نشر تفاصيل مقابلتها للسيد المرشح ولد هيدالة والتي نفا فيها ان يكون ولد المعلوم هوالمسؤول عن الخطة المذكورة.

وعلى الرغم من أن الصحفي بوجه عام والأجنبي على وجه التحديد ينبغي ان يكون محايدا ومنصفا وموضوعيا فإن اعتقال الأخ محمد بابا ولد السعيد لم نجد له ذكرا على صفحات تلك النشرية حتى بعد حل تنظيم ضمير ومقاومة، فهل هناك تفسير لذلك؟! وهل يمكن تفسير التحوير الذي طرأ على بعض مقالاتي مثل البريد ٤١٠٩ الصادر بتاريخ ٢٩- مارس ٢٠٠٤؟ عن اختلاس الأموال العمومية حيث اختفت أوأخفيت أوتوماتيكيا بعض العبارات وتم استبدالها برابط الكتروني!؟ هل أن أي صحفي أجنبي اومن يتخفي خلفه له كامل الحق في عرض آرائه الشخصية حول المقالات الواردة من طرف شخص ثالث؟

وبعد الانتخابات الرئاسية أصبحت استراتيجية النشرية واضحة المعالم فكثرت التهجمات المباشرة على بعض الشخصيات وكثرت أيضا عملية نشر الاخبار الكاذبة والمغلوطة، وأصبحت النشرية تخفي معلومات لاعلاقة لها البتة بموريتانيا من قريب اومن بعيد بين سطور اخبار الوطن، وهذه المعلومات المنتقاة بوعي تتعلق أساسا بـ: "

القاعدة" و"الارهاب" وافغانستان .. الخ والمثال الأقرب حضورا هوما نشر يوم ٣١ مايو٢٠٠٤ عن صحيفة الغارديان الانجليزية.

ويشي ترتيب المقال وسط معلومات مأخوذة من مصادر أخرى مثل "أخبار انواكشوط" و"وكالة أنباء عموم إفريقيا"، و"وكالة الأنباء الموريتانية" وهي مصادر في كل الأحوال متاحة على الانترنت، كل ذلك يظهر أن المشرف على النشرية رغب في تشويه صورة ديننا الحنيف من خلال إدخال رسالة حول "القاعدة" مأخوذة من جريدة بريطانية، هذا مع ادعائه بمنع نشر أي رسائل أخرى لا تتعلق بموريتانيا والتي يرغب أشخاص آخرون بثها من الموقع كما يقول!

إنه لا ينشر المقال لكنه يقوم بكل تهجم بالكتابة والنشر على الموقع من خلال رسائل قادمة من طرف موالين له ان لم تكن منه.

والمقال الذي أرسلته يوم ٣١ مايو٢٠٠٤ والذي صدر متزامنا في عدة صحف ومواقع كندية يظهر حقيقة الغش في فيديو"نيك بيرغ" ألحقَ بالإرهابيين ونشرت المعلومة نشرية " موريتاني آكتى"، ولكن بما أنكم تقومون بدعاية رخيصة ضد الإسلام والمسلمين فإنكم تقومون بمنع نشر المعلومة المكذبة لهذا التدليس السابق نشره من طرف السيد "كوخ".

فهل لديك يا "تورستن" الحق في إخفاء الحقيقة أم أنكم تقومون بدور المادة ١١ المعروفة نيابة عن الحكومة الموريتانية على الانترنت؟ أوببساطة تنشرون ما من شأنه تشويه صورة المسلمين حول العالم؟

هل أن معلومة "الغارديان" التي نشرتها " موريتاني آكتى" حول دخول بريطاني الإسلام، والتي تحتاج في كل الأحوال إلى إثباتات قوية هل لها صلة بموريتانيا؟ أوليس ذلك خارج الموضوع في الحقيقة؟ هل يقبل هذا من مشرف يدعي انه صحفي ولاهم له إلا التهجم على المعارضة الموريتانية؟

ومن جهة أخرى وفي نفس سياق الدعاية المبتذلة ضد ديننا الحنيف قامت نشرية "موريتاني آكتى" في عدد يوم ٢٠٠٤/٦/٢ من خلال الإثارة والإشارة إلى "ولد الصلاحي" بالبنط العريض.. هل هذا بريء؟ هل هوتركيب أوليس إثارة إعلامية مكشوفة وإلا فلماذا لاترشد القراء إلى عنوان للاتصال أوإرسال دعم إلى الرهينة الموريتاني الذي يجب أن يدان ويحاكم إذا كان مذنبا في موريتانيا وليس على جزيرة تحت مظلة القانون الأمريكي!!

إن مستهلكي المعلومات العاديين ومتصفحي نشرية "موريتاني آكتى" سيظنون ببساطة أن موريتانيا بلد المتعصبين المتصلين بـ "القاعدة"، وأن المعارضة فيها ليست إلا إسلاميين ارهابيين!

هذه هي الرسالة التي يريد مشرف النشرية إرسالها.. هل أن هذا الصحفي "المقلد" يمكن ان يقدم تفسيرا للقراء حول رسائل ينشرها عديدة من قبيل: "رسالة من الرئيس السينغالي إلى نظيره الموريتاني" (وكالة أنباء عموم إفريقيا)، أو "الرئيس السينغالي عبد الله واد يبعث برسالة إلى ولد الطايع" (وكالة أنباء عموم إفريقيا)؟ وهل يمكن ان يفسر كيفية القيام بأسفاره وتنقلاته في إفريقيا وأوروبا؟ ومن يدفع لاستضافة موقعه في النمسا؟

إن زميلنا الصحفي الذي يدعي أنه عنصر فعال في المعارضة الموريتانية في المهجر استطاع أن يمكث في موريتانيا لفترة دون أية مشكلة؟ هل يستطيع ان يخبرنا لكي يحافظ على صورته المهنية (ان وجدت) ودفعا لكل شك، كيف تمكن من العيش في ألمانيا؟ وبشكل أكثر تحديدا كيف يدبر قوت عيشه؟

لقد التقي في موريتانيا بالعملاء المزدوجين من الوزن الثقيل ومكث أيضا عند أهل هيدالة، وكان ذلك الاختيار استراتيجيا من حيث العلاقة بابن الأسرة الذي يعرفه منذ إقامته في اوروبا، وأيضا من حيث ترشح السيد محمد خونه للرئاسيات!

ونظرا للكرم والضيافة والسذاجة السياسية قامت هذه الأسرة بحسن وفادته دون ان تحوم حوله الشبهات، ولكن بعد اعتقال أفراد هذه الأسرة تولد فضول متأخر ولكن بحسب المثل الفرنسي القائل "أن تكتشف ولومتأخرا أفضل من ألا تكتشف"! وكبرت التساؤلات حول إقامة هذا الصحفي الأجنبي خصوصا في ظل طرد السلطات لصحفيين اكثر ممارسة ومهنية منه من إذاعة فرنسا الدولية وغيرها.

وقبل ذهابه الى موريتانيا قام هذا الجاسوس المدسوس بالاتصال ببعض العناصر الإسلامية وروج دعاية كاذبة عن دخوله الإسلام بفضل زوجته المغربية، وخلافا لتلك الأقوال وبعد ان وصل الى موريتانيا تراجع عن سابق أقواله مدعيا أنه دخل الإسلام بفضل تردده على المساجد الإسلامية في ألمانيا!

ونظرا لسذاجته وقع في الفخ الذي نصبته له بعض العناصر الإسلامية من خلال متابعته بتريث وتأني من خلال الصلوات اليومية ووجهوا إليه بعض الأسئلة حول الإسلام والأهمية التي يوليها لتطبيق فرائضه، وبما أن سيده العنصر الاستخباراتي لا يملك معرفة كافية بالإسلام بل إنه يرمي به عرض الحائط فقد نسي أن يعلمه مبادئ الدين الحنيف (ان كان يعرفها) وكذا بعض الأبجديات في اللغة العربية لكي يغالط على الأقل مخاطبيه وسائليه، وبعد عدة لقاءات مع وجوه إسلامية إعلامية بارزة تم إقصاؤه من تلك الأوساط وتقوقع خجلا عند أسرة أهل هيدالة!

ولكن صاحبنا لم ييأس بل حاول التغلغل في أوساط المعارضة من خلال الزيارات التي قام بها لبعض رموزها إلا أنهم احتاطوا لذلك بعد إشاعته الكاذبة وتساءلوا حول وجود صحفي كان في السابق مقربا من المعارضة إلا أنه غدا ينشر أخباراً " أخبار انواكشوط " وبطولة دوري كرة القدم، وهكذا تبادلت المعارضة المعلومات بضرورة التحرز من هذا الشخص.

ومن جديد، قامت المخابرات الموريتانية المقتنعة بفكرة عنصرها القديم في فرنسا بوضع سيناريومحكم نجح أخيرا بعد طلب أسرة أهل هيدالة ومقربيها تمديد

إقامته في موريتانيا، ومن هنا انقشع الضباب عن اللعبة كلها وأراد العنصر الموجود في باريس أن يتجاوز حجمه الحقيقي من خلال محاولة إدخال الشاب الألماني الى الرئاسة وهوأمر عجز عنه كل من المستشار ابراهيم ولد عبد الله وفرانسوا سودينه والداه ولد عبدي .

وفي النهاية أفاقت الاستخبارات الموريتانية ووضعت نهاية لإقامة السيد "تورستن كوخ" كما ضحّت بعنصرها في فرنسا! ومنذ رجوعه الى ألمانيا والسيد "كوخ" يمارس سياسة الصمت الرهيب حيث لم يحدثنا عن يومياته في موريتانيا (وهوما يفعله الصحفيون الأجانب عادة في مثل هذه المناسبات) ولم يحدثنا حتى عن سبب رجوعه الى وطنه الأصلي ولماذا في هذا الوقت بالذات؟!

٢٥- الجاسوسة لين فأرة المختبر!!



■ كانت مهمتها السرية الأولى في المكسيك فعلموها الإسبانية .. نطق (ماك) بكلمات توحي لها بخطط المهمة .. والكيفية التي ستستغل بها جمالها الطاغي لاصطياد الفريسة .. وفي النهاية كانت المفاجأة .. لقد نجحت في سرقة أخطر الوثائق وهي في حالة تنويم مغناطيسي .

٢٥- الجاسوسة لين فأرة المختبر !!

تحت دعاوى الحرب على الإرهاب التي أصبحت شعار الألفية الثالثة، الذي ترتكب باسمه كل الخطايا والموبقات، وتداس باسمه كل القيم والأخلاقيات، كان للجاسوسية نصيب الأسد من جميع العمليات القذرة، التي لا تحارب الإرهاب بقدر ما تحقق أهدافاً أخرى بدعوى محاربته !!

ومن القصص التي تندرج تحت هذه الظاهرة الجديدة قصة الجاسوسة الحسناء " لينا " واسمها الكودي " فأرة المختبر " !!

تلقت " لين " منذ سن مبكرة دروساً في خفايا وأسرار الجاسوسية، وتعلمت فنون القيادة التي يجهلها من هم دون رتبة الجنرال، وأصبحت خبيرة في تحليل المواقف والحالات المستعصية، وتمكنت من التعامل مع كل صنوف الأسلحة، كما أجادت كل مهارات الدفاع عن النفس بالسلاح وبدون سلاح، وتعلمت اللغة الإسبانية حتى صارت تتقنها كأهلها، وكانت مهمتها السرية الأولى في المكسيك بعد أن طبقوا عليها برنامج الحسناء النائمة، وألبسوها فستاناً لتبدوكسائحة وصحبها مدربها " ماك "، ودخلا معاً إلى مبنى بالعاصمة المكسيكية يستخدم جزءاً منه للجمهور الراغب في التسوق والجزء الآخر يضم مكاتب حكومية تابعة للمخابرات تزخر بالوثائق السرية.

نطق ماك بكلمات ترتبط ببرنامج التنويم المغناطيسي الذي تطبقه وكالة المخابرات المركزية لأول مرة على الجاسوسة الصغيرة لين فتوحي لها الكلمات بما يجب عليها القيام به وهي في هيئة الجمال النائم، وبدأت لين تتصرف كأنها زوجة ماك، وشعرت بأنها موكلة بسرقة بعض المستندات المهمة بإحدى مكاتب المخابرات المكسيكية وتركت المنطقة التجارية وتجولت قليلاً قبل أن تتجه نحومدخل في الخلف،

واختارت وقتاً انصرف فيه الحراس لبعض شؤونهم، وفتحت الباب الخلفي ودلفت إلى الداخل، وتمكنت بما عرفت من مهارات أن تأخذ الأوراق المطلوبة، وكانت تعلم أن الإسبانية التي تجيدها ستنقذها من أي موقف محرج، أما إذا ما ألقي القبض عليها فهي مبرمجة بحيث تعود إلى حالة من النوم الخفيف مع ظهور شخصيتها الثانية كحسناء ممغنطة غافلة تماماً عن ما يحدث حولها، وغير واعية بما قامت به، وحتى إذا ما تعرضت لاستجواب أوتعذيب فإنها ستظل في حالة نسيان كامل ليس لديها من المعلومات ما يمكن أن تبوح به أويكشف سرها، وحتى في حالة اعتقالها وهي في حالة تلبس تكون في ذهول مثل (الذين يستجوبونها تماماً، ولكن المهمة نجحت، وكذلك نجحت تجربة الحسناء النائمة، وكان هذا كفيلاً بإعدادها لتجارب أخرى في مجالي الجاسوسية ومقاومة الإرهاب.

أخطروا لين أن مجتمع المخابرات يسبق دائماً العسكريين، ويهتم أكثر باحتمالات التهديد أكثر من اهتمامه بما يحدث، ولهذا فعندما كان العسكريون الأميركيون يفكرون في مواجهة ما يحدث من أزمات كان رجال وكالة المخابرات المركزية يشعرون بأن الخطر الذي يهدد أمن أميركا هوالفوضى التي يمكن أن تحدث نتيجة الإرهاب الداخلي والخارجي، وكان لا بد من إدخال لين في تجربة أخرى تتصل بمجموعة إرهابية تهاجم الولايات المتحدة الأميركية بقصد خلق فوضى أوقلب نظام الحكم، وبما أنهم لا يستطيعون استيراد إرهابيين لإجراء التجربة عليهم اختاروا مجموعات محلية، وأثار كشف التجربة فيما بعد سخط المجتمع الأميركي في كتاب عن " لين والسلاح الخفي " .

بدأت المخابرات المركزية في إعداد لين للتجربة الجديدة، وتم تدريبها على مهارات لقمع الجماعات الإرهابية، والسيطرة على الجمهور، وتطبيق قانون الطوارئ والعمل كخط دفاع أمامي في مواجهة قوة الغزومستعينة في هذا بقوة "دلتا" التابعة لقيادتها، وتلقت لين مع قلة من العملاء تدريب " الصفوة "، وكان لا بد من تدريب لين على كل ما تحتاجه لمواجهة هذا الخطر الداهم، ولهذا تعلمت كيف تقود

الطائرات المقاتلة "أف ١٤ "، وكيف تقود كل أنواع المركبات التي تسير على عجلات أومجنزرات، وكيف تتصرف في أعقد المواقف وتجد لها منفذاً للهرب.

بدأت مهمة الجاسوسة المقاتلة لين في مغارة واسعة تحت الأرض فيها نظام لمتروالأنفاق، وأخطروها بأن المخابرات تلقت معلومات مفادها أن هناك مجموعة إرهابية ستقوم بنسف المغارة، وقادت لين فريقاً من قوة دلتا وقاموا برحلة على عربة ركاب داخل كهف في قلب أحد الجبال، وكان المكان مظلماً ولكن أعينهم بدأت تتعود على الظلمة مع مرور الوقت، وتقول لين في روايتها لمؤلف الكتاب الذي أورد قصتها: مررنا من أبواب حديدية لنصل إلى الترام وكانت مساحة المغارة بطول ميدانين لكرة القدم، ومستوى الأرضية يتدنى ثم يرتفع لما يقرب من ارتفاع طابقين أوثلاثة في عمارة سكنية، والحرارة تكاد تصل لستين درجة، وشعرنا وكأننا في " بدروم " لا نهاية له، وحين استقلينا الترام المشابه للمترولم يكن فيه سائق، وانطلق بنا في نفق مظلم يبدوبلا نهاية، وقد جلس خلفي الجنود بلا حراك، وحين توقف نزلنا، ورأيت ثلاثة مدرجات خالية، وبما أنني قائدة الفريق فقد اخترت ثلاثة ليصحبوني لاكتشاف المكان، ووجدت حاجزاً وسرت قربه ببطء أرفع رأسي بعد كل خطوتين أوثلاث لأستكشف المغارة دون أن يلمحني ورفاقي أحد، وفجأة لمحت مجموعات متباينة من البشر، وكان من بينهم جماعة تُطلق عليها عادة حراس الجحيم يتدفقون بدراجاتهم البخارية ويتحرشون بالغير ليثبوا رجولتهم، وكانوا يجتمعون أوبالأصح جمعوا حول نار مشتعلة كتلك التي تضرم في الهواء الطلق، وكانت هناك مجموعة من أبناء أميركا اللاتينية يجلسون في دائرة ثم مجموعة من أميركيين سود في ثياب سوداء، واندهشت عندما رأيت هناك مجموعة عائلات بدت في هذا السيناريووكأنها تمثل مجموعة رهائن، وبدت الجماعات وكأنها طائفة ما، وكانت هناك مجموعة حراس يتحدثون بلكنة غريبة وأحياناً بإنجليزية لا تُراعى فيها قواعد اللغة، وأيقنت أنهم دخلوا أميركا حديثاً لأمر ما، وفجأة أبصرني أحدهم وصاح يحذر رفاقه وراحت المجموعات تلتف حول النار المتقدة، ولم يعد ثمة وقف

للتخطيط، ولكننا كلنا قد جلبنا من عناصر القوة ما يكفي لقمع هذا التمرد قبل أن يخطط ويتحرك باتجاه المدن، وفعلت ما يجب فعله وحولت بما لدي من عناصر النار التي تجمعوا حولها لاتقاء خطرنا إلى لهيب متفجر، وراحت الأخشاب المشتعلة تتطاير، وسمعنا الصراخ ونحن نتراجع نحوالترام حيث بقية الزملاء، وفوجئوا جميعاً بوهج النار التي أوقدوها يتزايد ويتضاعف حجمها إلى ثلاثة أضعاف وملابس الكثيرين منهم تحترق، وقبل أن يفيقوا من هول الصدمة كان الرصاص يتطاير، وحين بلغنا بداية النفق صُعق أحد الجنود الذين هرولوا أمامي حين رأى كرة من اللهب تتجه ناحيتنا وسحبته إلى الأرض، ومرت الكرة الملتهبة فوق أجسادنا إلى نهاية النفق، ونجونا بأعجوبة فالانفجار الذي انطلق على هيئة كرات ملتهبة لم يكن ليفرق بين عدووصديق، وما ألقيناه في النار حولها إلى حمم، وجحيم مستعر لا يبقي ولا يذر.

تمضي لين فتقول: كنت قد تدربت على تحويل المُطارِد (بضم الميم وكسر الراء) إلى مُطارَد (بفتح الراء)، وحين أحسست أن أحد الحراس يتبعنا انتظرته عند الزاوية ويدي مشرعة لأصيبه في القصبة الهوائية، فقد علمني المدرب أن الإصابة هنا تعيق التنفس ومن لا يستطيع التنفس يعجز عن القتال، وفجأة ظهر حارس ضخم الجثة وبادرته بضربة لم أزدها.

لحقت لين برفاقها في الترام بينما راحت الانفجارات تتوالى وتبعث بموجات ضغط هائلة عبر المغارة، وتحدثت ارتجاجاً في الأرض كالزلزال، وأمرت الجميع بالاستلقاء على أرض مركبة الترام، ولكن الترام المدار أوتوماتيكياً لم يتحرك، وكان لا بد من أحد ما ليعيد تشغيله من مكان ما وفقاً للخطة المرسومة سلفاً. وساد الهدوء، والكل في انتظار التحرك إلى الأبواب الكبيرة التي توحي بأنها وسيلة الهروب بسلام للخارج.

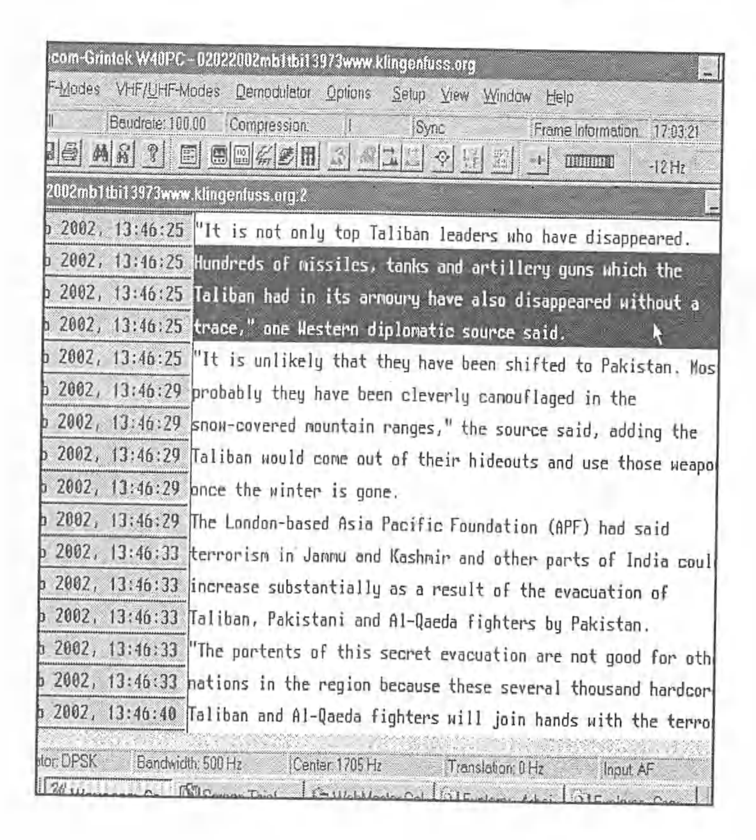
تقول لين: اتصلت لاسلكياً بالرئاسة، وأخطرتهم بأننا جميعاً لم نصب بسوء، وأن التمرد قد تم إخماده فلا حركة تنبىء عن حياة ولا صراخ يقطع الصمت، وفجأة بدأ الترام يتحرك إلى الخلف لنخرج من حيث أتينا، وعندما توقف بنا الترام عند

نقطة البداية لمحت ثلاثة فتيان أشبه بالمحققين أوالذين يعملون في مجال البحوث، وبدا من يتقدمهم وكأنه يعاني من الحر وقد راح يتصبب عرقاً، وطرق أحدهم باب المركبة، وقرأت في ملامحهم الهدوء رغم علمي بأن المظاهر خداعة، وفتحت الباب والجميع يصطفون من خلفي، وحيوني جميعاً ثم قال أحدهم: كيف قضيتم على التمرد؟ ثم استدرك قائلاً: أعني المجموعات الإرهابية؟ فأجبت: لم يكن الأمر سهلاً وقد اضطررنا لإحداث انفجار مروع، ورد رئيس الجماعة بقوله: حسناً فعلتم فهذا هوالقرار الصائب، ثم طلب منا أن نتبعه، ودلف من باب ونحن خلفه وأنا أردد في سري: هل يجب أن أثق في هؤلاء؟ ولكنهم لم يحركوا ساكناً يثير الريبة وإنما ظلوا يدونون الملاحظات على أوراق كانت معهم مشبوكة بألواح خشبية، وأخرجوها إلى مكان بعيد من حيث جرت المحرقة.

اعتبرت المخابرات المركزية أن مهمة الجاسوسة المقاتلة لين ناجحة بكل المقاييس، وأيقنت المخابرات أنها كانت على حق فالإرهاب المحلي إن أغفل يمكن أن يتحول إلى تهديد لسلامة الشعب الأميركي، وبدأ تطوير البرنامج ليس في التركيز على محاربة الإرهاب الخارجي بل وتدريب العملاء على قمع التمرد والإرهاب الداخلي، وتقرر أن يتغير تدريب لين مع تغير وتطور البرنامج، وتكريماً للعميلة لين تلقت تهنئة من رئيس الوكالة شخصياً تقديراً لنجاحها في التعامل مع الإرهابيين، وإفساد مخططات العدودون أن يعلم بالأمر سوى المجموعة التي قادتها بنجاح والذين اقتنعوا معها بأن الخطر الذي يهدد الأمن موجود وفي سبيله تهون التضحيات بالنفس.

ظلت لين تعيش حياة عادية بعد ذلك، وتحمل ذكريات متقطعة لتجاربها مع الاستخبارات، ولكن الشيء الذي ظلت تجهله أنها لا تزال مرتبطة بخيط رفيع خفي، تعمدت المخابرات أن يظل خفياً حتى إذا ما استدعت أودعت الحاجة لسحب هذا الخيط الرفيق ستكتشف لين - فأر المختبر - أنها ما تزال تخضع لـ " سي . آي . إيه"!!

٢٦- جواسيس الحركات الاسلامية!!



■ ورغم هذا التباين في السبل التي يجب اتباعها إلا أن الجميع اتفقوا علي استخدام المعلومات كسلاح خطير في التأثير علي أصدقاء أمريكا وأعدائها في الخارج.

٢٦ - جواسيس الحركات الاسلامية !!

تقضى الخطط الأمريكية التى وضعها وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد بأن يجرى تنشيط العمل الاستخباراتى البشرى، أى المعتمد على التخابر الإنسانى والذي بدوره سيساعد على التخابر الفضائى باستخدام الأقمار الاصطناعية، وهوما اعتمدت عليه وكالة الاستخبارات الأمريكية وثبت فشله الذريع فى التعرف على أهداف الحركات الإسلامية وتكويناتها وخططها وممارساتها.

ويعمل الجهاز الجديد تحت اسم فرع الإسناد الاستراتيجيSSB، ويعتمد على فرق ووحدات من أفراد يندسون فى المجتمعات الأجنبية ويتدخلون بسرعة ويمارسون الأعمال نفسها التى يقوم بها الجهاديون. وقد تحدث أوكونيل مساعد وزير الدفاع الأمريكى عن تدريب هؤلاء العملاء وتأهيلهم فقال، إنه التدريب أوالتأهيل الذى يسمح لهم بأن يضمنوا لأمريكا أن يكون أى رئيس دولة مجاورة غير معاد لنا، لأنهم سيتدخلون فى لمح البصر إذا تغيرت القيادة السياسية فى هذه الدولة أوتلك فى شكل مفاجئ.

وقال مسئول كبير فى البنتاجون سنعمل داخل الدول الحليفة. وخاصة تلك التى يحدث اضطراب فى بعض أقاليمها، وتلك التى تخرج فيها بعض الأقاليم عن نفوذ الحكومة وسيطرتها، وتلك التى تسمح لعناصر معادية لأمريكا باستخدام أراضيها.

بمعنى آخر لن تستأذن وزارة الدفاع الأمريكية الدول الأجنبية لسد فراغ أمنى نشأ فيها أوقبل القيام بعمل استخباراتى إرهابى فيها، لأن الوحدات أوالفرق الاستخباراتية التابعة لفرع الإسناد الاستراتيجى الموجودة فى الدولة الأجنبية مدربة على التخطيط والتنفيذ دون العودة إلى قيادة سياسية فى واشنطن.

وقد استخدم معلق أمريكى تعبيراً آخر لوصف هذه المهمات الاستخباراتية الجديدة بقوله، إن استخبارات التنفيذ الفورى لا تنتظر التحليل أوالتمحيص ولا تتحمل التردد، كما كان يحدث فى وكالة الاستخبارات الأمريكية. ولم يتطرق أحد بعد إلى سؤال منطقى هو، هل يعنى هذا التطور بأن جهاز الأمن الداخلى فى دولة ما لن يعرف إن كان الإرهاب الذى يحاربه محلياً أم أمريكياً كون الوحدات الاستخباراتية الأمريكية لن تبلغ الدول بوجودها أوبنشاطها لكى تنجح فى اختراق الإرهاب المحلى.

كماحدث في الصومال حيث شكلت الاستخبارات الامؤيكية فريقاً من امراء الحرب لمواجهة الإ سلاميين الذين شكلوا المحاكم الإسلامية هناك.

وفي تحقيق نشره الصحفي الأمريكي ديفيد كابلان في مجلة يوإس نيوز الأمريكية يعكس كيف تخطط المخابرات الأمريكية لغزوواختراق وغسل أدمغة الشعوب العربية والإسلامية.. تارة باسم الدين.. وتارة أخري بالديمقراطية وتارة ثالثة بدعوات الحرية.. فالتحقيق الكارثة يحكي تفاصيل ما دار في الغرف المغلقة، وكيف بدأت خيوط العنكبوت المخابراتية الأمريكية تعد لغزوعقولنا وقلوبنا.. ربما فشلوا أحيانا.. وربما تعثروا في أحيان أخري.. لكنهم في النهاية وجدوا ضالتهم.. في صورة حكومات مستعدة لمد اليد ما دامت ستقبض ثمن الوطن قطعة قطعة، وحركات لتطويع الدين.. وأشخاص بهلوانات مستعدين لتغيير ألوانهم وأفكارهم ولغتهم وآرائهم حسبما يسير تيار القسوة والجبروت والبطش.. فملء الجيوب والكروش عندهم يسير جنبا إلي جنب مع ملء أفواههم بالعسل المعجون بالسموم.. نعلم جيدا أن الصورة ليست قاتمة حتي النهاية.. ونوقن أن الوطن مليء بشخصيات محترمة تفضل الموت جوعا علي أن تفرط في حبة واحدة من تراب الوطن.. ولا تقبل أن تبيع دينها ولوبكنوز الدنيا.. لكنها صرخة تحذير نطلقها علها تجمعنا من فرقتنا.. فالمخطط أكبر من عمود إنارة سرق في عز الظهر.. أوبلدوزر اختفي ولم يعثر عليه أحد وكأنه إبرة في كوم قش.. إنه دين وعقيدة ووطن التفت حولها طيور الظلام ولن يهدأ لها بال إلا بعد أن تنال منها..

والقصة بدأت في يوليوعام ٢٠٠٣ حيث اجتمع عدد من القيادات البارزة في الإدارة الأمريكية تملؤهم نشوة ما اعتقدوا أنه تحقيق انتصار أمريكي في تلك الحرب التي زعمت واشنطن أنها ضد الإرهاب.. وتم عقد الاجتماع بجامعة الدفاع القومي بواشنطن.. وضم الاجتماع مديرين من البيت الأبيض ودبلوماسيين من وزارة الخارجية الأمريكية.. وإخصائيين في الحرب النفسية من وزارة الدفاع الأمريكية، وكان سيناريوالخطوط العريضة للاجتماع هوأنه إذا كانت الاحتجاجات المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية قد شكلت لها أرضا خصبة في البلدان الإسلامية حتي أصبح ينظر لمن تري واشنطن أنهم إرهابيون علي أنهم محبون لأوطانهم كما هوالحال في العراق فإن واشنطن نجحت رغم هذه الاحتجاجات في أن تخلق جيلا من المدافعين عن الديمقراطية حتي الموت كما هوالحال في إيران التي لقي فيها طلاب إيرانيون حتفهم دفاعا عن الديمقراطية.. وأشار المجتمعون إلي قناعتهم بأن تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الإسلامي هوالطريق نحوإقامة ديمقراطيات مستقرة.. وأشاروا أيضا إلي أن الولايات المتحدة الأمريكية لم يعد بوسعها أن ترضي بالجلوس علي الخطوط الجانبية بينما من تري واشنطن أنهم متطرفون يحاربون من أجل مستقبل ديني سياسي يؤمن به ما يزيد علي المليار شخص.

وحسب ما أشار إليه التقرير فإن المجتمعين توصلوا إلي نتيجة مفادها أن علي واشنطن بذل مزيد من الجهد للتأثير فيما وصفه المسئولون الأمريكيون بالإصلاح الإسلامي، وأن علي البيت الأبيض تبني سياسة جديدة تقوم علي أساس أن الأمن القومي الأمريكي يتطلب أن يكون لأمريكا دور في توجيه مسار الأحداث في العالم الإسلامي.. وأن يتم تركيز الجهود الأمريكية في هذا المجال علي ثلاث جهات هي الجماعات الإسلامية المعتدلة والمؤسسات المدنية والجماعات الإصلاحية بهدف حثها علي تبني قيم الديمقراطية وحقوق المرأة والتسامح مع الأقليات.

وحسب ما أورده التقرير في فإن المجتمعين أشاروا إلي أن خطأ الولايات المتحدة الأمريكية طوال السنوات التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة أنها سارت في الطريق

الخطأ في إطار حملتها لكسب قلوب وعقول أبناء العالم الإسلامي، ولم تكن الأجهزة الأمريكية المختلفة سواء في البيت الأبيض أوالمخابرات الأمريكية أووزارة الخارجية الأمريكية مسلحة بالشكل الكافي الذي يمكنها من حسم معركة الأفكار.. فلم يكن هناك شخص بعينه مسئولا عن هذا الملف، كما أنه لم يتم وضع استراتيجية أمنية محددة لكسب تلك الحرب.. وهوما حاولت واشنطن تداركه بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر.. فمنذ هذا الحين تم تشكيل فرقة من أعضاء القوات العسكرية الأمريكية المختصين بدراسة النواحي النفسية وكذلك أعضاء من المخابرات الأمريكية.. وتم وضع عشرات الملايين من الدولارات تحت يدهم وتصرفهم لضخها في حملتهم من أجل التأثير علي الإسلام ذاته كدين وليس علي المجتمعات الإسلامية فقط.

فمنذ عقد هذا الاجتماع أنفقت واشنطن عشرات الملايين من الدولارات لتمويل محطات إذاعية إسلامية وبرامج تليفزيونية وإعداد مناهج، بحيث يتم تدريسها في مدارس العالم الإسلامي.. كما أنفقت ملايين الدولارات علي مفكرين ممن ينظر إليهم علي أنهم يمثلون النخبة المسلمة وعقد ورش عمل سياسية بهدف دعم الإسلام المعتدل. وكذلك بناء مدارس إسلامية ومساجد وتنفيذ برامج لإنقاذ ما وصفه الصحفي في تحقيقه بالقرآن القديم.. علي أن يتم هذا كله من خلال استهداف وسائل الإعلام الإسلامية والزعماء الدينيين والأحزاب السياسية مع توفير كل ما تحتاج إليه المخابرات الأمريكية من أموال وأصول وقوة بشرية بما يضمن لها النجاح في خطتها من أجل التأثير علي المجتمعات الإسلامية حسب ما نقله الصحفي الأمريكي عمن وصفه بالمسئول البارز في المخابرات الأمريكية.. وأضاف الصحفي أن أساليب اختراق المجتمعات المسلمة ضمت العمل مع جماعات مسلحة باستثناء القاعدة إضافة إلي شن حملات سرية لنزع المصداقية من الزعماء المناوئين للولايات المتحدة الأمريكية.

كما طالب المجتمعون بتفعيل الدراسات التي أعدها مجلس الأمن القومي الأمريكي والتي تقدر بالمئات من أجل التعامل مع المجتمعات الإسلامية وكذلك

استحداث منصب جديد هومنصب نائب مستشار للأمن القومي تكون مهمته التعامل مع المجتمعات التي تحتل مكانة استراتيجية لدي واشنطن.. وأضاف كابلان أن حرب كسب عقول وقلوب أبناء المجتمعات الإسلامية أتت بثمار تبعث علي الأمل مثل الحديث عن الانتخابات الناجحة في الشرق الأوسط والمظاهرات والاحتجاجات المعادية للتواجد السوري في لبنان.. وهوما منح إدارة بوش آمالا بتحقيق نجاح لكن عددا من الخبراء الأمريكيين أشاروا حسب ما ورد بالتحقيق إلي أن العالم الإسلامي مشكلاته أعمق من ذلك بكثير وأنها تنموإلي الأسوأ وليس إلي الأفضل..

أن مجلس المخابرات القومي التابع للمخابرات الأمريكية أصدر تقريرا في ديسمبر ٢٠٠٢ يتنبأ فيه بأن الجموع الهائلة ممن يعانون من البطالة في العالم الإسلامي والعربي سيصبحون عرضة لتجنيديهم من قبل الجماعات التي تري واشنطن أنها إرهابية.. وضرب التقرير مثالا علي ذلك بالمقاومة العراقية التي تتعرض لضربات موجعة في العراق لكنها استطاعت نشر روح العداء للولايات المتحدة الأمريكية في العالم الإسلامي كله مشيرا إلي أن شائعات سرقة الجنود الأمريكيين لأعضاء جثث العراقيين وجدت لها طريقا ميسرا للنشر في وسائل الإعلام العربية الرئيسية.. كما أن شرائط الفيديوواسطوانات الكمبيوتر الخاصة بالجهاديين تجد لها سوقا خصبة للبيع في شوارع وعلي العواصم العربية علي أرصفتها.. وكلها تحمل أفكار زعماء دينيين يؤمنون بأن أمريكا تخوض حربا صليبية ضد العالم العربي وضد الإسلام نفسه.

كما أن مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية أصدر تقريرا في شهر مارس الماضي أشار فيه إلي أن العلاقات الأمريكية العربية وصلت إلي أدني مرحلة لها منذ عدة أجيال.. وبالتالي تنوعت أدوات الحرب الأمريكية.. فكانت هناك وجهة نظر المخابرات الأمريكية بأن تكون حرب المواجهة تلك من خلال الدعاية الأمريكية والتأثير السياسي الأمريكي في مجريات الأحداث في العالم الإسلامي.

أما في وزارة الدفاع الأمريكية فكانت الدعوة للتركيز علي مصادر التأثير الاستراتيجية بكل السبل الممكنة بما فيها السبل العسكرية في حين دعت الخارجية الأمريكية إلي اتباع السبل الدبلوماسية.. ورغم هذا التباين في السبل التي يجب اتباعها إلا أن الجميع اتفقوا علي استخدام المعلومات كسلاح خطير في التأثير علي أصدقاء أمريكا وأعدائها في الخارج.. ومن هنا تفجرت فضائح أشرطة الفيديو المزورة والتقارير الإخبارية المفبركة والأموال التي دفعت لكتاب أعمدة للتمجيد والتسبيح بحمد السياسات الأمريكية والتهليل لها.. وهوما أعاد للأذهان سيناريو القصة التي بدأت منذ نحو نصف قرن عندما تعاملت الولايات المتحدة الأمريكية مع شيوعية الاتحاد السوفيتي السابق بكل ما حمله هذا التعامل من حرب أفكار وغزو للقلوب والعقول بملايين الدولارات.

ويمضي التقرير مشيرا إلي أنه أثناء حرب الأفكار الأمريكية ضد الشيوعية كونت الولايات المتحدة الأمريكية شبكة دعائية ضمت مفكرين ورجال دين وكتابا وصحفيين وممثلين.. ونشرت أمريكا مئات المتخصصين في فن صناعة المعلومات في الخارج كما جندت استوديوهات هوليوود بكل إمكانياتها الهائلة لكي تصدر للعالم معلومات عن خير أمريكا وشر الشيوعية.. كما أنشأت مراكز ومكتبات أمريكية ثقافية في العواصم الأجنبية.

كما أطلقت محطتي راديو أوروبا الحرة وراديو الحرية .. واشترت أحزابا بعينها في اليابان وإيطاليا.. وخصصت مبالغ ضخمة لصحفيين كبار ومفكرين بارزين وزعماء سياسيين وكل هذا كان يتم تحت إشراف وكالة المعلومات الأمريكية التي أجبر الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون علي إصدار قرار بحلها ودمجها في وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٩٩ علي اعتبار أن مهامها كانت مختصة بالحرب الباردة.. لكن بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عاود المسئولون الأمريكيون البحث عن كيفية توصيل رسائلهم لخارج الحدود الأمريكية خاصة بعد أن رفض كثيرون في العالم الإسلامي تصديق مجرد أن العرب كانوا وراء الهجمات التي وقعت ضد مبني البنتاجون ومركز التجارة العالمي.

ولهذا الهدف أنشأ المسئولون الأمريكيون تحالف مراكز معلوماتية في واشنطن ولندن وإسلام آباد.. لكن تلك المراكز اقتصر دورها علي إذاعة الأخبار الهامة ولم تحقق تأثيرا يذكر خاصة أن هناك شبكة من القنوات الفضائية العربية مثل قناة الجزيرة تستحوذ علي القدر الأكبر من المشاهدة داخل العالم الإسلامي والعربي.. وعلي الرغم من ملايين النشرات التي تم توزيعها علي العالم الإسلامي بداية من الكتب الكوميدية وانتهاء بالمجلدات الكبري التي خصصت كلها لغسل الأدمغة فإن الولايات المتحدة الأمريكية انتهت إلي أن تأثير ذلك كله كان محدودا في مواجهة انتظيم القاعدة.. وكرد فعل لذلك شكل القادة العسكريون الأمريكيون مكتبا جديدا للتأثير الاستراتيجي تكون مسئوليته شن حرب إعلامية ضد الإرهاب الإسلامي وضد الفكر الذي ينتهجه تنظيم القاعدة.. لكن التقارير المفبركة التي صدرت من قبل هذا المركز عجلت بغلق أبوابه بعد أربعة أشهر فقط من افتتاحه.

ويضيف كابلان أنه كرد فعل لغلق هذا المركز أحس كولين باول بأن علي الخارجية الأمريكية دورا يجب أن تؤديه في إطار حرب الأفكار تلك.. وبالفعل أتي باول بشارلوت بيرز والتي رأست اثنتين من أكبر عشر وكالات إعلانية في العالم لكي تحمل علي عاتقها تلك المهمة.. وحسب ما نقله كابلان عن بيرز فإن المهمة لم تكن سهلة خاصة أن ما قامت به من حملات إعلامية كان عرضة للنقد من جانب الصحف الأمريكية رغم أنها حققت نجاحات حسب قولها داخل المجتمعات الإسلامية.. وهوما اضطرها للانسحاب في مارس عام ٢٠٠٣ في نفس الوقت الذي كانت فيه القوات الأمريكية تشن حربها ضد العراق.. وهي الحرب التي بدت في عيون وعقول وقلوب ملايين المسلمين في صورة تأكيد علي الامبريالية الأمريكية.

وبدا المشهد في إطار أن الولايات المتحدة الأمريكية تغزووتحتل بلدا عربيا غنيا بالنفط وأنها تدس أنفها في قلب العالم وتدعم إسرائيل علي حساب الفلسطينيين وتدعوللديمقراطية في ذات الوقت الذي تعتمد فيه علي رجال أقوياء حتي أن أسامة سيبلاني ناشر جريدة أخبار العرب الأمريكيين ذهب به الحال إلي القول

إنه حتي لوأتت أمريكا بأعظم زعماء الإسلام لكي يدافعوا عنها فلن تتمكن من تحسين صورتها أمام العالم الإسلامي.. لكن هذا الرأي لم يمنع باول ومن خلفه كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية الحالية ومستشارة الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي آنذاك من مواصلة شن حرب الأفكار.. وذلك من خلال إطلاق قناة الحرة الفضائية التليفزيونية عام ٢٠٠٤ لتضم إلي إذاعة راديوسوا التي أطلقت عام ..٢٠٠٢ ويستهدف الثنائي راديوسوا والحرة العرب والمسلمين وكلاهما يخضع لتأثير المخابرات الأمريكية ومتخصصين نفسيين تابعين لوزارة الدفاع الأمريكية كما تحظيان بتمويل أمريكي يزداد يوما بعد يوم.

ويضيف الصحفي الأمريكي أن المخابرات الأمريكية ابتكرت أساليب جديدة في حرب الأفكار تلك.. ومن بين تلك الأساليب أن الولايات المتحدة الأمريكية ضخت أموالا هائلة تم رفعها للجماعات الإسلامية المسلحة ذات المواقف المحايدة تجاه واشنطن.. كما أنها ذهبت لما هوأبعد بضخ أموال ضخمة للوعاظ المناوئين للولايات المتحدة الأمريكية بهدف خلق زعامات دينية بديلة.

ويمضي الصحفي الأمريكي في تحقيقه مشيرا إلي أن المخابرات الأمريكية لم تكن وحدها في حرب غزوعقول وقلوب المسلمين حيث لعبت الإدارة الأمريكية ومن ورائها كافة الدوائر الأمريكية المختصة بالتصديق علي الميزانية دورا بارزا في زيادة الميزانية الخاصة بتلك الحرب بما قيمته ١,٣ مليار سنويا منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر.. كما أن قناة الحرة استحوذت علي نسبة مشاهدة تراوحت ما بين ٢٠ و٣٣ ٪ من مشاهدي القنوات الفضائية في الدول العربية وهورقم مشكوك فيه، وهوما دفع المخابرات الأمريكية حسب ما ورد في التحقيق إلي التفكير في مد بثها إلي الناطقين باللغة العربية في أوربا وكذلك بث محطات اذاعية فارسية في إيران.. وعلي مدي السنوات الثلاث التي تلت هجمات الحادي عشر من سبتمبر زادت المساعدات الأمريكية للخارج بنحوثلاث مرات لتبلغ ما يزيد علي ٢١ مليار دولار. وأكثر من نصف هذه المساعدات المالية تشق طريقها إلي العالم الإسلامي..

وتم تخصيص جزء كبير من هذه المبالغ لصالح الوجوه السياسية البارزة في العالم الإسلامي ممن تتفق أفكارهم الإصلاحية مع الأفكار الأمريكية إضافة إلي تمويل وسائل الإعلام المستقلة التي تتفق رؤاها مع الرؤي الأمريكية. كما أن جزءا من تلك المنح يوجه إلي الجماعات الإسلامية.. وفيما هوأشبه بمخطط نابليون بونابرت الاستعماري في التمسح بالدين الإسلامي كوسيلة وكسلاح لغزوعقول وقلوب المسلمين يشير الصحفي الأمريكي في تحقيقه إلي أن المخابرات الأمريكية والحكومة الأمريكية تعمدتا احتراق المجتمعات الإسلامية من خلال برامج ذات صبغة إسلامية كالمشاركة في الانفاق علي تمويل المساجد التاريخية في مصر وباكستان وتركمانستان.. أوالمشاركة في تمويل أحد الأضرحة الصوفية قيرغيزستان أوالحفاظ علي نسخ من مصاحف يعود تاريخها إلي عصور قديمة.. كما أن جزءا من المساعدات الأمريكية تم تخصيصه لتدريب وعاظ المساجد وترجمة الكتب وإعداد البرامج التليفزيونية والاذاعية.. ومن بين تلك البرامج برنامج عالم سمسم الذي يعرضه التليفزيون المصري بانتظام.. وتتضمن أجندة هيئة المعونة الأمريكية اقامة ورش عمل لتوعية وعاظ المساجد المسلمين والمشاركة في إعداد مناهج دراسية بدءا من مناهج المدارس وانتهاء بالمناهج الجامعية.

ويمضي الصحفي في تحقيقه مشيرا إلي أن علي أمريكا أن تعرِّف الشعوب الإسلامية بقيمة تلك المساعدات. وعلي طريقة المعايرة يشير الكاتب إلي أنه لا يعقل ألا يعلم المصريون أن حجم المساعدات التي تقدمها أمريكا لمصر هوالثاني، حيث إنه يقدر بنحوملياري دولار سنويا..

وفي نهاية اكتوبر ٢٠٠١ التقى في سرية تامة قادة وخبراء أجهزة استخبارات دولية من عدة دول اوربية وروسيا الاتحادية وبعض الدول العربية والهند . وتم هذا اللقاء "تحت رعاية وكالة الاستخبارات الاميركية،حيث تدارسوا احتمالات استخدام بعض المنظمات الارهابية خاصة الاصولية منها لأسلحة دمار شامل.

وجاء هذا اللقاء الاستخباراتي الرفيع الذي الذي ضم خبراء لهم أوزان دولية يعد تواتر معلومات عن تزايد احتمالات وقوع هجمات مسلحة ضد المصالح والمؤسسات الاميركية والبريطانية والعربية والهندية والروسية في انحاء مختلفة من العالم وكذلك داخل أراضي هذه البلدان، وذلك من جانب مجموعات مسلحة أوافراد يسعون للانتقام من السياسات التي تتبعها حكومات هذه الدول لملاحقة وتطويق أنشطة المنظمات الأصولية.

والجديد في لقاء الاستخبارات الدولية الذي تم تحت عنوان "ملتقى الانتجلنسيا" هوما توقعه العديد من المراقبين للشؤون الامنية الدولية من أن هذه الهجمات المحتملة من جانب المنظمات الراديكالية ستأخذ شكل عمليات كبيرة قادرة في حال نجاحها على الحاق أكبر خسائر ممكنة بالأرواح والممتلكات حتى تكون رادعا لحكومات الدول المستهدفة من جهة، وكأداة لتأليب الرأي العام الداخلي عليها من جهة أخرى.

ووصل الأمر ببعض الخبراء الى القول ان أسلحة نووية وجرثومية وكيماوية قد تستخدم خلال هذه العمليات، خاصة أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي أصبح هناك معرض ضخم للبيع ليس فقط من المواد النووية الصالحة مباشرة للدخول في صنع أسلحة نووية كاملة، وقد حصل عملاء اميركيون فعلا وفي نطاق امتحانهم لنظام الأمن الروسي في السنوات الماضية على العديد من القنابل النووية مقابل اسعار بخسة بالمقارنة مع سعر التكلفة.

واعترف الجنرال ليبيد المرشح السابق لرئاسة الكرملين أن روسيا فقدت ١٠٠ قنبلة نووية من الحجم الصغير، كان جزء رئيسي منها في ترسانة المخابرات السوفياتية "كي جي بي" واشار الى أن هذه القنابل يمكن ان توضع في حقيبة عادية ولكن قوتها تفوق عدة مرات القنبلة التي ألقيت على هيروشيما خلال الحرب العالمية الثانية..

ورسم الخبراء الامنيون الدوليون ثلاثة سيناريوهات متوقعة في ما لوقامت تلك المنظمات الارهابية بتوجيه عمليات انتقامية، متفقين على أن الشرق الأوسط سيكون

بمثابة "مسرح العمليات" الرئيسي الأكثر عرضة لتنفيذ مثل تلك العمليات. ولكن قبل رسم السيناريوهات المرعبة، رصد المجتمعون من خبراء الاستخبارات المنطقات المشتركة والظروف المهيأة وفقا لما اشارت اليه تكنولوجيا الرصد المعلوماتي المتوافرة حاليا وكذا مقترحات الحد من التسلح والمفاهيم الخاصة بالدفاعات الصاروخية، أن الاخطار الرئيسية تأتي من بعض الدول بنفس القدر المحتمل حدوثه من جانب بعض المنظمات وفقا للمنطلقات المشتركة في ما بينها.

ويرى هؤلاء الخبراء ان الجماعات الارهابية قد تجنح لمخاطرات مأساوية وكذلك الحال مع بعض القادة الذين يرون في أنفسهم الدولة أويرون ان الشهادة بديلاً عن النصر، كما ان المنظمات الارهابية سبق لها ان حاولت بالفعل استخدام اسلحة الكيماوية والبيولوجية في متناول العديد من الحركات الارهابية والمتطرفة وتستطيع بعض الدول دعم ومساعدة هذه الحركات بهذه الاسلحة بأسلوب غير مباشر وانكار أنها لا تفعل ذلك.

في الوقت ذاته فإن الانفجار الذي اخرج مشاة البحرية الاميركية في لبنان أظهر رد فعل القوى الذي تحدثه الأعمال الإرهابية الضخمة، وهونفس التأثير الذي خلفه على وسائل الاعلام في التفجير الذي وقع في مدينة اوكلاهوما الاميركية وبنفس الحال ايضا مع التفجيرات الاستشهادية لجماعة "حماس".

ويقول الخبراء ان الاسلحة البيولوجية والكيماوية تفرض مشكلة من نوع خاص لأنه يمكن استخدامها من خلال عدة طرق، ففي احدى المرات تم استخدام السموم الكيماوية بغرض تلويث محاصيل الفاكهة "الإسرائيلية"، والمواد البيولوجية المعدية يمكن استغلالها لنشر الامراض المحلية أوإحداث أمراض على مدى بعيد، وغازات الاعصاب المستقرة يمكن استخدامها في الانفاق والمباني الضخمة ومراكز التسوق لإحداث خسائر فورية ومشكلات تظهر على المدى البعيد، والخلط بين المواد الكيماوية والبيولوجية من شأنه ان يفقد وسائل الدفاع والأقنعة والأمصال فعاليتها.

ووضع المجتمعون من خبراء وقادة أجهزة الاستخبارات سيناريوهات عملية محتملة في بعض البلدان والاماكن الاستراتيجية في العالم.

وكشفت صحيفة " كلارين" الأرجنتينية، أن بوش أعطي المخابرات المركزية الأمريكية، صلاحيات تمكنها من التدخل في أي جزء من العالم .

وقالت الصحيفة "إن حكومة الولايات المتحدة أعلنت مؤخرًا أن أهم التغييرات الهيكلية التي طرأت علي منظمات الاستخبارات الأمريكية منذ انتهاء الحرب الباردة، هوالتدخل في أي مكان في العالم، لأنها أحدي تعهدات الرئيس جورج بوش، علي خلق أجهزة ذات قدرة عالية علي مواجهة التهديدات الراهنة " .

وأوضحت الصحيفة " أن النظام الجديد يضم خمسة عشر جهازًا استخباريًا تحت تنسيق مركزي لإدارة وطنية للمخابرات ".

وأوضحت الصحيفة " أن الإصلاح يستهدف من جهة تكييف أجهزة المخابرات الأمريكية- المعتادة علي العمل في إطار الحرب الباردة ومكافحة الشيوعية- علي العمل في محيط دولي له أعداء جدد وتهديدات مثل تلك التي تمثلها ما تدعى بالحركات " الإسلامية " المسلحة

وقد شهدت الألفية الثالثة عدة طرق التجسس على؟ اتصالات الحركات الاسلامية أولها التنصت على الهواتف السلكية واللاسلكية بواسطة قاموس ضخم للكلمات التي يجب مراقبتها... فمثلاً.. "الإسلام، الحركة الإسلامية، قرآن، محمد صلى الله عليه وسلم، جهاد، فقه، سيرة، حديث... إلخ "، وكذلك أسماء رجال الإسلام السابقين والمعاصرين، وأسماء الحركات الإسلامية وزعمائها "مثلاً:، ابن تيمية، حسن البنا، الإخوان المسلمون، جماعة الجهاد.. الجماعة الإسلامية، اسامة... الشيخ.... الدكتور... القاعدة.... إلخ "، فهناك اجهزة إلكترونية ضخمة تقوم بفرز المكالمات، التي ترد فيها هذه الكلمات وتسجلها، ثم تسلمها إلى الكادر

الفني المتخصص، وهويضم - كما قلنا - عشرات الآلاف من الفنيين والمترجمين والمحللين.

أما الطريقة الثانية فهي وضع بصمات الصوت للمطلوبين من المجاهدين والمستهدفين بالمراقبة وذلك من خلال عملية الفرز بواسطة الكومبيوتر العملاق الذي سبق الحديث عنه وهذه البصمات تم رصدها وتخزينها مسبقاً من خلال التجسس على الاتصالات في مناطق غير عربية دارت فيها رحى الحروب مثل افغانستان وباكستان والشيشان والبوسنة ووزير استان .

الطريقة الثالثة للتصنت تتم عبر وضع برنامج لتحديد اللغة المطلوب مراقبتها فيمكن مراقبة كل من يتكلم العربية في أي بلد لايتحدث أهلها اللغة العربية.

التجسس على الهواتف النقالة:

عند انتشار الهواتف النقالة "الخلوية" بعد عام ١٩٩٠م، كان الاعتقاد الشائع أنه يستحيل مراقبتها والتنصت عليها، لأنها كانت تستعمل نظام (GSM)، وأمام هذه الصعوبة في المراقبة طلبت وكالة CIA وضع رقائق صغيرة داخل هذه الهواتف لكي تتيسر لها مراقبة المحادثات الجارية خلالها، وبينما كان النقاش يدور حول هذا الأمر، ومدى مشروعيته، استطاعت إحدى الشركات الألمانية وهي شركة (Rode Schwarz)تطوير نظام أطلقت عليه اسم (IMSI-catcher) وهواختصار لـ (International Mobile Scbscriber Identity) استطاعت من خلاله التغلب على هذه الصعوبة واصطياد جميع الإشارات الصادرة من هذه الهواتف وقلبها إلى كلمات مسموعة.

ولم تكتف المخابرات الألمانية باختراق المكالمات الجارية بالهواتف النقالة، بل توصلت لمعرفة مكان المتحدثين أيضاً، كما طورت جهازاً إلكترونياً تستطيع بواسطته استخدام الميكروفون الموجود في الهاتف النقال لكي ينقل جميع الأصوات والمحادثات

الجارية حوله، وسرعان ما انتقل هذا النظام الإلكتروني إلى وكالة NSA وإلى وكالة CIA الأمريكيتين، وكان هذا التقدم التكنولوجي المذهل هوالسبب في اغتيال عدد من القيادات المجاهدة مثل يحيي عياش والرئيس الشيشاني دوداييف، لأنه من خلال استعماله لهاتفه النقال. ووقع "أوجلان" في الخطأ القاتل نفسه، عندما قام بالاتصال بمؤتمر البرلمانيين الأكراد في أوروبا، فتم تحديد مكانه.

بعدها صرح "بانكالوس" وزير الخارجية اليوناني السابق غاضباً: "كم قلنا لهذا الأحمق ألا يستعمل هاتفه النقال"، والحقيقة أن السبب الكامن وراء فشل جميع أجهزة المخابرات الأمريكية في معرفة مكان الجنرال الصومالي "عيديد" هوأنه لم يستعمل أي جهاز إلكتروني مطلقاً في أثناء الأزمة الصومالية (وهذه إحدى عيوب التقدم التكنولوجي).

كذلك لا يتم الإطلاع على جميع المكالمات الواردة على المقسمات ولا يمكن ذلك لأنها تعتبر بملايين المكالمات ولكن يمكن تحديد بعض الألفاظ المنتقاة لتقوم أجهزة الترصد بفرزها سواء كانت رسائل كتابية أوصوتية كأن ينتقي ألفاظ (جهاد، عملية، استشهاد،..أوأسماء : أسامة بن لادن أوالملا عمر...الشيخ... الخ)، اويكون الرصد للغة بعينها (العربية) في بلد غير عربي .

أويكون الترصد لرقم بعينه اورصد بصمة الصوت لشخص مطلوب . ويمكن أيضا إذا تم ضبط رقم لشخص أن يتم استرجاع المكالمات المسجلة في السابق سواء المكالمات الصادرة أوالمكالمات الواردة على نفس الرقم، ولذا فإن من الأفضل للذين يخشون على أنفسهم المراقبة من خلال الجوال أن يقوموا باستخدام الشرائح التي تباع بدون مستندات اوبمستندات مزورة، ويقوم باستبدالها كل فترة زمنية، وإذا استخدم الشريحة الثانية فلا يستخدمها على الجهاز القديم وكذلك عليه أن يتخلص من جهازه القديم ببيعه في مكان أولشخص لا يعرفه .

ومن أجهزة التصنت الالكترونية ميكرفونات الليزر"، والتي تم الكشف عنها على احد مواقع الانترنت .. "ميكرفون الليزر" الذي يستعمل حتى الآن في التنصت على

المكالمات الجارية في الغرف المقفلة، إذ يتم توجيه أشعة ليزر إلى نافذة من نوافذ تلك الغرفة، وعندما ترتد هذه الأشعة تحمل معها الذبذبات الحاصلة في زجاج تلك النافذة نتيجة الأحاديث الجارية في الغرفة، وتسجل هذه الذبذبات ثم يسهل تحويلها إلى أصوات واضحة هي أصوات المتحدثين في تلك الغرفة، ولا تقتصر فاعلية هذا الميكرفون الليزري على تسجيل الحوار الدائر في الغرفة، بل تستطيع اقتناص أي إشارة صادرة من أي جهاز إلكتروني فيها.

وهناك جهاز أطلق عليه اسم تي أكس .. وبعد اختراع هذا الجهاز لم يعد هناك ضرورة للمخاطرة لزرع جهاز إرسال صغير داخل الهاتف المراد التنصت عليه، فقد أصبح ممكناً بواسطة هذا الجهاز الدخول إلى خط ذلك الهاتف من بعيد دون أن يشعر أحد بذلك، كما يستطيع هذا الجهاز تحويل الهاتف الموجود في الغرفة إلى جهاز إرسال ينقل جميع المكالمات والأحاديث التي تجري داخلها، وحتى لوكان الهاتف مقفولاً يستطيع الجهاز تكبير وتضخيم الذبذبات الضعيفة التي يرسلها الهاتف في حالته الاعتيادية "أي في حالة عدم استعماله" فيسجل جميع المحادثات الجارية في الغرفة، ولكي يدخل هذا الجهاز إلى خط أي هاتف يكفي إدارة رقم ذلك الهاتف وعندما ترفع السماعة يعتذر بأن الرقم خطأ.. وعندها يتم كل شيء.

ومن بين الأجهزة مسجل جيب يعمل بمجرد سحب القلم منه، فإذا جلست مع محام أومع خصم لك ووجدته يسحب قلما من جيبه الداخلي ثم يعيده ثم يسحبه، فاحذر لان الرجل قد يكون مسلحا بهذا الجهاز العجيب الذي يقوم بتسجيل كل كلمة تقولها .. جهاز التسجيل صغير وحساس يوضع في جيبة القميص اوالجاكيت الداخلي وبداخل الجهاز قلم حبر عادي.. إذا سحبت القلم من الجهاز يبدأ الجهاز بالتسجيل دون أية أصوات .. إذا أعدت القلم إلى مكانه يتوقف التسجيل .. الجهاز حساس جدا ويمكن أن يلتقط كل كلمة تقال حتى لوكان مخبئا داخل جيبتك .. للجهاز سرعتان.. ويمكن أن تتحكم بالسرعة.

وهناك كاميرا فديوصغيرة بحجم حبة العدس يمكن إخفاؤها في أي مكان.. وهذه كاميرا فديوصغيرة يمكن إخفاءها في أي مكان.. الكاميرا هي النقطة السوداء داخل هذه القطعة أي أن حجم الكاميرا لا يزيد عن حبة العدس وهي موصولة بسلكين بمكن ربطهما بمسجل وتلفزيون.. قوة الكاميرا ووضوح صورها تعادل أي كاميرا الفديوالعادية.. هذه الكاميرا يمكن وضعها داخل ساعة أومنبه أومروحة أوأية قطعة أثاث ولأنها لا تبدوككاميرا ولا شكل لها يوحي بأنها كاميرا فأن اكتشافها صعب جدا.. يمكن وضعها في المنازل أوالمكاتب أوالمخازن ووفقا لما يقوله مصنعوها فان الشخص الذي ينظر إليها مباشرة لن يعرف أنها كاميرا فديوتأتي مع كل ملحقاتها

وهناك المنظار الالكتروني .. وهذا أحدث جهاز تنصت ينزل إلى الأسواق .. فهوناظور يقرب إليك المناظر البعيدة .. ثم يقرب إليك الصوت .. ثم يعطيك إمكانية تسجيل الصورة والصوت إلى أي جهاز تسجيل .. باختصار فان هذا الجهاز ينقل إليك ما يحدث بعيدا بالصوت والصورة .

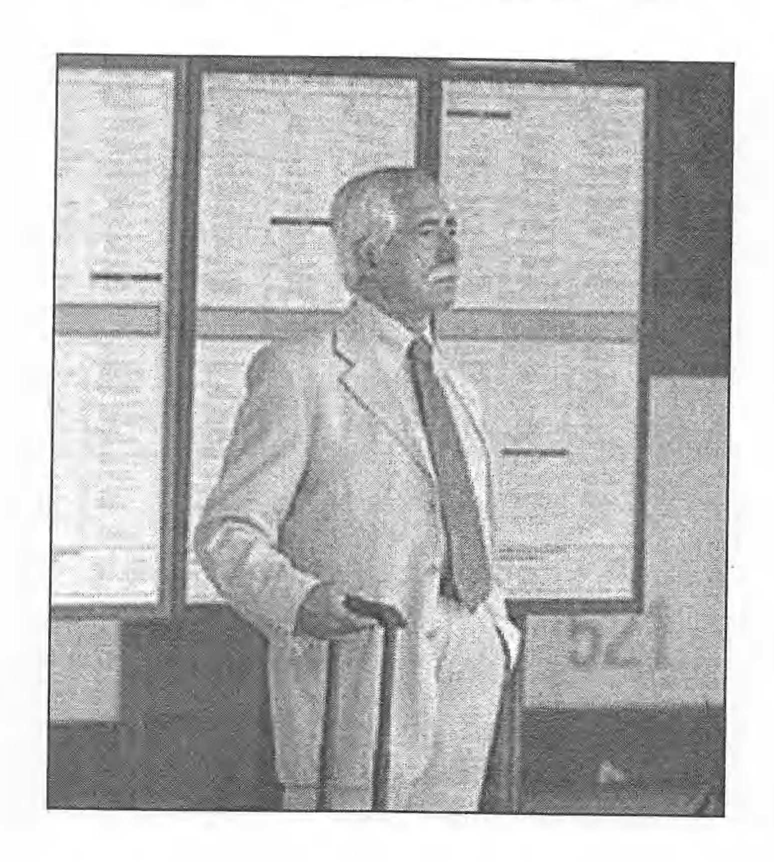
وهناك كاميرا فديوصغيرة في ساعة اليد .. وهذه هي قمة ما توصلت إليه تكنولوجيا الكاميرات في العالم .. كاميرا في ساعة .. يستخدمها المحامون ورجال التحقيق .. والعملاء السريون .. والمحققون الخاصون .. ساعة عادية تضعها في يدك .. محدثك أوالجالس أمامك لن يعلم أن الساعة الموجودة في يدك هي في الواقع كاميرا .. تتسع ذاكرة الكاميرا إلى مائة صورة .. أي تستطيع التقاط مائة صورة والاحتفاظ بها في ذاكرة الساعة .. يمكن توصيل الساعة بجهاز الكومبيوتر ونقل الصور إلى جهاز الكومبيوتر وطبعها أوإرسالها بالبريد الإلكتروني .. الساعة تعمل ببطارية ساعة عادية .. الصورة واضحة جدا .. الساعة مزودة بساعة عادية وخمسة أجهزة إنذار.. هذه الساعة يستخدمها الصحفيون لالتقاط الصور .. ويمكن استخدامها لالتقاط الصور في الأماكن التي لا يسمح بإدخال الكاميرات إليها .. إذا اشترط محدثك اللقاء سرا للتباحث حول البزنس فهوقطعا لن يعرف أنك ستحضر الاجتماع وعلى رسغك كاميرا لتصويره .. يمكنك طبع التاريخ والاسم ووقت التصوير على الصورة أيضا .

وهناك كاميرا فديوديجيتل .. هذه الكاميرا بحجم قلم الحبر وهي كاميرا عادية وكاميرا فديومعا ويمكن ربطها بالكومبيوتر ايضا ونقل الصور منها الى جهاز الكومبيوتر.. هذه الكاميرا تستخدم من قبل الصحفيين والمخبرين والمحامين واصحاب مكاتب التحقيق ولديها قدرة على التقاط الصور الملونة ديجيتل التي يمكن ارسالها فورا عبر الكومبيوتر من خلال الانترنيت .. ولديها القدرة على تصوير لقطات فديوايضا باللون والصوت رغم حجمها الصغير الذي لا يزيد عن حجم القلم .

وهناك المرنان المغناطيسي (جهاز جديد لكشف الكذب).. وهومجس بالأشعة تحت الحمراء يقرأ الأفكار والمرنان المغناطيسي يرصد التغيرات في المخ .. وقد استخدمت وزارة الدفاع الاميركية جهاز كشف الكذب التقليدي في أكثر من ١١ ألف اختبار وثلاثة ارباعها لرصد الجواسيس وأعضاء الجماعات الإسلامية .

وهناك جهاز بصمة المخ .. وقد استخدم جهازه بالفعل أثناء التحقيقات التي أجريت مع المشتبه فيهم بعد تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

٢٧ - مارتينو تاجر الجاسوسية!!



■ استمر مارتينو في محاولاته لبيع تفاصيل تلك الصفقة لكن هذه المرة لصحفية إيطالية تدعى اليسابتايوربا حيث تعمل في مجلة " بانوراما " الإيطالية مقابل مبلغ ١٨٠٠٠ دولار.

٢٧- مارتينوتاجر الجاسوسية !!

يعرف عن روكومارتينوانه "تاجر الجاسوسية" ..إيطالي أشيب الشعر .. شخصية معروفة في ايطاليا واوروبا الغربية كونه مستشاراً امنياً، يملك اطلاعا على معلومات وتفاصيل استخبارية مفيدة للحكومات الاجنبية والصحفيين.

وحسب احد مسؤولي المخابرات الفرنسية فان مارتينوكان يأتي اليهم، والى غيرهم خلال تلك الفترة عارضا- عدة مرات- بيع معلومات استخبارية تمكن هومن الحصول عليها من قبل زملاء سابقين له في المخابرات الايطالية عن يوغسلافيا السابقة .

لكن ذلك الموضوع في ذلك الوقت كان مثيرا للقلق بالنسبة للفرنسيين بسبب ان قضية التهريب النووي لم تكن كما اعتاد روكومارتينوالعمل فيه عادة. ومقابل مبلغ صغير، سمح مارتينوللفرنسيين بالاطلاع على محتويات وثائق الصفقة والاتفاق.

وفورا تأكد التقنيون الفرنسيون من المخابرات الفرنسية - بشكل قاطع - ان تلك الوثائق التي كانوا يتعاملون معها مزورة .. كانت وثائق تلك الصفقة مختومة ومذيلة باسم الحكومة النيجيرية وقد تمت سرقتها مع تفاصيل اخرى من السفارة النيجيرية في روما في وقت سابق من شهر يناير من العام ذاته.

واشار مسؤولون في المخابرات الفرنسية الى وجود تناقضات اخرى في تلك الوثائق وبالتالي تم رفض الوثائق من قبلهم واعيدت الى مارتينوولم يتم دفع اجوره التي اتفق عليها.

ولان تساؤلات المخابرات الاميركية كانت عاجلة وملحة، قامت المخابرات الفرنسية بارسال ٥ او٦ افراد ضمن فريق لمضاعفة سرعة التحقيق بهذا الخصوص

الى النيجر، لكن هؤلاء لم يجدوا اي دليل على تلك الصفقة اوالبيع المفترض حسب تلك الادعاءات.

ومع ذلك، استمر مسئول ووكالة مخابرات وزارة الدفاع الاميركية، ونائب الرئيس الاميركي ديك شيني ومسئولومكتبه .. استمروا جميعا بالكلام بثقة كبيرة مؤكدين ان النظام العراقي كان يحاول الحصول على مواد نووية. شهر سبتمبر من العام ٢٠٠٢.

وأكد تقييم وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية في تلك الأثناء ان العراق " كان ولايزال يحاول وبقوة الحصول على اليورانيوم اوالكعكة الصفراء.. اوكليهما !

وفي وقت لاحق من الشهر ذاته، اصدرت المخابرات البريطانية تقريرا يؤكد ان النظام العراقي يحاول بشكل حثيث الحصول على اسلحة فضلا عن سعيه للحصول على كميات كبيرة من اليورانيوم من افريقيا. في ذلك الوقت كانت وكالة المخابرات المركزية الاميركية متشككة حيال هذا الموضوع . حيث تحدث نائب مدير الوكالة جون مكلفلين امام لجنة الاستخبارات الخاصة بمجلس الشيوخ الاميركي معربا عن اعتقاده ان البريطانيين قد يكونون بالغوا قليلا بخصوص محاولات العراق للحصول على اليورانيوم من افريقيا .

واضاف قائلاً : "لقد تمعنا في تلك التقارير ولم نجد اي شيء ذي مصداقية فيها " !!

وطيلة شهر نوفمبر من العام ذاته، استمر مارتينو في محاولاته لبيع تفاصيل تلك الصفقة لكن هذه المرة لصحفية ايطالية تدعى اليسابتايوربا حيث تعمل في مجلة بانوراما الايطالية مقابل مبلغ ١٨٠٠٠ دولار . لكن المحرر المسؤول عن الصحيفة يوربا طلب اليها الاتصال بالسلطات الاميركية للتأكيد مما اذا كانت تلك الوثائق ذات مصداقية، الامر الذي دفع الصحيفة يوريا للتوجه الى السفارة الاميركية في روما واعطاء المسؤولين فيها نسخا من الوثائق وباقي التفاصيل لكي تقوم السفارة بشحنها الى قسم الامن الاقليمي المختص في وزارة الخارجية الاميركية .

وحسبما ذكر أحد مسؤولي المخابرات الاميركية السابقين .. فان الصحفية يوربا التي كتبت ذلك التقرير كانت هي من قام بارسال هذه التفاصيل الى القنوات الاميركية الرسمية. من جانبها، قامت وزارة الخارجية بتمرير نسخة من تلك التفاصيل الى وكالة المخابرات المركزية الاميركية فضلا عن خبراء نوويين في وكالة الاستخبارات التابعة لوزارة الدفاع الاميركية وغيرهم من الاختصاصيين في الطاقة ومجلس الامن القومي في العاصمة واشنطن.وعلى ما يبدو، فان احدا من هؤلاء لم يقم بالتحري عن دقة هذه التفاصيل اوالاسماء اوالتواريخ!!

من جانبه، رفض مارتينوالتحدث الى جريدة لوس انجلوس تايمز، لكنه تحدث الى صحف أخرى قائلا انه حصل على ذلك الملف عبر امرأة من داخل السفارة النيجيرية في روما وقد سبق لها العمل مع المخابرات الايطالية وافترض ان محتوى هذه الوثائق والتفاصيل صحيح، واكد انه لم يعلم الا نهاية العام ٢٠٠٢ بان تلك الوثائق كانت مزيفة. وحسب التعبير الذي استخدمه مارتينواثناء حديثه مع جريد ميلان فقد قال : " في تلك الاثناء، تم بصق الحبوب خارج الافواه" . واضاف : " كان ذلك الملف يدور والتقارير الخاصة به تدور معه في كل مكان في العالم، فيما كان الرئيس بوش ورئيس الوزراء البريطاني يتحدثان علنا عن محتويات تلك الوثائق دون الاشارة اليها بشكل مباشر. وعندما فتحت التلفزيون لاستمعت، لم اصدق ما طرق اذني من كلام وتصريحات "!!

وفي نهاية شهر اكتوبر من العام ٢٠٠٣، قامت الـ CIA بارسال مذكرة خارجية الى نائب مستشار الامن القومي الاميركي في البيت الابيض ستيفن هادلي طالبه حذف الاشارات الخاصة باليورانيوم الافريقي من خطاب الرئيس بوش عن العراق.

وحسب ما جاء في مذكرة الـ CIA فان حذف هذه العبارة يعود الى الجدل القائم المستمر حول ما يمكن ان تكون الحقائق عليه مما جاء من ذلك المصدر.. واشارت المذكرة كذلك الى ان مجلس الشيوخ الاميركي تم اعلامه ان البريطانيين بالغوا في

وصف تفاصيل هذا الموضوع. لكن رغم تلك المحاذير المرتبطة بهذا الموضوع، فان وزير الخارجية الاميركي - انذاك - كولن باول ومستشارة الامن القومي - انذاك ايضا - كوندوليسا رايس وغيرهما من كبار المسؤولين الاميركيين استمروا بالاشارة الى موضوع نقل اليورانيوم الافريقي علنا عند الاشارة الى العراق. ونهاية شهر نوفمبر من العام ٢٠٠٢ تلقت واشنطن تقريرا اخر.

في ذلك الوقت، تلقى عميل اميركي خاص يعمل في وحدة التحريات الجنائية البحرية الخاصة ويعمل في مجال مكافحة الارهاب في ميناء مارسيليا الفرنسي، تلقى اتصالا هاتفيا من رجل اعمال من افريقيا الغربية افاد فيه الى ان هنالك ٢٠ برميلا تضم مادة الكعكة الصفراء تقع - في حينها - في مستودعات في مدينة كوتونوي بانتظار ان يتم شحنها الى العراق!!

ولم يطل الوقت حتى وصل تقرير الوحدة الجنائية البحرية الى الـ CIA التي قامت بدورها بالاتصال بوكالة الامن الداخلي الفرنسية ووزارة الدفاع الفرنسية فضلاعن المخابرات الفرنسية . وارسل الفرنسيون فريق تحقيق اخر الى افريقيا للتأكد من تفاصيل هذا الموضوع في ذلك الموقع ومواقع اخرى .

ثم اكد مسؤول سابق في الـ CIA ان كلا الفريقين التحقيقيين قدما التأكيدات المتوفرة للحكومة الفرنسية بان تلك المواد الموجودة في تلك المستودعات تقع تحت السيطرة الفرنسية ولم تكن معدة للارسال لاي مكان اخر. في ذلك قام الملحق العسكري الاميركي في ابيدجان عاصمة ساحل العاج بزيارة تلك المستودعات شهر يناير نهاية ذلك العام وتبين انه لم يكن يحتوي شيئا مهما حسب ما توصل اليه محققون تابعون لمجلس الشيوخ الاميركي.

لكن برغم هذه الأدلة، استمرت وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأميركية بالإشارة بصورة مستمرة إلى التقرير الأصلي الذي صدر عن وحدة التحقيقات الجنائية البحرية وحتى نهاية شهر يونيومن العام ٢٠٠٣ .

واتهم سفير الولايات المتحدة لدى المنظمة الدولية - في حينها - جون نغروبونتي علنا النظام العراقي بالسعي لشراء اليورانيوم من افريقيا. وقد تعمد كادر وزارة الخارجية الاميركية الذي ساعد على اعداد نص خطاب السفير نغربونتي تعمد اهمال التحذيرات التي رددها مسؤولوقسم الاستخبارات في وزارة الخارجية الاميركية وشرعوا بتوزيع وتعميم نسخ من الوثائق التي تقول ان العراق بذل جهودا للحصول على اليورانيوم من النيجر. وتلى اشارات نغروبونتي ما تحذر به الرئيس بوش في خطابه اللاحق عن حالة الاتحاد والذي تنسب فيه تلك المعلومات الى مصادر المخابرات البريطانية لوحدها.

في خضم تلك الاحداث، طلبت منظمة الطاقة الذرية وهي مجموعة مراقبة نووية تابعة لمنظمة الامم المتحدة ومقرها في فيينا، طلبت من كل من واشنطن ولندن ان يتم منحها بضعة اشهر للتمحيص والتحقيق بمحتويات تقارير المسؤولين البريطانيين والاميركيين العلنية التي اتهمت العراق بالسعي للحصول على اليورانيوم من اجل الاسلحة النووية.

وفي شهر فبراير من العام التالي ٢٠٠٣، قام المسؤولون الأميركيون باعطاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية نسخا من وثائق الصحفية الايطالية بوربا التي كانت قد أرسلتها اصلا للاميركيين للتحقيق من مصداقيتها قبل نشرها. بعد ذلك ببضعة ايام، قام جاك باويت الذي يرأس مكتب التحقيق الخاص بالطاقة النووية العراقية بعملية بحث عن الاشارات الواردة في تلك الوثائق في شبكة الانترنيت الدولية. وحسب تصريح باويت الذي قال: " ان ما فاجأني اني تلقيت لاحقا رسالة من الرئيس النيجري تعود للعام ٢٠٠٠، وتتضمن اشارات للدستور النيجيري عام ١٩٦٥ في حين اني قرأت مقالا في احدى الجرائد يتحدث عن دستور النيجر الذي تم تعديله في العام ١٩٩٩ " !! وبالتالي فقد شعرت بضرورة تغيير نقطة تركيزي في ذلك البحث لاتساءل.. هل هذه الوثائق حقيقية فعلا!! عوضا عن السؤال الخاص بكيف يمكن ان امسك النظام العراقي متلبسا!؟

ثم توصل باويت وكادره لاحقا بشكل حاسم الى ان العديد من الاسماء والتواريخ والعناوين وباقي المعلومات كانت خاطئة الى حد بعيد. وفي السياق ذاته ابلغ محمد البرادعي مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية مجلس الامن الدولي بتاريخ السابع من مارس عام ٢٠٠٣ بان تلك الوثائق لم تكن ذات مصداقية .

بعد اسبوعين من ذلك الكلام بدأ الغزوالاميركي للعراق. وبعد بدء الغزوباسبوعين، اعلن مجلس المخابرات الوطني الذي يمثل كل وكالات المخابرات الأميركية إقراراً بالخطأ الاستخباري الخاص بهذا الموضوع حسب تقرير صدر عن مجلس الشوخ الاميركي .

وحسب تلك المذكرة، فقد وردت اشارات مفادها " لقد حكمنا على الموضوع بان من غير المحتمل جدا ان تكون النيجر قد تمكنت اوشرعت فعلا ببيع الكعكة الصفراء الى بغداد خلال السنوات الاخيرة وان تلك الوثائق كانت مفبركة وان التقارير المتعددة بهذا الخصوص لم تكن تحتوي على اي ادلة موثقة تدل على فعلية اوحقيقة تلك الادعاءات ".

وفي الشهر ذاته، صدر تقرير منفصل عن الـ CIA اكد ان الوكالة اعتمدت على مصدر معلومات تجسس اخر اعتمد على معلومات مزيفة وكان غير اهل للاعتماد عليه. وبلا شك فان محطات الـ CIA المتواجدة في الدول الاجنبية عمدت الى تقديم معلومات وتقارير خاطئة تماما بهذا الخصوص. كما لم تحسم وكالات المخابرات الاميركية الى الان من الذي قام فعلا بتزييف تلك الوثائق. لكن المسؤولين يعتقدون أن الدافع وراء هذا الموضوع كان الربح المادي وليس جانبا سياسيا الامر الذي دفع مكتب التحقيقات الفيدرالي الى الشروع باجراء تحقيق موسع في هذا الموضوع .

كما ان من غير الواضح ماهية السبب الذي منح المخابرات البريطانية في سحب ادعاءاتها الخاصة بمحاولة النظام العراقي شراء اليورانيوم من افريقيا. من جانبهم، فان مسؤولي المخابرات البريطانية يقولون ان معلوماتهم مستقاة من اكثر من مجرد مصدر واحد وانهم لم يطلعوا على المعلومات المزيفة حتى شهر مارس من العام ٢٠٠٣.

وخلص تقرير برلماني بريطاني لاحق الى ان التحليلات الاستخبارية البريطانية كانت ذات مصداقية.لكن مارتينوابلغ صحيفة لاريبوبليكا الايطالية الخريف الماضي ان مع خدمة التجسس الخاصة بجهاز المخابرات الايطالي تعمدت تسريب قضية الكعكة الصفراء الى المخابرات البريطانية، لكنها في الوقت ذاته لم ترد ان تبدومتورطة في الموضوع. اما السلطات الايطالية فقد رفضت وانكرت ان يكون لها اي دور في هذا الموضوع أي قضية تلك الوثائق المزيفة وعملية تسريبها.

اما الاعضاء المشككون في البرلمان البريطاني، فقد استمروا في تحدي ما خلصت اليه الحكومة البريطانية مشيرين الى التناقضات في التفسيرات البريطانية الرسمية والامتعاض البريطاني من كشف المعلومات التي يمكن ان تؤيد موقف الحكومة بخصوص هذا الموضوع. في هذا السياق، ابلغ مسؤولون بريطانيون الوكالة الدولية للطاقة الذرية انهم غير قادرين على مشاركة الوكالة بما لديهم من معلومات لانها اتت من حكومة اخرى. كما اكد مسؤولون استخباريون اميركيون ان البريطانيين رفضوا اعطاء المعلومات الاستخبارية الخام الخاصة بهذا الموضوع الى الاميركيين.

وحسبما صرح أحد المسؤولين السابقين في الـ CIA الذي علق بالقول.. لم يقدم البريطانيون لنا اي شيء ابدا ورفضوا ان يقولوا اي شيء رغم اننا سألنا!!

اما بعد غزوالعراق، فقد خلص تقرير لجنة تقصي الحقائق التابعة لوكالة الـ CIA الى ان الدكتاتور السابق صدام حسين تخلى عن برامجه لانتاج الاسلحة النووية في العام ١٩٩١. ولم يجدوا كذلك اي دليل يؤكد ان ذلك النظام حاول شراء اليورانيوم بعد ذلك التاريخ.

٢٨- "جالفستريم" الجاسوسة الطائرة!!



■ شوهدت تحط في مطارات بباكستان وإندونيسيا ودول عربية.. وشركتها المالكة مسجلة بأسماء كلها وهمية .. الطائرة من طراز غالفستريم في تيربوجيت، تنتمي إلى ذلك النوع الذي يفضله المديرون التنفيذيون والمشاهير. لكن منذ عام ٢٠٠١ صارت هذه الطائرة تشاهد في المطارات العسكرية من باكستان إلى اندونيسيا إلى الأردن .

٢٨- "جالفستريم"

الجاسوسة الطائرة !!

كانت صحيفة "واشنطون بوست" هي أول من يتلقف وثائق سرية تكشف عن وجود هذه الطائرة، قبل أن تطلق إحدى صحفياتها الكبيرات دانا بريست لكي تتابعها، وكانت المحصلة هذا التقرير.

شوهدت تحط في مطارات بباكستان وإندونيسيا ودول عربية ..وشركتها المالكة مسجلة بأسماء كلها وهمية .. الطائرة من طراز غالفستريم في تيربوجيت، تنتمي إلى ذلك النوع الذي يفضله المديرون التنفيذيون والمشاهير. لكن منذ عام ٢٠٠١ صارت هذه الطائرة تشاهد في المطارات العسكرية من باكستان إلى اندونيسيا إلى الأردن.

ويحشر فيها في بعض الأحيان مسافرون ملثمون وموثوقوالأيادي. وتسجل الشركة المالكة لها، وهي بريمير إكزكتيف لخدمات المواصلات، أسماء مديرين ومسؤولين لا وجود لهم إلا على الورق. ويشير بحث شامل للسجلات الفيدرالية والولائية والتجارية، أن لكل واحد من هؤلاء المديرين والمسؤولين رقما خاصا للضمان الاجتماعي صدر حديثا، وعنوانا ليس أكثر من صندوق بريدي.

بريان داياس، وستفين كنت، وتيموثي سبيرلنغ وأندري تيلور، هي مجرد أسماء بلا عناوين، أوأرقام هواتف، أوتاريخ شخصي، أومكان عمل. إنها «هويات عقيمة» يقول مسؤولون حاليون وسابقون في الاستخبارات إن وكالة الاستخبارات المركزية سي. آي. ايه تستخدمها لإخفاء دورها في العمليات السرية. وفي هذه الحالة بالذات، فإن الوكالة تنقل متهمين بالنشاطات الإرهابية من بلد إلى آخر، من أجل الاعتقال والتحقيق.

وتطلق سي. آي. إيه على هذا النشاط مصطلح « التسليم»، وتساعد شركة «بريمير إكزكتيف» طائرة «غالفستريم في» على جعله ممكنا. واستنادا إلى أذونات الهبوط المدنية فإن لطائرات الشركة حق الهبوط في كل المطارات العسكرية الأميركية على نطاق العالم. وبناء على شهادات بعض المسؤولين في سي آي إيه، أصبحت عمليات التسليم منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، سلاحا رئيسا في ترسانة سي آي إيه ضد المتهمين المشتبه في تورطهم في الإرهاب وفي عضوية تنظيم القاعدة. لكن مع تطور العملية أصبح صعبا جدا على الوكالة المحافظة على سريتها. ويقول المسؤولون عن المطارات ان الوثائق العامة ومعلومات هواة تصنيف الطائرات تشير إلى أن طائرة غالفستريم الرحلة رقم N٣٧٩P شوهدت وهي تنقل المعتقلين من وإلى اندونيسيا وباكستان ومصر والسويد، وأنها تفعل ذلك ليلا وتهبط في مطارات أميركية معروفة للتزود بالوقود.

وقد تصاعدت الانتقادات لنظام " التسليم " مع تزايد المعلومات حول حجمه وطبيعته. وقال مورتون سكالار، المدير التنفيذي للمنظمة العالمية لحقوق الإنسان، بالولايات المتحدة، ان منظمات حقوق الإنسان تعمل على الاعتراض القانوني على هذه الممارسة لأنها تنقل المتهمين إلى بلدان معروفة بأنها تستخدم وسائل تحقيق قاسية، ممنوعة في الولايات المتحدة، وان هذه ممارسة تحظرها اتفاقية الأمم المتحدة حول منع التعذيب.

من حق وكالة سي آي إيه أن تقوم بعمليات تسليم وفقا لأمر تنفيذي أصدرته إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون، وهوأمر جددته إدارة الرئيس جورج بوش بعد المراجعة. وقد رفضت سي آي إيه التعليق عن طبيعة هذه العمليات.

وقال مايكل شاور الخبير السابق بالوكالة لشؤون مكافحة الإرهاب والذي كان على علاقة بعمليات التسليم: صناع القرار عندنا لن يواجهوا هذه القضية. كنا نتساءل: أين تريدون نقل هؤلاء الناس؟ لكن عقلية البيروقراطي تقول له: دع الآخرين يقومون بهذا العمل .

وتعطي قصة غالفستريم في لمحة نادرة للعمليات السرية لوكالة سي آي إيه، وإطلالة على عالم يقول الموظفون السابقون بوكالة الاستخبارات المركزية، أنه ليس صحيحا أن يكون مثله قابلا للتوثيق إلى هذه الدرجة. ولم يتوقف الأمر على متابعة تحركات الطائرات في أماكن مختلفة من العالم، لكن مسؤولي الشركة المعروفين وجدت أسماؤهم في سجلات تحوي أسماء وهمية. وارتبط اسم كل واحد من مسؤولي غالفستريم في بواحد من خمسة صناديق بريد في آرلينغتون، وأوكتون، وشيفي وتشيس، والديستريكت. وقد بلغ عدد الأسماء التي سجلت في الصناديق البريدية الخمسة ٣٢٥ اسما.

ولم يؤد بحث شامل حول ٤٤ من هذه الأسماء إلى أية معلومات تظهر عادة في مثل هذه البحوث، اذ ليس لديهم عناوين سابقة، ولا أرقام هواتف حالية أوماضية، ولا سجلات وظيفية. يضاف إلى ذلك أن هذه الأسماء التي أعطيت أعمارا ترجع إلى الأربعينات والخمسينات والستينات، خصصت لها أرقام ضمان اجتماعي محصورة في الفترة ١٩٩٨ و٢٠٠٣.

ونقلت واشنطن بوست كل معلوماتها المتمثلة في نتيجة البحث: الرسم البياني الذي يربط موظفي الشركة المالكة، وصناديق البريد، والأسماء الـ ٣٢٥ التي تخفي النشاطات المجهولة الأخرى، وارقام الضمان الاجتماعي، إلى سي آي إيه للحصول على توضيح لهذه الغوامض. لكن ناطقا باسم سي آي إيه رفض التعليق على المعلومات.

وبناء على معلومات مسؤولين سابقين في سي آي إيه، لهم خبرة في استغلال شركات الواجهة، فإن وكالة الاستخبارات المركزية تنوي استخدام هذه الأسماء الـ ٣٢٥ لممارسة نشاطات طبيعتها مجهولة. وقال هؤلاء الخبراء ان الوكالة تبذل جهودا إضافية لخلق شخصيات وهمية كتغطية لموظفيها العاملين في الميدان، أكثر بكثير مما تبذله لإخفاء ملكيتها لطائرة من الطائرات.

وقد بدأ سر الطائرة الخاصة بوكالة الاستخبارات ينكشف بعد أقل من ستة أسابيع بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ففي ٢٦ أكتوبر من ذلك العام، كشف

مسعود أنور الصحافي الباكستاني بصحيفة «نيوز» في إسلام أباد، ان الاستخبارات الباكستانية سلمت إلى السلطات الأميركية يمنيا هوجميل قاسم سعيد محمد، كان مطلوبا لعلاقته بالهجوم على المدمرة كول في أكتوبر ٢٠٠٠. وجاء في التقرير أن طائرة تحمل الرقم N٣٧٩P، كانت هابطة في موقع بعيد بمدرج مهجور في مطار كراتشي، قد حملت جميل قاسم حوالي الساعة ٢:٤٠ صباحا يوم ٢٣ أكتوبر إلى الولايات المتحدة. وقد حصل على الرقم كذلك مراسل واشنطن بوست بباكستان لكنه لم ينشر. وقد تناقل هذا الخبر مطاردوالجواسيس وباحثوالإنترنت باعتباره ظاهرة جديدة تكشف آليات حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب الدولي. وفي الساعة ٧:٥٤ مساء يوم ٢٦ اكتوبر نشرت مقالة نيوز، في موقع فري ريبوبليك على الإنترنت والذي يعرف نفسه بأنه منبر أخبار محافظ. وبعد ١٣ دقيقة نشر مشاركون في غرفة الدردشة اسم الشركة المالكة لطائرة غالفستريم وعنوانها: ٣٣٩ واشنطن ستريت، ديدهام، بولاية ماساتشوسيتس.

وعلق أحد المشاركين بقوله: يبدوأنه اسم اصلي لطيف. مثله مثل إير اميركا في إشارة إلى الأسطول السري المدني لـ سي آي إيه الذي كان ينقل المؤن والطعام والأفراد إلى جنوب شرقي آسيا، بما في ذلك لاوس، خلال حرب فيتنام.

وبعد ثمانية أسابيع، أي في ١٨ ديسمبر ٢٠٠١، أحضر رجال ملثمون ذوولكنة أميركية، بالتعاون مع الشرطة السويدية الخاصة، رجلين مصريين ووضعوهما على متن غالفستريم في التي كانت قد هبطت أثناء الليل بمطار بروما في استوكهولم. وقد كشف ذلك في برنامج تلفزيوني سويدي. كما تأكدت واشنطن بوست من تلك المعلومات بطريقة مستقلة. وكان رقم الطائرة هنا أيضا هوN٣٧٩P. ويقول المسؤولون السويديون والوثائق المتوفرة أن الرجلين، الذين طلبا اللجوء السياسي في سويسرا قد نقلا إلى القاهرة . وقد أدانت المحكمة العسكرية العليا في مصر أحمد عجيزة في تهم تتعلق بالإرهاب، وأطلق سراح محمد سري. وقد فتحت السويد تحقيقا حول قانونية تسليم الرجلين.

وبعد اسبوع من ذلك، أي في يناير ٢٠٠٢، هبطت طائرة غالفستريم في المسجلة بالولايات المتحدة، في مطار جاكارتا العسكري. ويقول مسؤولون اندونيسيون ان الطائرة حملت معها محمد سعد إقبال مدني، المصري الذي يحمل جواز سفر باكستانيا، والمتهم بالانتماء الى القاعدة وبالعمل مع ريتشارد ريد المدان بمحاولة تفجير طائرة بين فرنسا والولايات المتحدة. وقد نقل مدني إلى مصر من دون تحقيق، ولم تعرف عنه أية معلومات بعد ذلك. ومع أن رقم الطائرة لم يلتقط إلا أن المرجح أن سي آي إيه لا تملك سوى طائرة واحدة من هذا النوع الباهظ الثمن.

وخلال العام الماضي، رصدت رحلات غالفستريم في بواسطة هواة متابعة الطائرات وهم يقفون في نهاية المدرج ومعهم مناظير مكبرة وآلات تصوير لتسجيل رحلات الطائرات العسكرية والطائرات الخاصة. ويسجل هؤلاء المعلومات التي يحصلون عليها في مواقع خاصة على الإنترنت. ويقولون ان الطائرة قد هبطت منذ عام ٢٠٠١ في كل من إسلام آباد، وكراتشي، ودبي، وطشقند، وبغداد، وباكو، والرباط. ويقولون أيضاً إن الطائرة توقفت عدة مرات بمطار دالس الدولي، وفي المطار العسكري بالعاصمة الاردنية وبمطارات فرانكفورت وغلاسغو (اسكوتلاندا)، ولارناكا (قبرص).

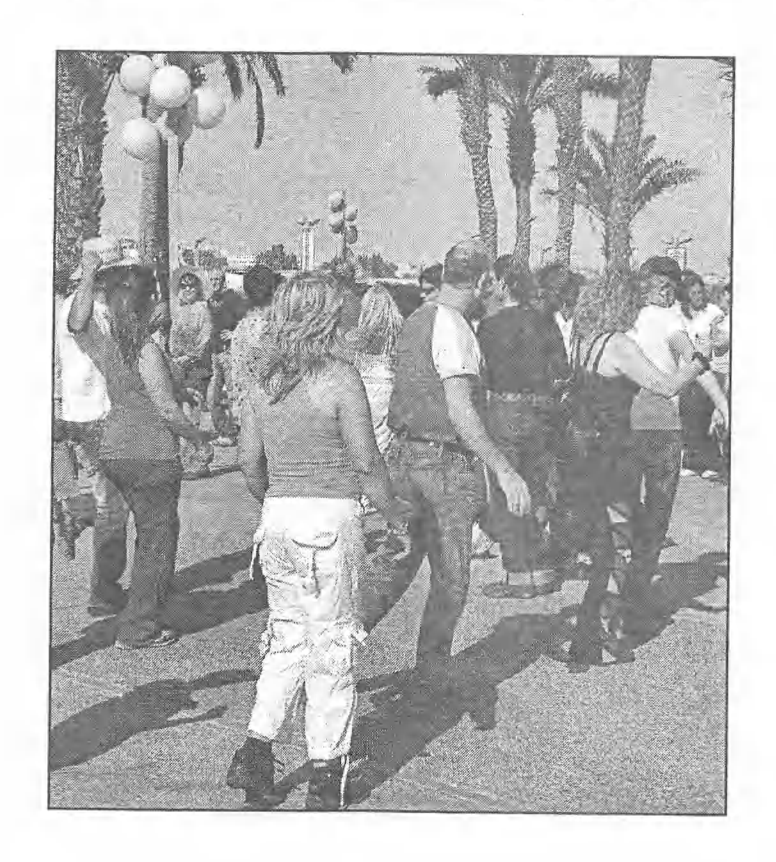
واندمجت شركة بريمير إكزكتيف في ديلاوير مع شركة برنتيس هول سيستمز يوم ١٠ يناير ١٩٩٤. وفي يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٩٦، أودع دين بلاكياس، المحامي بشركة هيل آند بلاكياس بمدينة ديدهام، أوراق الاندماج لدى الكومونويلث بماساتشوسيتس، وأورد اسم برايان داييس، رئيسا لها. وبناء على الوثائق العامة، فإن بريمير إكزكتيف طلبت طائرة جديدة من غالفستريم في عام ١٩٩٨، وسلمت هذه في نوفمبر عام ١٩٩٩ برقم الذيل N٥٨١GA، وأن هذه أعيد تسجيلها لأسباب غير معروفة بتاريخ مارس ٢٠٠٠ برقم المؤخرة N٣٧٩P. وقد بدأت الطيران في يونيو ٢٠٠٠ وغيرت رقم الذيل مرة أخرى في ديسمبر ٢٠٠٣.

وقد رفض بلاكياس الرد على عدة محادثات هاتفية. لكنه صرح أخيرا لصحيفة بوسطن غلوب بأنه لم يفعل غير تقديم الأوراق المطلوبة. وقال: لا أملك الحق في مناقشة شؤون الزبون، وذلك أساسا لأسباب لا أعرفها.

وعندما سئل عما إذا كانت الشركة موجودة أصلا، قال: هناك ملايين الشركات التي تسجل في ماساتشوسيتس ولا تعدوأن تكون شركات ورقية.

وقد قطع أحد المحامين الذين شطبت أسماؤهم من الأوراق الخاصة بالشركة، المحادثة عندما سئل عن الشركة. وقبل ثلاثة أسابيع، في الاول من ديسمبر ٢٠٠٤ حولت الطائرة بكامل ارقامها ووثائقها إلى مالك جديد: بايار فورين ماركتينغ أوف بورتلاند، في أوريغون. ولم يرد وكيلها ببورتلاند على المحادثات الهاتفية. ومثله مثل المسؤولين في بريمير إكزكتيف، فإن الموظف الوحيد لشركة بايارد، وهوليونارد تي بايارد، ليس له مكان سكن أوهاتف بمكان العمل. لكنه، وعلى عكس مسؤولي شركية «بريمير»، فإن اسم بايارد لا يرد في أية وثائق عامة.

٢٩ - نجلاء إبراهيم وعصام الصاوي



■ وبدخول هذا الدبلوماسي في دائرة الاتهام حولت القضية من قضية تهريب السياح الأجانب إلى إسرائيل إلى قضية تخابر مع جهاز الموساد الإسرائيلي .

٢٩ - نجلاء إبراهيم وعصام الصاوي

ملف التخابر بين مصر وإسرائيل مليء بالعديد من القضايا. ومن بين هذه القضايا التي شهدتها السنوات الأولى في الألفية الثالثة الكشف عن شبكة لتجسس في القاهرة والتي جاءت ضمن سلسلة من قضايا التجسس الإسرائيلي داخل مصر في الفترة الأخيرة متورط فيها دبلوماسي مصري بسفارة مصر في تل أبيب، لاعبة كرة يد سابقة التي تعرفت عن طريق هذه اللعبة على خالد مسعد لاعب كرة اليد السابق بنادي الزمالك وتمكنت من تجنيده هوالآخر ليساعدها في هذه العمليات .

وكوَّن الثلاثة معاً شبكة قوية للتجسس وتهريب السائحين الأجانب إلى إسرائيل عبر الحدود المصرية عن طريق المنافذ والدروب الجبلية عند مدينة رفح.

وكانت الصدفة وحدها هي السبب وراء كشفها حيث بدأت الحكاية عندما تم تقديم بلاغ باختفاء ١٦ سائحا يحملون الجنسية الصينية في الجبال والدروب بمدينة رفح أثناء عمل رحلة سفاري سياحية وأكدت التحريات أن هؤلاء السائحين اختفوا عند الحدود المصرية الإسرائيلية التي عبروها إلى داخل إسرائيل.

وقادت التحقيقات مع الشركة المسؤولة عن نقل هذه المجموعة من السياح إلى أن مسؤولية برنامج الرحلة يقع ضمن مسؤولية مديرة العلاقات العامة وبمجرد استدعائها واتهامها بتهريب السائحين الصينيين إلى حدود إسرائيل اعترفت مديرة العلاقات العامة بالشركة وتدعى نجلاء إبراهيم على زميلها في الشركة خالد مسعد الذي وقع هوالآخر في يد الشرطة .

وأمام المحققين، اعترفا تفصيلياً بكيفية عمليات الهروب وكيفية عمليات الاتصال بالجانب الإسرائيلي لتسهيل هذه العملية عبر الدروب والجبال من رفح إلى الأراضي الإسرائيلية وذلك مقابل ١٨٠٠ دولار على الشخص الواحد .

وكانت المفاجأة التي فجرتها نجلاء إبراهيم أن من يقوم بترتيب الاتصال والاتفاق مع الجانب الإسرائيلي لتسهيل عملية هروب الأجانب هو دبلوماسي مصري بسفارة تل أبيب مقابل حصوله على عمولة عن كل شخص يتم تهريبه إلى إسرائيل.

وبدخول هذا الدبلوماسي في دائرة الاتهام حولت القضية من قضية تهريب السياح الأجانب إلى إسرائيل إلى قضية تخابر مع جهاز الموساد الإسرائيلي وهو ما كشفت عنه التحقيقات التي جرت في سرية تامة حيث اتسعت دائرة الاتهام في القضية لتشمل ٨ متهمين ثلاثة منهم بارزون والباقون عبارة عن موظفين بالشركة السياحية وعدد من البدو من مدينة رفح ممن لديهم خبرة بدروب المنافذ الجبلية المؤدية إلى دخول إسرائيل بخلاف عدد من الإسرائيليين الذين يسهلون عملية التنقل للسياح الأجانب داخل إسرائيل وكشفت التحقيقات أن هذه الشبكة تمكنت من تهريب عدد كبير من السائحين الأجانب إلى إسرائيل عبر الحدود المصرية وخاصة من دول الصين وروسيا وأوكرانيا ودول شرق آسيا .

ووفق تقديرات بعض المسؤولين فإن محاولات التسلل في الشهور الأخيرة قبل الكشف عن هذه الشبكة كان قد بلغ عددها ما بين ٣ و٩ حالات في الأسبوع الواحد رغم خطورة التسلل وتعرض صاحبه لفقد حياته وهو ما يجعل المتسللين يعتمدون على عصابات التهريب مقابل مبالغ مالية تتراوح ما بين ٢٠٠٠ و٥٠٠٠ دولار على الفرد الواحد تحت ستار شركات سياحية ومع تواطؤ بعض الإسرائيليين

وقبل مضي أسبوع على اكتشاف شبكة التجسس أحبطت أجهزة الأمن المصرية محاولة جديدة لتهريب ٣٠ سائحاً أجنبياً من مصر إلى إسرائيل.

وتعتبر جنوب سيناء نقطة إغراء للمتسللين الإسرائيليين الذين يتم القبض عليهم في الغالب بالقرب من منفذ طابا . وغالباً ما يكونون من الضباط والجنود ولا يحملون جوازات سفر. وفي خلال الفترة من عام ١٩٩٢م حتى عام ١٩٩٧م سلمت مصر إسرائيل ٣١ متهماً في قضايا مختلفة منها ما هوتجسس ومنها ما هومخدرات وتزوير عملة وأنشطة أخرى والباقون أفرج عنهم في مساء ١٣ أغسطس ١٩٩٧ مع سفينة القمار الإسرائيلية مونتانا.

وقد كشفت تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا أن شركة مازدا الإسرائيلية الكائنة أمام القنصلية المصرية في تل أبيب والمملوكة للإسرائيلي زائيفي روفائيل هي رأس الشبكة المنوط بها عملية تسيير خط النقل ما بين تل أبيب والقاهرة للعمالة الصينية والماليزية والفليبينية وغيرها التي تأتي إلى مصر تحت اسم السياحة ويتم تهريبها إلى إسرائيل عبر المدقات الصحراوية. وثبت من التحقيقات أن الشركة الإسرائيلية استطاعت تجنيد بعض العناصر أحدها ماليزي والآخر أفريقي فضلا عن الثلاثة المتورطين في شبكة التجسس د. عصام الصاوي ونجلاء إبراهيم وخالد سعد بهدف تشويه سمعة مصر حيث إن الهدف السياسي وراء عمليات تهريب السياح هذه هوإظهار ضعف مصر عن حماية حدودها الشرقية.

وعلى الرغم من مرور ٢٣ عاما هي عمر معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل إلا أن الجانب الإسرائيلي لم يتوقف عن نشاطه في تجنيد الأفراد والتخابر على المصالح القومية المصرية.

وقد تم كشف النقاب عن العديد من قضايا التجسس على مصر من قبل إسرائيل، أهمها كان عزام عزام ومجدي أنور وسمحان، وآخرها كان شريف الفيلالي ثم الشبكة التي ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض عليها في وقت سابقٍ.

ومن أشهر هذه القضايا الجاسوس عزام عزام أخطر جاسوس إسرائيلي في مصر حتى الآن لأنه منذ أن حكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاماً وذلك عام ١٩٩٧م

وإسرائيل وقادتها لا يألون جهداً في المطالبة بالإفراج عنه، وتّم لهم مرادهم وأفرج عنه بعد قضاء مدة ثماني سنوات في السجون المصرية، مقابل صفقة بين السلطات المصرية والإسرائيلية تقضي بالإفراج عن ستة من الطلاب المصريين ضلوا الطريق في الصحراء ودخلوا إسرائيل بطريقة الخطأ.

٣٠- منظمات المجتمع المدني

والجواسيس المقنعون !!



■ ومن هنا تتحرك هذه المنظمات الممولة من الخارج وفق أجندة قوى خارجية لها مصالحها الخاصة، وعنوانها العريض هوالهيمنة علي دولة هذه المنظمات الأم .

٣٠- منظمات المجتمع المدني

والجواسيس المقنعون !!

نوع جديد من الجاسوسية ظهر بوضوح في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين يمكن تسميته بـ " جواسيس مقنعين . وهذه القضية أصبحت هاجساً للدول والحكومات .. فهذه المنظمات مهمة ويمكن أن تخدم بلادها بصورة رائعة، ولكن الاختراق الأجنبي الذي بات يستهدفها، لتحويلها إلى رأس حربة أوطابور خامس في بلادها، حسبما تقضي مصلحة أنظمة أجنبية، هوالذي جعلها قضية خطيرة وملحة في الألفية الثالثة !!

تثير منظمات المجتمع المدني غير الحكومية الكثير من الإشكاليات، وخاصة في دول العالم النامي، لاستهدافها من الخارج على طول الخط، واستخدامها كرأس حربة في ظهر أنظمتها الوطنية الرافضة لسياسات هذا الخارج لإضعاف الدولة المركزية .. ومن أخطر الوسائل المعروفة لتحقيق ذلك هوطريق ضخ أموال إليها من جانب حكومات أجنبية، أوجماعات تنوب عنها، عادة ما تكون ملوثة سياسياً. وتتستر هذه الأموال تحت دعاوى إنسانية وديمقراطية وتنموية واجتماعية .. إلخ .

وكما يقول البعض لا تستهدف هذه الأموال – كما في حالة مشروعات وكالة المخابرات المريكية " سي . أي . إيه " – كما سنرى لاحقاً بالوثائق – توزيع عشرات الملايين من الدولارات على هيئات المجتمع المدني في يوغوسلافيا، من خلال موظفين يكتبون على ستراتهم أوعلى جباههم أنهم من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، بل من خلال صناديق ومؤسسات تنشأ لهذا الغرض تحت عناوين بريئة !!

ومن هنا تتحرك هذه المنظمات الممولة من الخارج وفق أجندة قوى خارجية لها مصالحها الخاصة، وعنوانها العريض هوالهيمنة علي دولة هذه المنظمات الأم .

ومن هنا أيضاً نجدها تجتهد لكي تخلق من خلال دعمها لهذه المنظمات طبقة من العملاء والجواسيس المقنعين، الذين يسعون لإرضائها بأية وسيلة، حفاظاً علي استمرار تدفق الأموال الملوثة . وعادة ما يظهرهؤلاء العملاء في صورة النخبة المثقفة الواعية، التي ترفع أحلي الشعارات البراقة، أوتقدم نفسها باعتبارها الوصي علي الشعب، الساهر علي مصالح الوطن، أوالمعارضة الشريفة التي تريد تخليص الوطن من أنظمته غير الوطنية، بينما هم في معظمهم مجموعات من الخونة تتاجر باسم الشعب وباسم الوطن . وإذا كانت النظم عميلة فهم لا يقلون عنها عمالة للخارج، ولكن كل علي طريقته !!

فقد يكون النظام عميلاً للخارج يتلقي رشاوى في صورة مساعدات ينهب معظمها، ويضخه في جيبه، بينما يعيد الباقي لولي النعم الخارجي بتوجيه الأموال التي سلمت من النهب لشركات دولة المساعدات في صورة مشروعات، ومن الأموال العائدة يتم دفع جزء لمنظمات المجتمع المدني لاستبائقها تحت الطلب، واستخدامها وقت الحاجة ضد النظام .كل هذا يحدث بينما الشعب خارج حسابات هذه الثلاثية العجيبة " الممولون والأنظمة ومؤسسات المجتمع المدني " وتعد الولايات المتحدة نموذجاً متقناً للممول الذي يضخ المال لهذه المنظمات غير الحكومية في الوقت الذي يوفر لها ما يلزم من غطاء إعلامي يجعل من عملائها رموزاً وطنية في أعين البسطاء والسذج من أبناء الشعوب في دولها، حتى إذا حانت لحظة خدمة السيد الأمريكي ولي النعم، سار الشعب دون أن يدري وراءهم !!

ونود هنا أن نذكر بأنه قد ثارت فضيحة كبيرة في أمريكا حين كشف النقاب في الستينيات عن التمويل السري لمؤسسات المجتمع المدني الأمريكية، مثل اتحاد الطلبة القومي، مما دفع شكل الرئيس ليندون جونسون لجنة تحقيق دعت فيما

بعد، إلى وقف مثل هذه الأنشطة السرية داخل الولايات المتحدة، ووضعت "سي. آي. إيه" لائحة داخلية يحظر على أفرادها استخدام المؤسسات الأمريكية، أوالمنظمات التطوعية كواجهة لعملياتهم السرية .

ويعترف بعض المسئولين الأمريكيين بحاجتهم إلي ضخ المال لمؤسسات المجتمع المدني، وخاصة في العالم الإسلامي الآن، حسب ما تعلموه إبان الحرب الباردة من إيجاد سبل لتقديم الدعم المادي لأولئك الذين كانوا يقاتلون معهم على الخطوط الأمامية .

ويعتقد كبار مسؤولي الاستخبارات الأمريكيين أنه سيكون هناك حاجة لإخفاء الدور الأمريكي في مثل هذه الأنشطة لأن الجمهور في العالم الإسلامي سيفقد الثقة بهم، وبالتالي لن يقبل بدعم واشنطن العلني للمدارس الدينية مثلاً .

ويقول مسئول استخباراتي رفيع آخر إن المشكلة الأخرى هي أن "مثل هذه المشاريع تستغرق سنوات، ولا تأتي بنتائج سريعة .

وأضاف أنه ضمن برامج الحرب الباردة في الخمسينيات، كان يتم اختيار شبان وشابات في أوروبا الشرقية والعالم الثالث في وقت مبكر وتقدم لهم المساعدات سرا من أموال "سي. آي. إيه" في أثناء دراستهم الجامعية بل وحتى الثلاثينيات من أعمارهم، وكان الأمل لدينا أن يصعد هؤلاء الى مراكز مهمة وحينها تكون أفكارهم المناوئة للشيوعية لها تأثيرها في بلدانهم.

وهناك وثيقة سرية لـ سي آي إيه، تسربت مؤخراً، وتحمل تصنيفاً سرياً جداً حول خطة عمل محددة لتمويل هيئات المجتمع المدني في يوغوسلافيا السابقة (قبل تفكيكها) للتعجيل بإسقاط نظامها، ليس كما ادعوا من أجل الإنسانية، كما ادعى الأمريكان، ولكن من أجل أمركة الشرق الأوربي، وإسقاطه في قبضة أمريكا بالهيمنة علي قلب القارة العجوز، ثم الانطلاق حتى حدود موسكو.

الوثيقة السرية تحمل عنوان : " دولة صربية ديموقراطية " . وتحمل ختم مؤسسة البلقان/ المخابرات المركزية الأمريكية، وصدرت بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٩٨، كجزء من الحملة المعلنة والمستترة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في منطقة البلقان .

وبغض النظر عن أية تحفظات للعالم علي النظام اليوغسلافي السابق وجرائمه في حق الإنسانية، إلا أن مواجهته مع حلف الناتوالأمريكي في عام ١٩٩٩، تزامنت مع رغبة أمريكا في ابتلاع أوروبا الشرقية برمتها، وجعل التخلص من يوغوسلافيا وتفكيكها هدفاً استراتيجياً أمريكياً . وقد جاءت خطة عمل الـ " سي . أي . إيه " - كما سنرى في الوثيقة آنفاً - على إيقاع معاد تماماً للدولة المركزية التي تقف موضوعياً كعائق إقليمي بوجه العولمة والهيمنة الخارجية بغض النظر عن خطاياها أوجرائمها، التي تفوقها فيها إسرائيل وأمريكا نفسها !! .. ومن هنا، فإن الوثيقة تقدم نموذجاً كلاسيكياً لاستخدام التمويل الأجنبي لمنظمات المجتمع المدني في عملية التفكيك والاختراق !

وفيما يلي نص الوثيقة وهي مترجمة عن النص الأمريكي بالإنجليزية :

الترويج للديموقراطية في يوغوسلافيا

عناصر أساسية للدعم المالي

وكالة المخابرات المركزية

مؤسسة البلقان

سري جداً: معلومات أمن قومي/ أي كشف غير مصرح به يعرض صاحبه لعقوبات قانونية واشنطن دي سي، ١٦ ديسمبر ١٩٩٨

(المقدمة): يتوجب على حكومة الولايات المتحدة أن تزيد بحدة من دعمها للديموقراطية في يوغوسلافيا، من المستوى الحالي البالغ ١٥ مليون دولار إلى ٣٥

مليون دولار في السنة المالية الحالية. وهذا الدعم يجب أن يصبح جزءاً من مبادرة ديبلوماسية واسعة تهدف لتوسيع نطاق الاتصالات التي يقوم بها الغرب، ولتطوير بدائل للنظام المتسلط في بلغراد.

يتوجب أيضاً تشجيع المنظمات غير الحكومية الأمريكية والأوروبية على زيادة حضورها في جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية، وعلى الحكومة الأمريكية أن تشجع مواطني جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية على المشاركة المتزايدة في البرامج الإقليمية.

ويجب أن نركز بشكل أساسي هنا على تنمية جيل جديد من القادة الذين يحترمون التعددية السياسية، وتحرير الاقتصاد، وحكم القانون، والتسامح.

وهذا الجهد يجب أن يتضمن موقفاً نشطاً في القضايا العامة، وهوأن شعب يوغوسلافيا يستحق ما هوأفضل من النظام المتسلط الحالي.

والولايات المتحدة يجب أن تقود حلفائها بسياسة قوية، لا عودة عنها، تهدف لقيام دولة صربية ديموقراطية (لاحظ: ليس يوغوسلافيا ديموقراطية، فهومشروع تفكيك - إ. ع.)، كما حصل في بقية أوروبا الوسطى والشرقية.

أولاً: التركيز على المؤسسات الديموقراطية-

- الإعلام المفتوح، ويخصص له ١٠ ملايين دولار بهدف :

- زيادة حجم الجمهور عن طريق تزويد وسائل الإعلام بالتحسينات اللازمة في البنية التحتية، وبرامج الترفيه النوعية، والبرامج الإخبارية.

- تقديم النصح، والإرشاد التقني والثقافة المهنية.

- تمويل الدفاع القانوني وصناديق الدفاع عن النفس لوسائل الإعلام والصحافيين المضطهدين.

- إذاعة وتعميم أخبار حالات القمع.

المنظمات غير الحكومية المحلية، يخصص لها ٥ ملايين دولار بهدف:

- التجاوب مع الاحتياجات المحلية لتدريب المنظمات غير الحكومية.

- تمويل شبكات بلقانية إقليمية للمؤسسات البحثية والمنظمات الإعلامية.

- تشكيل فرق قانونية مستعدة وقادرة أن تدافع عن المنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام التي يتم تحديها في محكمة.

- زرع منظمات غير حكومية متعددة الاثنيات للتركيز على القضايا التي تتجاوز أي إثنية بمفردها، مثل حقوق الإنسان والبيئة والتنمية الاقتصادية.

- الترويج لتكتلات بين المنظمات غير الحكومية للدفاع عن النفس ضد القمع، ومن أجل الاضطلاع بنشاط انتخابي ملائم، ومن أجل التطوير المهني للمحامين والصحافيين والمعلمين والأكاديميين.

النقابات العمالية يخصص لها مليون دولار بهدف:

- الترويج للعضوية في النقابات، حتى من بين المتقاعدين والعاطلين عن العمل.

- تسهيل الصلات بينها وبين منظمات الاتحاد الأوروبي ومنظمات الطلبة اليوغوسلاف.

- تقديم الإعانات للقادة النقابيين المضطهدين من خلال صناديق الدفاع الذاتي وغيرها من الأعمال.

قطاع التعليم يخصص له ٥ ملايين دولار بهدف:

- المساعدة في إنشاء شبكات التعليم البديلة.

- تقديم الإعانات للأساتذة الجامعيين الذين يفصلون أويرفضون توقيع عقود جديدة.

- تطوير مواد تعليم بديلة تركز على التثقيف بالديموقراطية وحل النزاعات.

القضاء المستقل يخصص له مليون دولار بهدف:

- تدريب القضاة على الإجراءات القانونية المتوافقة مع المقاييس الدولية.

- تقديم الإعانات للقضاة الذين يفصلون من عملهم أويتعرضون لضغوط سياسية.

- دعم برنامج رقابة مشترك محلي-دولي للمحاكمات.

الأحزاب السياسية يخصص لها ١٠ ملايين دولار بهدف:

- توسيع تدريب الأحزاب السياسية على استقطاب قواعد جماهيرية.

- الترويج لبناء جبهة معارضة سياسية موحدة.

- تشجيع تكتلات الأحزاب السياسية مع المنظمات غير الحكومية، من أجل القيام بمهمات موازية غير حزبية مثل تفعيل المشاركة الشبابية وتثقيف الناخبين ومراقبة وسائل الإعلام.

- تطوير كوادر الصف الثاني من القيادة الحزبية من الأقاليم، وعلى مستوى البلديات، ومن القطاعات التي لم تكن تنشط سابقاً، ونشاط الأجيال اللاحقة.

- تقديم الإعانات للحكومات المحلية المسيطرة على معارضة مسؤولة.

اللجان الانتخابية يخصص لها مليون دولار بهدف:

- تدريب أعضائها على الشفافية في الإجراءات الإدارية.

- تمويل تقنيات انتخابية مضادة للتزوير.

- تقديم الإعانات لإجراءات تسجيل وإحصاء الناخبين.

المنظمات الشبابية يخصص لها مليونا دولار بهدف:

- الترويج لمنظمات طلابية ديموقراطية.

- تمويل سفر القيادات الطلابية إلى الخارج.

- تقديم الإعانات للبرامج الدراسية والتدريبية في أوروبا والولايات المتحدة.

ثانياً: تأسيس مجموعات دعم دولية -

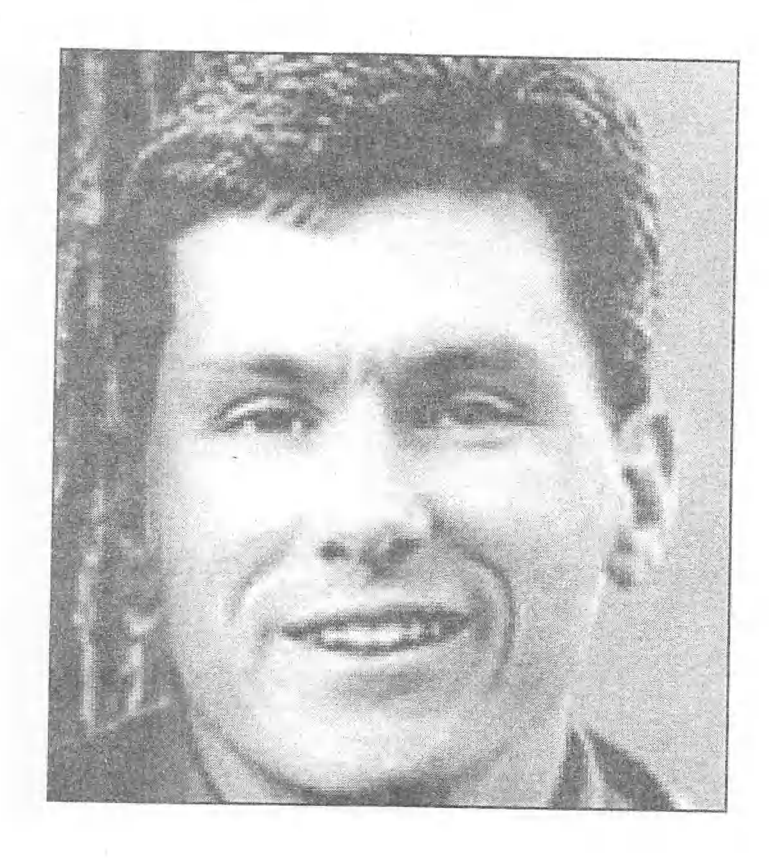
عقد لقاءات لمجموعة متبرعين (دولية) يمكن أن تلتقي دورياً لبحث الأولويات.

دعوة المنظمات غير الحكومية اليوغسلافية للمشاركة في هذه المجموعة، والتعليق على البرامج الدولية.

تأسيس شبكة مشورة دولية لدعم التطور الديموقراطي في يوغوسلافيا.

(انتهت الوثيقة)

٣١- المخابرات تعلن عن مقتل عملائها !!



■ مصادر عدة مختصة في أنباء التجسس والمخابرات ذكرت أن الضابط سبان ربما كان أول من يقتل من ضباط جهاز جديد أنشأته وكالة المخابرات المركزية باسم: " فرقة النشاطات الخاصة، " SAD "، وهي تضم ما يقرب من ٥٠٠٠ عميل برتبة ضابط جرى تدريبهم على القتل والاغتيال السري والفنون العسكرية .

٣١- المخابرات تعلن
عن مقتل عملائها !!

من الظواهر غير المسبوقة في تاريخ الجاسوسية، وكذلك المخابرات، التي عادة ما تكون المصدر الرئيسي للعملاء والجواسيس، أن يعلن جهاز استخباراتي عن مقتل جاسوسه، أوعميله .. نعم سابقة جديدة يشهدها القرن الواحد والعشرين !!

فقد فوجئ العالم بوكالة المخابرات الأمريكية " سي . آي . إيه " أكبر جهاز استخباراتي في العالم، وفي بيان رسمي يعترف بمقتل عميل كبير من عملائه، وجاسوس له وزنه من جواسيسه برتبة ضابط هوجوني مايك سبان في سجن مزار الشريف في أفغانستان، ليفتتح ملفاً جديداً حول طبيعة المهمة التي كان يقوم بها هذا العميل، والدور الذي يلعبه لحساب وكالة المخابرات المركزية.

سبان (٣٢ عاماً) من وينفيلد في ولاية آلاباما كان قد انضم إلى العمل في " سي. آي . إيه " في يونيوعام ١٩٩٩ آتياً من قوات المارينز. وبمقتله تكون " سي . آي . إيه " قد فقدت – آنذاك – الضابط التاسع والسبعين، الذي يقتل أثناء مهمة يقوم بتنفيذها منذ أن تم تأسيس "سي آي . إيه " عام ١٩٤٧. وكان أربعة من الأميركيين قد قتلوا في غمرة النشاطات العسكرية الأميركية في أفغانستان أيضاً.

وفي ظاهرة ملفتة أثارت حادثة مقبل سبان واضطرار "سي . آي . إيه " إلى إصدار بيان حولها، جدلاً واختلافاً بين المختصين بشؤون المخابرات حول مدى ضرورة ذلك البيان. ولذلك عاد بيل هارلو، الناطق باسم "السي آي أي" وأصدر بياناً جاء فيه: "أنتقد العديد من المختصين والخبراء إعلاننا عن مقتل جوني

ميشيل سبان ضابط المخابرات في أفغانستان. واعتبر هؤلاء أن بياناً من هذا النوع يشكل سابقة لا مثيل لها وأن " سي . آي . إيه " تحاول من خلال بيانها هذا كسب تأييد إيجابي من الجمهور. ونحن ليس من عادتنا الرد على انتقادات كهذه. لكن انتشار هذه الانتقادات في قنوات التلفزيون حمل استهتاراً ونيات غير طيّبة، الأمر الذي أجبرنا على الرد.

إن حماية مصادر وطرق عمل وشخصيات الضباط الذين يعملون في ظروف سرية تحت غطاء معين هي من الضرورات الأساسية في عمل الوكالة، بل إننا نبذل جهوداً كبيرة من أحل الحفاظ على الأمن العملياتي .

وخلال سنوات طويلة وضمن ما تسمح به الظروف كانت الوكالة تعلن عن شخصية من يقتل من ضباطها أثناء القيام بمهامهم . فثمة ٧٨ منهم نقشت أسماؤهم على الجدار التذكاري لـ "سي . آي . إيه "، ومن بينهم ٣٠ ضابطاً كانوا في إدارة العمليات السرية. ففي عام ١٩٧٥ قتل وليام ويلش في أثينا، وقتل أيضاً وليام باكلي وأعلن عنهما رسميا.

وقال جورج تينيت مدير " سي . آي . إيه " إن ميشيل سبان كان بطلاً لأميركا. ولم نجد أي سبب يمنع من الإعلان عن اسمه، ووافقت على ذلك أسرته. وبالإضافة إلى ذلك، كشفت الكثير من الوكالات الإعلامية عن اسمه قبل صدور بياننا الرسمي وعن علاقته بالسي آي حتى قبل وصول جثته إلى الولايات المتحدة أيضاً. لكننا مع ذلك لن يكون بمقدورنا الكشف عن اسم كل من يقتل من ضباط الوكالة أثناء وجوده في مهمته" .

ورغم هذا البيان الذي لا يتحدث عما كان يقوم به سبان في أفغانستان لأنه من أسرار الوكالة إلاّ أن مصادر عدة مختصة في أنباء التجسس والمخابرات ذكرت أن الضابط سبان ربما كان أول من يقتل من ضباط جهاز جديد أنشأته وكالة المخابرات المركزية باسم: "فرقة النشاطات الخاصة، (SAD)، وهي تضم ما يقرب من ٥٠٠٠ ضابط جرى تدريبهم على القتل والاغتيال السري والفنون العسكرية .

وذكر أحد المسؤولين الأميركيين في تعقيبه على ظروف عدم الكشف عن أي اسم لهؤلاء الضباط قائلاً: "إنه على الرغم من عدم تورّط "السي آي آي" خلال عقود بعمليات الاغتيال، إلاّ أنها تقوم بتدريب رجالها أوجواسيسها على المهارات شبه العسكرية. وهناك عدد منهم يعملون ضمن فروع تستوجب مهارات عسكرية كبيرة".

وكشفت مجلة "التجسس العالمي" الأميركية أن معظم النشاطات التدريبية لهذه الفرقة (SAD) تجري في "كامب بيري" وهومعسكر قرب وليام سبورغ (فرجينيا) يشكل مركزاً للتدريب الخاص ب"السي آي أي" إضافة إلى بوينت هاري في نورث كارولاينا. لكن السؤال المنطقي الذي يطرح في هذا الصدد: ما الذي يدفع السي آي أي إلى تدريب هؤلاء الضباط على عمليات الاغتيال والمهارات العسكرية إذا كانت لا تقر ممارسة الاغتيال كما تقول؟ يقول أحد المسؤولين الأميركيين: "من أجل الدفاع عن النفس أولاً. ثم إذا كانت "السي آي أي" تمنع الآن منح غطاء لتنفيذ اغتيالات سياسية فإن هذا المنع لا يشمل إلاّ القادة السياسيين في ظروف السلم ولا يشمل قتل "الإرهابيين" أوالمقاتلين الآخرين". ومع ذلك، يتضمن تدريب هذه الفرقة على التجسس، والتخريب والإنقاذ والخطف وتقييم أخطار العبوات المتفجرة، والعمليات المضادة للإرهابيين، وإنقاذ الرهائن خارج الولايات المتحدة.

ويؤكد جيفري ريشيلسون، الكاتب المؤرخ الذي اختص بتاريخ التجسس، أن هذه الفرقة (SAD) تقوم بمهام متنوعة وهي تضم بعد إنشائها حديثاً، ٢٠٠ ضابط تم تقسيمهم على شكل مجموعات عدة هي: مجموعة العمليات الخاصة، مجموعة تدريب الأجانب، مجموعة الدعاية والعمل السياسي المختصة بمعالجة المعلومات ونشر المعلومات المطلوبة، مجموعة الكومبيوتر التي تختص بحرب المعلوماتية، ومجموعة هيئة إدارة الممتلكات (PMS) التي تختص بترتيب تأسيس شركات تجارية أوشرائها وإعداد المكاتب التي تمنح غطاءً مناسباً لضباط فرقة (SAD).

ويجري تجنيد هؤلاء الضباط من بين العسكريين الذين تقاعدوا أواستقالوا من الجيش، وخصوصاً من العسكريين في "قوة دلتا"، ومن العسكريين الذين عملوا خارج

الولايات المتحدة في مهام خاصة. ويقول ريشيلسون: "وعلى الرغم من التدريبات الواسعة التي يتلقاها هؤلاء في مراكز تدريب السي آي أي إلاّ أنهم ليسوا على غرار أفلام جيمس بوند لأن "السي آي أي" تفرض تعليمات صارمة عليهم أثناء تأديتهم لمهامهم".

ويبدوأن الحديث حول "التعليمات الصارمة" لم يكن دقيقاً لأن الضابط ميشيل سبان قتل، كما روت بعض الأنباء، في ظروف سرية قام خلالها بارتكاب عمل فظيع ضد الأسرى الذين كانوا داخل سجن مزار الشريف في أفغانستان.

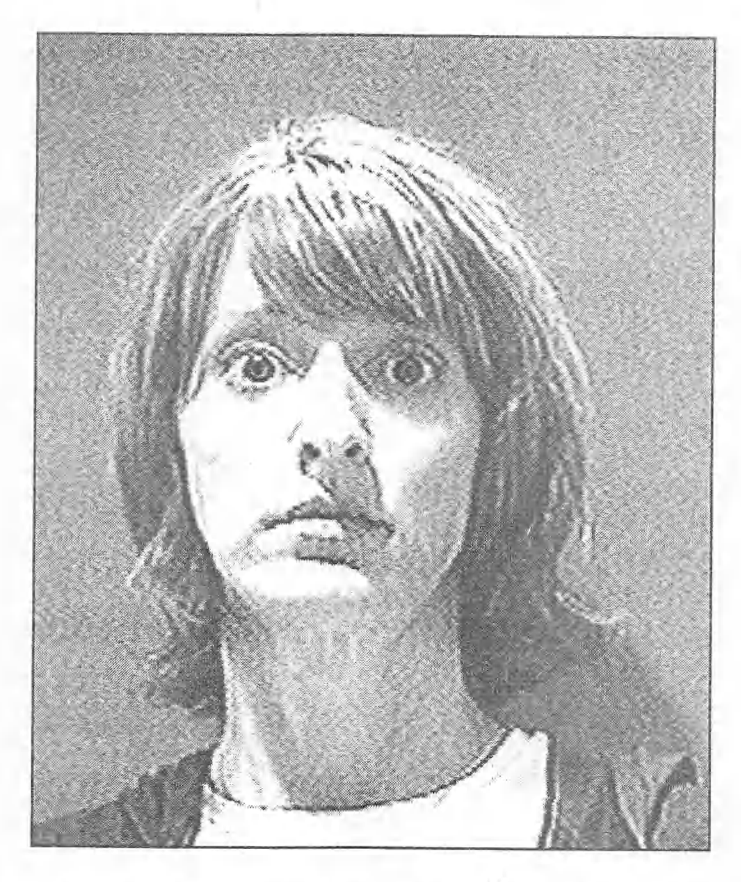
وذكرت صحيفة "التايمز" البريطانية أن ميشيل سبان دخل برفقة ضابط آخر من "سي . آي . إيه" يدعى ديفيد إلى السجن واقترب من أحد الجنود الأسرى من طالبان وسأله ربما لأنه لم يكن أفغانياً: "ماذا تفعل هنا في أفغانستان"، فأجابه جندي طالبان قائلاً: "إننا هنا لكي نقتلكم" وقفز على الضابط ميشيل منقضاً عليه فأطلق ميشيل النار عليه وعلى عدد من الأسرى الآخرين كانوا بقربه وأردى الجميع.

وتقول صحيفة " التايمز ": وعند ذلك نشأت حالة فورية من الغضب لدى بقية الأسرى الذين توفر لهم الإمساك بالضابط ميشيل وأوسعوه ضرباً بأيديهم وأرجلهم حتى قضوا عليه وهرب الضابط ديفيد أثناء ذلك للنجاة بنفسه.

لكن مصادر أخرى ذكرت أن ضباطاً من " سي . آي . إيه " كانوا شخصياً، يقومون باستجواب عدد كبير من الأسرى الطالبان وغيرهم من اتباع بن لادن العرب والمسلمين الآخرين للحصول على معلومات عن مكان اختفاء وبقية مجموعته هناك. وكان ميشيل سبان أحد هؤلاء الضباط الذين كلفوا بمهمة الاستجواب. ويبدوأن هذه الاستجوابات دفعت عدداً كبيراً من الأسرى، خصوصاً وأن قوات تحالف الشمال هي التي ينبغي أن تتولى مسؤولية إدارة السجن، إلى التمرد ضد هؤلاء الضباط وإهانتهم وما كانوا يقومون به من تعذيب للحصول على المعلومات، فظهرت شرارة تمرّد الأسرى بعد قيام سبان بفتح النار داخل السجن على عدد من الأسرى الأفغان

والعرب وانقضاض عدد منهم عليه وقتله. وربما تكون أحد الأسباب التي دفعت قيادة الوكالة إلى إصدار بيان رسمي بمقتل سبان وإطلاع أسرته مسبقاً على نص البيان الرسمي الذي أعلنه بيل هارلوالناطق الرسمي، هي محاولة تجنب فضيحة أميركية لما قامت به " سي . آي . إيه " داخل سجن مزار الشريف الذي ارتكبت فيه مجزرة ضد الأسرى الذين حملوا جنسيات متعددة. لكن طبيعة ما قام به ضباط "السي آي آي" من وحدة " النشاطات الخاصة " لا بد أن يتم الكشف عنها مع تتابع أحداث أفغانستان وما ارتكبته الولايات المتحدة خلال ذلك من ممارسات خرفت فيها حقوق الإنسان وقوانين جنيف في معاملة أسرى الحرب هي وحلفاؤها من الأجنحة العسكرية الأفغانية.

٣٢- ندى نديم بروتي .. أول جاسوسة لحزب الله داخل" سي.آي.إيه " !!



■ وقال ممثل الادعاء : " إن ندى لجأت إلى نمط من الخداع للحصول على الجنسية الأميركية ، والحصول على عمل في الاستخبارات ، والدخول الى معلومات استخباراتية حساسة عن مكافحة الإرهاب ، واستغلال هذه المعلومات ، وتمريرها لجهات خارجية معادية لأمريكا " !

٣٢- ندى نديم بروتي .. أول جاسوسة لحزب الله داخل" سي.آي.إيه " !!

تتلقى أجهزة الاستخبارات العالمية من وقت لآخر ضربات موجعة، وأحياناً قاتلة.. الضربات الموجعة تتمثل في أن يُكتَشَف لها عميل، أوينجح عميل لدولة أخرى في اختراق منظومتها الأمنية.. الأمر في كلتا هاتين الحالتين يمكن احتماله، أما أن يكون العميل واحداً من المطبخ، أي أفراد هذه الأجهزة، القادرين على النفاذ لأدق الأسرار، وأخطرها، فهذا ما يتجاوز تعبير " الضربات الموجعة " ليندرج تحت تعبير آخر هو" الضربات القاتلة ".

وهكذا كان الحال مع الأجهزة الاستخباراتية والأمنية الأمريكية العتيدة في شهر نوفمبر ٢٠٠٧، عندما اكتشفت أن حزب الله اللبناني - عدوها اللدود - قد تمكن من اختراقها، واستطاع دخول مقراتها المحصنة، والحصول على أخطر الأسرار، وخاصة ما يتعلق بمخططاتها الشيطانية، التي تحاك ضده، وكل ذلك من خلال مواطنة لبنانية، لم تُنسِها جنسيتها الأمريكية الجديدة وطنها الأم، بل يقال إن الهدف من استماتتها من أجل الحصول على هذه الجنسية كان سببه الرئيسي هوالوصول إلى مواقع الـ " سي. آي. إيه " والـ " أف. بي. آي ".

قصة جاسوسة حزب الله اللبنانية ندى بروتي – كما صورتها الصحف الأمريكية – تصلح مادة لفيلم سينمائي، نظراً لتفصيلاتها المثيرة، وأحداثها الغريبة، التي يصعب على المرء تصديق أنها وقعت بالفعل، ناهيك عن أن منظمة لبنانية كبرى في حجم حزب الله هى أحد أبطال القصة، وستكون – كما قالت الصحف أيضا – نجم الشباك حال تحويلها لعمل سينمائي.

ويبدو أن هوليوود كانت تتابع باهتمام بالغ أيضاً قضية ندى، فقد كشفت مجلة " بيبول " الأمريكية عن أن الممثلة الأمريكية الشهيرة إنجلينا جولي تفكر في تحويل قصة ندى جاسوسة حزب الله إلى فيلم سينمائي تقوم ببطولته في أول عمل تخرجه هي.

رغم أن بداياتها تعود قبل ذلك بوقت طويل، إلا أن قصة ندى خرجت إلى الأضواء لأول مرة في أحد أيام شهرنوفمبر عام ٢٠٠٧ بخبر رئيسي يتصدر – تقريباً – كل الصحف الأمريكية حول إحالة مواطنة لبنانية الأصل للمحاكمة بتهمة تسريب أسرار بالغة الخطورة لحزب الله اللبناني، وذلك من خلال عملها في وكالة المخابرات الأمريكية " سي. آي. إيه "، ومكتب التحقيقات الفيدرالي " إف. بي. آي ".. وما أن أذيع هذا النبأ حتى انقلبت الدنيا ووقفت ولم تقعد في أمريكا.. البعض اتهمها بأنها جاسوسة خائنة للبلد التي تحمل جنسيته " أمريكا "، والبعض الآخر اعتبرها بطلة لأنها لم تبع دولتها الأم، ورفضت إلا أن تحذر أهلها هناك مما يتم تدبيره لهم في دهاليز أجهزة الاستخبارات والأمن الأمريكية المعادية.

الغريب أن هذا الرأي الأخير تبناه بعض الكتاب الأمريكيين، ولكنهم صاغوا موقفهم بطريقة لا تطعن في وطنيتهم، مثلاً تساءل أحدهم : ماذا لو أن أمريكياً يحمل إلى جانبها جنسية دولة أخرى، وكان في نفس موقف اللبنانية الأصل ندى.. متى سيكون هذا الأمريكي خائناً؟! إذا تواطأ ضد أمن واستقرار شعب دولته الأم، أم إذا باعها وباع شعبها لمن منحوه جنسيتهم الجديدة ؟!

وكتب بعض الأمريكيين يقولون: إن ندى فجرت قضية من العيار الثقيل، وتتعلق بمعايير تجنيد أطقم العاملين بالمواقع البالغة الحساسية كالمخابرات مثلاً، واستجمع أحدهم الشجاعة، وقال: لا تلوموا ندى.. لوموا أنفسكم.

وعلق المدعي العام الأميركي ستيفين مورفي على القضية بقوله : " هذه القضية تسلط الضوء على حتمية إعادة النظر في آلية التوظيف في أجهزتنا الاستخباراتية

والأمنية، لأنه من الصعب أن نتخيل تهديداً أعظم من سعي شخص أجنبي للحصول على الجنسية الأميركية حتى يتمكن من أن يدس نفسه في مكان حساس للغاية في الإدارة الأميركية ".

ولأن سير التحقيقات في القضية – كما سنرى فيما بعد – قد أثبت نجاح ندى في التلاعب بدهاء للحصول على الجنسية الأمريكية، فقد علق المدعي العام في مدينة ديترويت بولاية ميتشيغان الذي أشرف على القضية ستيفن مورخي من ناحيته بقوله: " يصعب جداً تصور شيء أكثر خطورة على أمننا من تمكن أجنبية من تزوير الجنسية الأميركية، والوصول إلى مواقع بالغة الخطورة كما في حالة ندى ".

وحسب وثائق المحكمة التي تنظر قضية ندى بروتي في ديترويت، والمتوقع أن تصدر بحقها حكماً في جلستها المقررة في شهر يناير عام ٢٠٠٨ ، بالسجن ربما يصل إلى عشرين عاماً بالإضافة إلى سحب الجنسية الأميركية منها، وفصلها من منصبها في وكالة المخابرات الأمريكية " سي. آي. إيه ".. حسب وثائق المحكمة فإن ندى جاءت إلى الولايات المتحدة من لبنان لأول مرة في عام ١٩٨٩ ، وتجاوزت موعد انتهاء تأشيرة الدراسة التي دخلت بها البلاد.

وللحصول على البطاقة الخضراء " جرين كارد "، رتبت زواجاً صورياً، مقابل رشوة، مع أمريكي يدعى كريس ديلادورانتي، وحصلت على عمل كنادلة في " لاشيش " وهو أحد سلسلة المطاعم الشهيرة بتقديم وجبات الشيش كباب في ديترويت. وكانت أختها مديرة أعمال وكان زوج أختها، طلال خليل شاهين، هو مالك سلسلة هذه المطاعم.

وقد أصبح شاهين رجل الشيش كباب في ديترويت هدفاً لمحققي " إف. بي. آي " بعد الاشتباه في أنه كان يقتطع ملايين الدولارات من مطاعمه، ويوردها إلى جمعية خيرية تابعة لحزب الله في لبنان.

وفي عام ٢٠٠٢، سافر شاهين إلى لبنان لحضور حفل جمع تبرعات، وجلس بجانب محمد حسين فضل الله – المرجع الشيعي في لبنان – والذي كان مصنفاً كـ "إرهابي"(١) من قبل الولايات المتحدة، في أعقاب تفجير مقر مشاة البحرية الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٣. وكان الرجلان من الخطباء الرئيسيين في تلك المناسبة وشوهدا، وهما يتبادلان حديثاً خاصاً.

وعندما أغار عملاء الـ " إف. بي. آي " على منزل شاهين، وجدوا صورة لشاهين وزوجته ألفت الأعور – أخت ندى – وهما يقفان خارج موقع عسكري تابع لحزب الله في مكان إحدى معارك حزب الله مع إسرائيل، تحت علم الحزب الأصفر والأخضر.

وكان قد تم اتهام الأعور مع زوجها في عام ٢٠٠٦ بالتهرب الضريبي، واعترفت بذلك أمام المحكمة. أما شاهين فهو مطلوب للعدالة بتهمة الإرهاب وهارب، ويفترض أنه في الشرق الأوسط كما تشير وثائق التحقيقات . وقد أنكر محامي شاهين علاقة موكله بالإرهاب.

وكانت ندى قد اعترفت، أمام المحكمة في ديترويت، أنها حصلت على الجنسية الأميركية بطريقة غير قانونية. وأنها عندما كانت تعمل في مكتب التحقيق الفيدرالي " إف. بي. آي " ، حصلت على معلومات سرية للغاية عن حزب الله. وأنها فعلت نفس الشيء عندما انتقلت للعمل في وكالة المخابرات المركزية " سي. آي. إيه ".

وهكذا وبعد عدة جلسات، أدانت المحكمة الأميركيّة في مدينة ديترويت، ولاية ميتشيغان العميلة اللبنانية السابقة في مكتب التحقيقات الاتحادي، ووكالة المخابرات المركزيّة ندى نديم بروتي (٣٧ عاماً)، بـ : التآمر، والوصول إلى معلومات سرية، وبدفع أموال لرجل أميركي لكي يتزوجها للحصول على الجنسية الأميركيّة، لكي تستطيع العمل في الوكالتين الاستخباريين ".

---

(١) وهو لفظ تتهم به أمريكا كل من يمانع سياستها التوسعية ويدافع عن قضاياه التي يؤمن بها.

وبحسب البيان الصادر عن وزارة العدل الأميركية، فإن بروتي : "استعانت لهذه الغاية، باللبناني طلال خليل شاهين، وهو زوج شقيقتها، وكان يملك مطعماً في الولاية الأميركية، وهو مطلوب اليوم من السلطات الأميركية في قضايا تتعلق بالتهرب من دفع الضرائب، والابتزاز، ودفع الرشوة. كما تعتبر السلطات الأميركية بأنه يختبئ وزوجته عند المرجع محمد حسين فضل الله، الذي تصنفه واشنطن إرهابياً عالمياً".

وبينما يستعد الكونغرس للتحقيق في قضية ندى بروتي، اللبنانية المتهمة بالتجسس لصالح حزب الله، بالتعاون مع زوج أختها شاهين، قالت لورا ديلادورانتي، الزوجة الحالية لكريس ديلادورانتي الذي تزوج ندى عام ١٩٩٣، حسب اتفاق مسبق بينهما ليسهل عليها الحصول على الجنسية الأميركية.. قالت: إن ندى لم تدفع الرشوة التي تعهدت بدفعها لكريس الذي تزوجته من أجل الجنسية.

وأضافت الزوجة الحالية لكريس أن زوجها كان - آنذاك - صغير السن وفي الـ٢٤ من عمره وكان عاطلا عن العمل، ويعيش في منزل بائس. عرفه واحد من زملائه على اللبنانية ندى التي قالت له إنها مستعدة لدفع رشوة لمن يتزوجها، ويسهل حصولها على الجنسية الأميركية ".

جدير بالذكر أن ندى لم تعش مع الأميركي كريس كزوج وزوجة بعد أن تزوجا في عام ١٩٩٣، وطلقته عام ١٩٩٥، بعد سنة من حصولها على الجنسية. وفي نفس السنة تزوج كريس - الذي يعمل نجاراً في الوقت الحاضر - زوجته الحالية، ورزقا أربعة أطفال.

وقالت الزوجة الحالية: إنها لم تكن تعرف شيئا عن الموضوع حتى شهور قليلة، عندما دق عملاء المباحث الفيدرالية باب منزلها ليحققوا مع زوجها.

وكان مدعي عام ديترويت، الذي يحقق في الموضوع، قد أعلن أنه لن يقدم الأميركي كريس إلى المحكمة بتهمة التعاقد على زواج مزور، وذلك لأنه تعاون مع

المحققين، ولأن القانون الأميركي لا يحاكم مثل هذه التهم بعدما تمر عليها أكثر من عشر سنوات.

وكانت الشرطة، أيضا قد حققت مع أندروعلي، وهوأيضا زوج سابق لندى بروتي. وكانت قد تزوجته عام ١٩٩٧ في ولاية بنسلفانيا، التي انتقلت إليها من ميشيغان، بعد أن حصلت على الجنسية الأميركية، ثم انتقلا إلى واشنطن العاصمة، حيث حصلت على وظيفة في مكتب التحقيق الفيدرالي " إف. بي. آي، لكنها طلقته في وقت لاحق، وتزوجت جوردون بروتي زوجها الحالي، الذي أخذت اسم عائلته، وقد رزقت منه طفلاً. وكان اسم عائلة ندى الأول هوالأعور.

وقال جيرانها، في ضاحية فينا القريبة من واشنطن العاصمة، إنها وزوجها الحالي بروتي كانا هادئين، ولم يلاحظا أي شيء غير عادي في حياتهما.

ولأن اللبنانية ندى بروتي قد وجهت ضربة إلى أجهزة الاستخبارات الأمريكية في مقتل – كما يقولون – فقد أصبحت مادة خصبة للصحافة الأمريكية، التي راحت تلهث وراء معرفة كل صغيرة وكبيرة عنها.

وقالت مجلة " نيوزويك " مثلاً متهكمة : يبدو أن مسؤولي مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد اكتشفوا فجأة أن ندى بروتي ليست الشخص الذين اعتقدوا أنه هى ".

وقالت المجلة تحت عنوان " علاقات خطرة " في يوم ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٧:

" لقد استطاعت ندى أن توهم مسؤولي أجهزتنا العتيدة أنها كانت الشخص المناسب، الذي يبحث عنه رجال المخابرات.. ساعدها في ذلك أنها كانت تتمتع بلياقة بدنية وذهنية عالية، وكانت جسورة وداهية وصعبة المراس.. تتحدث العربية بطلاقة، لديها مهارات نادرة جدا للعمل في المجتمع الاستخباراتي الأمريكي، إضافة إلى أنها تحمل شهادة محاسب قانوني مرخص، أي أنها الأفضل في تتبع مسار الأموال ".

وأوضحت نيوزويك : في البداية وظفها مكتب التحقيقات الفيدرالي " إف. بي. آي " عام ١٩٩٩، ثم أرسلوها عام ٢٠٠٣ إلى العراق، لتساعد في استجواب بعض السجناء العرب، وأبلت هناك بلاء حسنا لدرجة أن وكالة الاستخبارات المركزية " سي آي. إيه " أخذتها بعد عدة شهور، وعينتها ضابطا مسؤولا عن قضايا تعمل في الخفاء ".

ويمكن القول إن أغرب ما في قصة ندى بروتي هو ما ذكرته صحيفة " لوس أنجلوس تايمز " نقلاً عن مسؤولين استخباراتيين سابقين قي " سي. آي. إيه " زاملوا ندى قبل تقاعدهم من أنها كانت قد وضعت في عام ٢٠٠٥ على جهاز كشف الكذب – عادة متبعة مع موظفي المخابرات – وأنها أظهرت إشارات على الخداع على جهاز كشف الكذب، لكن حياتها المهنية لم تتضرر.

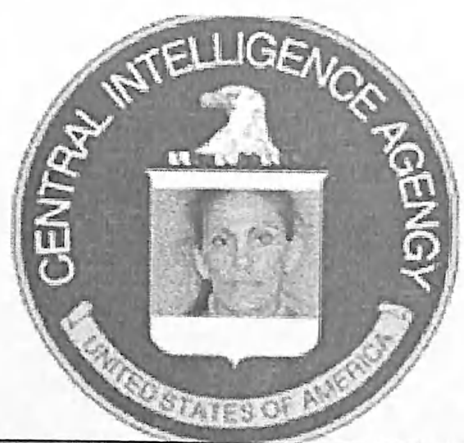
وأشار مسؤولون أمريكيون إلى أن حوالي ربع ضباط الـ "سي. آي. إيه" (خصوصا من لهم عائلات خارج الولايات المتحدة) يعانون مشاكل في تجاوز امتحان جهاز الكذب. ولكن معظم القضايا تحل من دون أي أذى. وعندما خضعت ندى لاختبار كشف الكذب، كانت الـ " سي. آي. إيه " بحاجة ماسة إلى ناطقين بالعربية لتلبية الاحتياجات الاستخباراتية في حرب العراق.

ويرى كثيرون أن الرقابة الذاتية، التي تستهدف كشف العملاء داخل الأجهزة، تضع مطالب متناقضة على كاهل الأجهزة الأمنية. فلو أفرط المسؤولون الاستخباراتيون في الارتياب بوجود عملاء مزدوجين، فإنهم سيعانون كثيرا في عملية اختيار الجواسيس، ويفقدون الثقة بين بعضهم.

والمفارقة، كما يشير مسؤولون أمريكيون كثيرون على صلة وثيقة بالشؤون الاستخباراتية، المفارقة تكمن في أن مكتب التحقيقات الفيدرالي كان في الفترة الأخيرة عرضة للانتقاد لأنه يضع معايير صعبة التحقيق، مما يعيق تلبية الأهداف المتعلقة بتجنيد عملاء يتحدثون لغات أجنبية. ولكن عندما نتطلع على قضية مثل

قضية ندى نديم بروتي، نبدأ في التفكير في أننا خففنا المعايير بشكل يتجاوز المطلوب".

وهكذا لم تشتعل الحرب السرية بين وكالة المخابرات "سى. آى. إيه" و"حزب الله" فى بيروت هذه المرة، بل في عقر دار "سي. آي. إيه" بأمريكا، وفى قلب المقر الرئيسى لأكبر جهاز مخابراتي فى العالم، بزرع امرأة لبنانية دخلت التاريخ الاستخبارى لكونها أول جاسوسة لـ حزب الله داخل الـ سى. آى. إيه.







صورة ندى داخل شعار وكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي . آي . إيه" ، كما قدمتها الصحف الأمريكية ، و هي تتناول قضيتها .. و تحتها ندى في طريقها للتحقيق ، ثم صورة صممتها إحدى المجلات الأمريكية لها و عليها اسم حزب الله !

C. Factual Basis for Guilty Plea

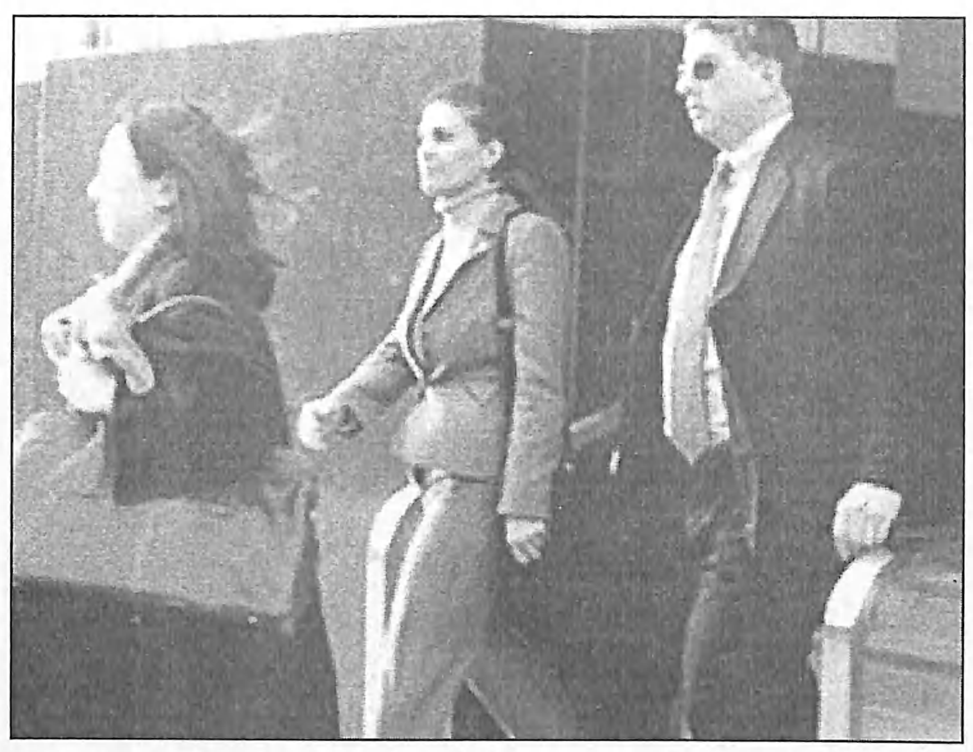
The following facts are a sufficient and accurate basis for defendant's guilty plea:

From April 13, 1990 through September 21, 2007, NADA NADIM PROUTY conspired with Samar Khalil Nabbouh, Elfat Nadim El Aouar, Talal Khalil Chahine, and others to defraud the United States of valuable benefits of U.S. citizenship including U.S. government employment, security clearances, U.S. military commissions, passports etc., and to commit offenses against the United States including marriage fraud, naturalization fraud, perjury, false statements, and use of fraudulently procured proof of citizenship. In furtherance of the conspiracy and to effect its objects, NADA NADIM PROUTY committed the following overt acts: 1.) Defendant PROUTY committed marriage fraud in violation of 8 U.S.C. § 1325 by marrying U.S. citizen Chris Michael Deladurantaye in Detroit, Michigan on August 9, 1990 for the purpose of evading U.S. immigration laws; 2.) Defendant PROUTY submitted a series of false, fraudulent and forged documents and letters to immigration authorities verifying the validity of the fraudulent marriage in order to obtain permanent residency status and, later, U.S. citizenship, thereby committing naturalization fraud in violation of 18 U.S.C. § 1425(a). In fact, defendant PROUTY hired Deladurantaye to marry her, never had any relationship with Deladurantaye or consummated the marriage, and never resided with Deladurantaye as husband and wife as falsely represented continuously throughout her A-file (alien file); 3.) Defendant PROUTY defrauded the Federal Bureau of Investigation into hiring her on or about April 21, 1997 by, among other things, utilizing her fraudulently procured naturalization certificate, continuing to assert that her marriage to Deladurantaye was legitimate, and denying or failing to disclose any criminal or other compromising activity in her background; 4.) Defendant PROUTY defrauded the Central Intelligence Agency into hiring her on or about February 15, 2003 by, among other things, referencing her fraudulently procured naturalization certificate, continuing to assert that her marriage to Deladurantaye was legitimate, and denying or failing to disclose any criminal or other compromising activity in her background.

On June 24, 2003, NADA NADIM PROUTY, while employed as a Special Agent of the Federal Bureau of Investigation, an agency of the U.S. Department of Justice, intentionally accessed the FBI Automated Case Support (ACS) computer system to obtain information from a national security investigation being conducted by the FBI's Detroit, Michigan field office. The case number of the investigation was DE-74791. The subject matter of the investigation was the designated foreign terrorist organization, Hizballah. Defendant was not assigned to work on Hizballah cases as part of her FBI duties, and she was not authorized by her supervisor, the case agent assigned to the case, or anyone else to access information from the investigation in question. At the time, defendant PROUTY knew that she was permitted to access information from the ACS system for official business only and that the information was available only to persons having a legitimate need to know.

- 3 -

صحيفة اتهام ندى كما وردت في وثائق محكمة ديترويت التي تنظر القضية !!



ندى لدى خروجها من المحكمة بعد الجلسة الأولى التي أدينت فيها ، في انتظار جلسة النطق بالحكم في يناير ٢٠٠٨ !!



طلال شاهين زوج أخت ندى كما ظهر على موقع " سي . آي . إيه " وتحت صورته صورة أخرى له مع السيد محمد حسين فضل الله



المثلة الأمريكية انجلينا جولى التي تردد في أمريكا أنها تفكر في بطولة عمل سينمائي جديد يتناول قصة حياة الجاسوسة اللبنانية ندى نديم بروتي !!

الفهرست

الفهرست